٥٩٨
HARLEQUIN
www.elromancia.com
مرموريـة
ذكريات مرة
مرغريت مايو

ذكريات مرة

مرغريت مايو

عندما انقطعت علاقتهما فجأة، لم تكن تانيا تتوقع، أو حتى تريد أن ترى اليخاندرو هيراوا مرة أخرى، رغم أن ذكرى أيامهما الماضية لم تبارح خيالها.

وهكذا ذهلت وهي تراه فجأة في اللحظة التي وصلت فيها إلى تينيريف، وأكثر من ذلك حين أصر على أن يأخذها لتتفرج على احتفالات الكرنفال. وأثناء الاحتفالات تلك، عادت المشاعر بينهما تشتعل مرة أخرى. ولكن كان على تانيا أن تبذل جهدها لمقاومتها... كيف بإمكانها أن تنسى أن اليخاندرو كان هجرها ليتزوج من امرأة أخرى؟

سوريا: ٧٥ ليرة - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الإمارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١٫٥ دينار - المغرب: ٨ دراهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ر.ع - تونس ٢ دينار.

استمرت الحفلة حولهما، ولكن لم يكن أي منهما واعياً لها. كان كل منهما يلتهم الآخر بنظراته الجائعة، وكانت مشاعرهما تعاني من أحلى عذاب عرفاه.

www.elromancia.com
مـــروريـــة

مرغريت مايو

ليست الرحلات من هواياتي، رغم إنني استمتع دوماً بقضاء إجازاتي في الخارج. وقد أخذنا، أنا وزوجي نمضي اجازاتنا في جزر كناري طوال الاربع سنوات الماضية. وأكثر ما يجذبنا اليها هو الجو هنا كما أننا زرنا استراليا وتونس، حيث للبلدين حضارتان مختلفتان، وكذلك مقاطعة بريتاني في فرنسا والتي رأيناها مشابهة تماماً لإنكلترا. أما بقية رحلاتي فكانت إلى مختلف أنحاء انكلترا نفسها، وامكنتي المفضلة فيها هما كورنوال وبحيرة ديستريكت.

٥٦٨

khouloub Abir 568

ذكريات مرة

مرغريت مايو

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

BITTER MEMORIES

Copyright © by Margaret Mayo 1994

ISBN 0-263-78547-5

Mills & Boon first edition October 1994

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

ذكريات مرة بقلم: مرغريت مايو

ترجمة: بلقيس حومانى

سلسلة قلوب عبير ٥٦٨

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).

جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في تلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.

كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة. بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت - لبنان شارع قرطاج بناية رضوان الطابق التاسع ص.ب: ١١/٩٧١٨ - فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) - هاتف: ٧٤٣٦٣٣ - ٧٤٣٦٣٤ (٠١) - ٢١٦٦٩٣ (٠٣)

عزيزي القارىء

يسرنا أن نضم الى سلسلة عبير، سلسلة جديدة بعنوان قلوب عبير. ويهمنا أن ننشر هذه السلسلة بغية ارواء شغفك للقراءة وحبك لمطالعة أدب بات الأدب الأكثر رواجاً في عالم اليوم.

ونحن، إذ ننشر اليوم هذه السلسلة الجديدة، نعدك دوماً وكسابق عهدنا، بانتظام اصداراتنا من قلوب عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء أن طبعة قلوب عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجديد والتنويع...

الفصل الأول

لم تستطع تانيا أن تصدق مبلغ تعاسة حظها، لقد كان السبب الذي كان يجعلها تكف عن زيارة شقيقتها في تينيريف هو خوفها من أن تصادف اليخاندرو ولكنها ما كادت تضع قدمها على هذه الأرض الاجنبية، حتى رأته على الفور في المطار ما جعل قلبها يخفق بسرعة، وذهنها يضطرب.

كان بالغ الوسامة، كما تتذكره، اطول قامة من معظم مواطنيه، وكان شعره الأسود اللامع يرتفع بقصته، عن حدود ياقته، وتلك العينان البنيتان الثاقبتان بأهدابهما الكثيفة واللتان طالما أوهنتا عزائمها، مازالتا كما تعهدهما، لو كانت قالت انها لم تشعر بشيء لرؤيته، لكانت كاذبة، ولكنها لا تستطيع تناسي الألم المدمر الذي كانت شعرت به حين علمت انه متزوج.

«تانيا، تانيا، أنا هنا.»

وصل صوت شقيقتها إليها خلال اصوات المسافرين والضجة العالية، ولم تكن هي الوحيدة التي سمعته، فقد أدار اليخاندرو رأسه ينظر في اتجاه شارلين، ومن ثم اخذ ينقل نظراته بينها وبين شقيقتها تانيا، حدث كل ذلك في جزء من الثانية، فقد تلاقت نظراتهما فرأت عيناه تضيقان فجأة قبل أن يتحول انتباهه إلى امرأة رائعة الجمال أمسكت بذراعه ترحب به بحرارة، كانت امرأة ذات شعر أسود متبرجة للغاية وبالغة الأناقة، وازدادت المرارة التي كانت تانيا شعرت

بها، طالما كانت تتساءل عما عسى ان يكون شكل زوجته، وها هي ذي تراها الآن، وتمنت لو ان باستطاعتها ان تستدير عائدة إلى انكلترا، وذلك في نفس الطائرة.

كانت شقيقتها شارلين قد شقت طريقها إلى جانبها تحييها بشوق وحماسة، وعندما عادت تانيا، بعد ذلك تنظر في اتجاه اليخاندرو وجدته قد ذهب، أترى رؤيتها له مجرد تخيلات لا غير؟ ولكن كلا، انها واثقة من انها رأته حقاً، وفيما كانت تفكر في ذلك، إذا ببطاقة تدسّ في يدها، وصوت لا يمكن ان تنساه يهمس في أذنها. «أحب ان اتحدث إليك، فاتصلي بي هاتفياً.»

وسرعان ما اختفى بنفس السرعة التي ظهر بها، ونظرت شقيقتها إليها بحيرة: «أتراه هو حقاً؟»

فأومأت تانيا تجيب: «انه هو نفسه.»

«لا يمكنني تصديق ذلك، فأثناء هذه السنتين اللتين أمضيتهما هنا، لم أره حتى ولا مرة واحدة.»

فتمتمت تانيا: «اعرف هذا فقد كنت اخبرتني به، وكان هذا ما اقنعني اخيراً بالحضور إلى هنا، ويا ليتني لم احضر... فهو سيدمر إجازتي.»

«كلام فارغ، فأنت لن تريه مرة أخرى، ما الذي يريده منك، على كل حال؟»

«قال انه يريد أن يتحدث إليّ؟»

فقالت شارلين ساخطة: «يا لوقاحته، هل هذا عنوانه؟» واختطفت البطاقة من يد شقيقتها ومزقتها قطعاً صغيرة ذرتها في الهواء.

كانت شارلين هي اكبرهما، كما كانت اطول واكثر طلاقة

في الحديث عن نفسها، ولم يكن هذا يعني ان تانيا كان ينقصها الثقة بنفسها، فهذا غير صحيح على الاطلاق، لقد كانتا نشأتا منفصلتين في ظل أسر رعتهما بالتعاقب من بعد فقدانهما والديهما في سن بالغ الحساسية، وكانت حياتهما غالباً، غير سعيدة إذ كثيراً ما كان عليهما ان تعيلا نفسيهما.

قالت شارلين وهي تحمل حقيبة تانيا: «هيا بنا، فسيارتي في الموقف، ولننسى تماماً أننا رأينا ذلك الرجل، والذي لا شك أنه يحمل النحس.»

كان دفء هذا النهار بعد جوّ انكلترا الشتوي البارد، كان يرسل الغبطة والبهجة في النفوس، وخلعت سترتها وهي تسير، مفكرة في أليخاندرو والذي كانت رؤيتها له قد بعثت الكآبة في نفسها، ولكنها كانت صممت على ألا تدع ذلك يوهن من عزيمتها وقد يكون الحق مع شارلين في قولها انهما لن يرياه مرة أخرى.

«ها قد وصلنا قالت شقيقتها ذلك وهي تفتح صندوق سيارة بيضاء أنيقة وتضع حقيبة تانيا في داخلها.

وسرعان ما نسيتا اليخاندرو وهما تغادران المطار، واخذت تانيا تنظر باهتمام إلى ما يحيط بهما، الجبال الشاهقة الجرداء البعيدة وقد غابت قممها في الضباب، الأراضي الممتدة والقاحلة إلا من نباتات شائكة متشابكة، وبعض المباني احياناً بعضها صناعي، والبعض الآخر أنشيء بغرض تطويرها إلى اماكن لقضاء إجازات قريبة من الشاطيء.

كان كل شيء جديراً ومثيراً ولم تشأ ان تفوتها رؤية أي منها، وكانت شارلين قد انتقلت حديثاً إلى العيش مع أسرة

كانت ابنتها تعمل في نفس الفندق الذي تعمل هي فيه فأصبحتا صديقتين حميمتين، وقد وافقت والدة الفتاة على استضافة تانيا، هي أيضاً، اثناء إجازتها، وقد صعب على تانيا تصديق هذا الكرم من تلك المرأة نحو فتاة غريبة تماماً مثلها.

وما لبثتا ان تحولتا عن طريق السيارات العام في طريق متعرج تحف به نباتات الصبار وأزهار تشبه الأقحوان، إلى حيث اخترقتا قرية متربة كان رجال مسنون يجلسون خارج ابواب مقاهيها وأولاد يلعبون بكرة القدم، أو يركبون العجلات الهوائية، كما مرتا بعدة بيوت منعزلة في ضواحيها، كان بعضها مدهوناً بلون أبيض، وبعضها الآخر ما زال بلون الأسمنت. ولكن عندما وقفت شارلين امام أحد المباني غير المدهونة، نظرت تانيا اليها عابسة وهي تقول: «هل هذا هو المكان الذي تسكنين فيه؟»

فابتسمت شارلين وهي تومىء مجيبة: «انه ليس كما يبدو للرائي، فهو جميل، من الداخل، كأكثر هذه المباني، فالمظهر الخارجي خدّاع، وقد اخبروني مرة بأن السكان هنا لا يهمهم مظهر البيت الخارجي مثلنا، ولكنني عدت فعرفت أن السبب الحقيقي هو أن ليس عليهم أن يدفعوا ضرائب على المباني غير المنتهية، والحكومة تقوم احياناً بحملات اعلانية لتجعل الناس تدهن بيوتها باللون الأبيض، ولكن دون جدوى.

تبعت تانيا شقيقتها إلى الداخل ومازال الشك في ملامحها، كان المنزل المؤلف من طابق واحد يبدو غريباً في شكله، وكأن هناك غرفاً فيه سيكتمل بناؤها حين تدعو

حاجة إلى ذلك، وكان هناك جدار يعين حدود الملك، ولكن لم تكن هناك حديقة بالمعنى المفهوم، وإنما بعض النباتات النامية دون انتظام.

كانت النوافذ كلها مقفلة بمصاريع خشبية مصقولة، كما كان الباب الأمامي خشبياً هو أيضاً، كان في الواقع مزخرفاً منمقاً ذا مظهر فخم بدا شاذاً بالنسبة إلى ما يحيط به، ولكن عندما أصبحتا في الداخل، رأت تانيا ما كانت شارلين تعنيه، كانت الردهة ببرودتها المنعشة ونظافتها، ذات أرض مبلطة بالقرميد، وقد قامت في زاوية منها، كرسي مصقولة، كما كانت النباتات تملأ انحاءها وجدرانها، فبدت وكأنها واحة في صحراء.

في غرفة الجلوس كانت والدة صديقة شارلين في انتظارهما للترحيب بهما، وعندما تقدمت شارلين بشقيقتها اليها متحدثة بالاسبانية بطلاقة، ابتسمت هي للفتاة بحرارة ومدت يدها إليها مصافحة، وابتسمت لها تانيا بدورها قائلة: «ان استضافتك لي هنا هو لطف بالغ منك.»

ابلغتها شقيقتها ان السيدة غويرا مسرورة جداً بها وترحب بها في منزلها، وعليها أن تعتبر نفسها في بيتها وتتصرف فيه خروجاً ودخولاً كما تشاء دون قلق من أن تزعجهم.

شعرت تانيا ببالغ الارتياح لكون شقيقتها تتحدث الاسبانية وان كان هذا في الواقع، شرطاً اساسياً لعملها في الفندق، وكانت شارلين في الواقع تتحدث عدة لغات، بينما لم تكن تانيا تتكلم بجانب لغتها، سوى الفرنسية التي تعلمتها في المدرسة.

قالت لها شارلين: «انها سيدة رائعة، لقد مات زوجها منذ

عدة سنوات، ولكنها استطاعت بعده التصرف بشكل يدعو إلى الاعجاب، ومايبيل هي الابنة الوحيدة لها التي بقيت في البيت، ان لها ثلاثة أبناء كلهم متزوجون الآن، رغم انهم يزورونها بكثرة، وهذا يسرها كثيراً، فالمنزل يكاد يضيق بهم عندما يحضرون جميعاً.»

فقالت تانيا بقلق: «أرجو ان لا أضيّق عليهم أنا المكان.»

فأجابت: «كلا، بالطبع، فالسيدة غويرا هي التي اقترحت حضورك.» والتفتت إلى السيدة تقول شيئاً ما، ما لبثت هذه أن ابتسمت وهي تتكلم بسرعة وتشير مطمئنة تانيا بأنها لا تحسب لهم حساباً.

لقد حيرت الغرفة التي كن جالسات فيها، تانيا، بدت وكأنها بنيت منذ مئات السنين... فهي أشبه بالصور التي كانت رأتها تمثل الزمن الماضي، فالأثاث بدا وكأنه مصنوع من خشب السنديان بضخامته وصلابته، كما كانت خزانة الأواني مليئة بالأكواب والصحون، وكانت هناك مقاعد وكراسي تنتشر فوقها وسائد مطرزة باليد، كما كان هناك آنية للزينة، ولوحات وصور فوتوغرافية على الجدران.

أدركت فجأة ان مضيفتها تراقبها، فابتسمت لها معتذرة: «كنت انظر إلى بيتك انه جميل جداً.»

ترجمت شارلين هذا الكلام فابتسمت السيدة، ثم اخذت تانيا إلى غرفتها والتي كانت بجانب غرفة شقيقتها شارلين، كانت هي الأخرى اثاثها من الخشب المتين، وكانت الجدران مدهونة بلون أبيض بسيط، وكان غطاء السرير وحده هو الذي يضفي على الغرفة لوناً متألقاً.

كان أول ما قامت به هو فتح النوافذ، سامحة لأشعة

الشمس الساطعة بالتدفق إلى الغرفة، كانت قمم الجبال الصخرية تطل عليهم، وقد تبدّد ما كانت رأته من الضباب، كما كانت السماء زرقاء صافية، وشعرت تانيا باللهفة إلى استكشاف المكان.

ساعدتها شقيقتها في تنظيم أمتعتها، وبعد ان غيرت ملابسها إلى ثوب صيفي مصنوع من القطن، كانت السيدة غويرا قد أعدت الغداء، كان غطاء أبيض قد نشر على المائدة في غرفة الجلوس، وما أن جلست تانيا حتى كان طعامها يوضع امامها، مكوناً من السمك والبطاطا، المطهية بقشرتها، والجزر والبازيلا.

قالت شارلين باسمة: «السمك لي ولك، وهذا.» واشارت إلى البطاطا. «بطاطا تسلق بقشرتها من ماء شديد الملوحة إلى أن تجف في القدر فيرسب الملح على القشرة، ان الكناريين هنا يطهونه دوماً بهذا الشكل، وأنا أحبه جداً.»

وسرعان ما وافقتها تانيا فيما بعد، على رأيها هذا، كانت وجبة بسيطة ولكنها لذيذة وكافية، وعندما قدمت اليها الفواكه الطازجة بدلاً من الحلوى، في النهاية، لم تستطع تناول المزيد من الطعام، وبعد ذلك جيء بالقهوة، كانت السيدة غويرا مضيفة رائعة رغم عائق اللغة، فقد كانت حركاتها والتعبير الذي يبدو على ملامحها، تجعل تانيا تضحك من كل قلبها.

اخذتها شقيقتها بعد الغداء إلى نزهة قصيرة، وبعد العودة تعرفت إلى ابن السنيورا غويرا، وتناولت وجبة فاخرة وهي تفكر في انها إذا استمرت على هذه الحال، ستكون عند عودتها إلى الوطن سمينة كالخاروف، لقد كان

يوماً حافلاً حقاً، ما جعلها متعبة ومرهقة للغاية، ومع ذلك فقد منعها التفكير في اليخاندرو من النوم.

لقد كان خدعها تماماً، ولم يكن يخطر في بالها قط انه كان يستغلها، وأنه لم يكن يريد سوى إنشاء علاقة يمضي بها الوقت قبل ان يعود إلى تينيريف ليتزوج حبيبة صباه، لشد ما كانت مغفلة، حتى انه كان تحدث اليها عن احضارها إلى هنا، وعن السرور الذي سيتملكه وهو يريها بلاده الحبيبة... وقد صدقته هي، فيا له من وقح معسول اللسان، كل الغضب الذي كانت شعرت به منذ تسع سنوات، عاد اليها الآن مصحوباً بالرغبة في الانتقام، والغليان في داخلها، ما يجعلها تتمنى من كل كيانها لو أنها لم تسمح لنفسها بأن تقتنع بكلام شارلين وتأتي إلى هنا.

ثم لماذا كان يريد أن يكلمها؟ ما الذي كان لديه ليقوله؟ لا شيء على الاطلاق، لقد كان سبّب لها من الألم قدراً غير محدود، وذلك بعد ان منحته كل حبها، فما الذي يريده منها الآن؟ انه آخر شخص تريد ان تتحدث إليه الآن، وهي تتمنى ألا تراه مرة أخرى أبداً.

لم تستطع أن تمنع افكارها من العودة إلى أول لقاء بينهما، كانت في ذلك الحين، في الثامنة عشرة من عمرها، وقد تعارفا في حفلة زفاف صديقة لها، وكان هو يعمل نادلاً في مطعم في الفندق الذي كانت حفلة الزفاف تقام فيه، وسرعان ما تجاذبت مشاعرهما، لم يدر بينهما أي حديث، فقد رفض اليخاندرو ان يجازف بوظيفته إذا هو تبادل الحديث مع أي من الضيوف، ولكنها قرأت في عينيه أنه يريد أن يراها مرة أخرى.

أما كيف عرف المكان الذي كانت تعمل فيه، فهذا ما لم

تعرفه تانيا، ولكنه كان في انتظارها خارج مبنى المكتب، بعد ذلك بيومين، عند فراغها من العمل في الساعة الخامسة، ومضت عدة ثوان لم تستطع اثناءها سوى التحديق إليه بحيرة.

فقال في لكنة انكليزية ثقيلة: «سامحيني، ولكنني رغبت في التعرف إليك.»

«وكيف عرفت مكان عملي؟»

لقد كان أجابها بصراحة: «لقد كنت رأيتك عدة مرات حيث أنني اسكن قريباً من هنا، ولكنني لم أملك الشجاعة الكافية للتحدث إليك، ولكنني اثناء حفلة الزفاف، أدركت ان عليّ ان أقوم بذلك وأرجو ان لا تشعري بالإستياء مني.»

هزت تانيا رأسها نفياً وقد شعرت بالافتتان بهذا الغريب الجذاب، لم تستطع ان تدرك تماماً من أي بلاد هو قادم... ربما اسبانيا أو إيطاليا، هذا إذا حكمت عليه من لون بشرته.

مد لها يده، قائلاً: «إسمي اليخاندرو فازكيز هيريرا وأعتقد ان اسمك هو تانيا، اسم رائع لفتاة رائعة.»

فقالت: «نعم، تانيا إليوت، كيف عرفت اسمي؟»

أجاب باسماً: «بفتح أذني اثناء حفلة الزفاف، هل يمكنني اخذك لتناول فنجان قهوة؟»

فقالت شاعرة بالخجل: «لا بأس.»

ربما كان خجلها هذا لأنه غريب، ولكن رأيها فيه كان أنه اكثر الرجال الذين عرفتهم إثارة.

سارت بجانبه، وهي تلاحظ نظرات زملائها الفضولية التي انصبت عليها، غداً ستنهال عليها الأسئلة.

وسألته: «هل تعيش في انكلترا بشكل دائم؟»

فهز رأسه نفياً: «كلا، انني هنا لدراسة اللغة الانكليزية، فانا أدرسها في معهد وأعمل في نفس الوقت لكي أسدد نفقات الدراسة ونفقات معيشتي معاً.»

قالت تخفي خيبتها لأنه سيعود إلى بلاده، يوماً ما: «ان انكليزيتك تبدو لي جيدة.»

فقال يوافقها على ذلك وهو يرفع كتفيه بإشارة تواضع: «نعم، فقد تحسنت، فقد أمضيت هنا اثني عشر شهراً الآن، وقد استمتعت بإقامتي هنا جداً.»

«إلى متى تنوي الإقامة؟» وانتظرت جوابه حابسة انفاسها، لو كان ينوي العودة إلى وطنه قريباً، فسيكون هذا من سوء حظها.

ولكنه أجاب قائلاً: «انني غير مستعجل.»

فلم تستطع مقاومة الابتسام بارتياح وهي تقول: «من أي بلاد أنت؟»

«من جزر كناري... تينيريف، بالضبط، ألم تسافري قط إلى هناك؟»

فهزت تانيا رأسها نفياً.

«لابد ان تذهبي اليها، إذن انها جزر رائعة الجمال، انها تنتمي سياسياً إلى اسبانيا ولكننا نفضل اعتبار أنفسنا مستقلين.»

فقالت مظهرة جهلها: «انني لا اعرف موقعها جغرافياً.»

فابتسم ببطء: «انها في المحيط الأطلسي، بعد الشاطىء الأفريقي مباشرة، الطقس هناك رائع، اسألي أياً من سكان كناري عن أهم ميزة للجزر، يجيب على الفور أنه الجو، فهو نعمتنا، وهو الذي يشجع السياحة وازدهار الاقتصاد.»

«ما رأيك إذن في انكلترا؟»

تحولت الابتسامة إلى عبوس: «ما رأيي؟ لقد اعتدت عليه الآن، ولكنه كان شديد البرودة أول مجيئي، فعجبت كيف تحتملونه، ولكنني الآن أرى انكلترا رائعة الجمال... ليس بجمال تينيريف طبعاً، ولكن...» سكت ثم قال ضاحكاً: «انني أمزح... ان بلادك وبلادي متساويتان، ولكل لكل منهما جمالها الخاص، هل هذا صحيح؟»

فأمأت إيجاباً، ضاحكة هي أيضاً لديبلوماسيته هذه.

وقف امام مقهى معروف كان غير مزدحم في هذا الوقت من النهار، ثم سألها: «هل تحبين تناول القهوة هنا؟»

لم يكن لدى تانيا فكرة عما دار بينهما من حديث، بعد ذلك، تذكرت فقط أنه قال ان أمه متوفاة، وان لديه عدة أخوة وأخوات، وكلهم أصغر منه سناً، ولكنها لا تذكر شيئاً عدا هذا، كل ما تعرفه انها أمضت معه وقتاً رائعاً، وان اليخاندرو لم يعد شخصاً غريباً، بل رجلاً دافىء المشاعر حلو النكتة جعلها سعيدة طوال الوقت ما جعله يدخل قلبها نوعاً ما، رغم تلك المدة القصيرة من الوقت.

لم تستطع النوم في تلك الليلة بسبب التفكير فيه، ولم تستطع الصبر إلى موعدهما القادم، كان لديه أمسية فراغ واحدة في الأسبوع، كما اخبرها بأسف، ولكن هذا الأسبوع كان لديه يوم الأحد بأكمله عطلة، وهو شديد الرغبة في رؤيتها أثناءه.

كانت تانيا تعيش في غرفة صغيرة على سطح منزل قديم الطراز في ضواحي بيرمنغهام، وجدها لها مجلس المدينة، بعد أن وصلت إلى السن الذي أصبحت فيه كبيرة على ان يرعاها

أحد، وقد أرادتها شقيقتها شارلين ان تأتي لتسكن معها في شقة اكبر واكثر راحة، ولكن تانيا فضلت ان تستقل بحياتها.

وفي الأسابيع التالية اخذت تانيا ترى اليخاندرو قدر المستطاع، حيث انه كان يعمل ساعات اضافية ومازال يأخذ دروساً في اللغة الانكليزية في أوقات فراغه، كانت علاقتهما عاطفية عميقة، فكل منهما كان يرى الآخر وكأنه كان يعرفه منذ زمن بعيد، ويكره الساعات التي كانت تفصلهما، ولا يشعران بالاكتفاء من رؤية احدهما للآخر.

عندما تعرفت إليه شقيقتها، تأثرت به مثلها، فقالت لها: «يا لك من محظوظة ولكن كوني حذرة، ولا تنسي أنه سيعود إلى بلاده يوماً ما.»

أجابت تانيا: «نعم، ولكنه سيأخذني معه، وقد تحدث إليّ بذلك.»

فنظرت إليها شارلين متشككة: «أليس هذا ما يقولونه جميعاً؟ انني اكبر منك، يا تانيا، فأنا اعرف ما هم الرجال.»

لكن تانيا لم تكن لتستمتع إلى أي شيء سيء عن اليخاندرو، وأمضت ثلاثة أشهر بلغت فيه علاقتهما الغاية في عنفها، فكانت تزداد يوماً بعد يوم ثقة في حبها له، وان لم تفصح في الواقع عن مشاعرها هذه كلياً، وكذلك هو.

كان يبدي حبه بمختلف الطرق... في اهتمامه بها، في الهدايا الصغيرة التي كان يشتريها لها... والتي لم تكن غالية الثمن... وردة، شيكولاته، مجلة، روائح للحمام، ولكنها في نظر تانيا، كانت بقيمة الجواهر والذهب.

كان يأتي دوماً إلى الشقة لأجلها، وقد اخذها مرة إلى غرفته في الفندق، وان كان الموظفون في العادة غير

مسموح لهم احضار اصدقاء من الجنس الآخر إلى غرفهم، ولكنها كانت تطلب على الدوام، ان ترى مكان نومه ما جعله يذعن في النهاية.

كم من المرات اخذت تتمنى فيها لو انها لم تذهب إلى هناك؟ كانت بنفس ضيق غرفتها، ولكنها أقل نظاماً بكثير، وعندما تبرعت بصنع القهوة لهما لم تستطع تجنب رؤية الرسالة الملقاة على الخزانة حيث كان أبريق الشاي موجوداً عليها.

مرت عيناها على الصفحة المكتوبة قبل أن تدرك ما كانت تفعله، ولكنها ما ان ابتدأت حتى لم تعد تستطيع التوقف، كانت الرسالة من والد اليخاندرو، ومن المدهش أنها كانت مكتوبة بالانكليزية... ربما كان ذلك اعترافاً منه بتقدم ابنه في الانكليزية، ورغم ان لغة والده الانكليزية لم تكن جيدة جداً، فقد استطاعت تانيا أن تفهم منها أنه كان يسأل عن موعد عودته إلى الوطن، لأن جوانيتا كاد صبرها أن يفرغ، وقد حان الوقت لكي يعود ويرتب أمور زفافه، والذي طال الأمد عليه.

زفافه؟ وشعرت بالدم يهرب من وجهها، ودون تفكير، أخذت الرسالة ودستها تحت أنف اليخاندرو: «انظر، ما الذي تقوله هذه الرسالة؟»

فقال لها بهدوء: «ما كان لك ان تقرأي هذه، يا تانيا.»

فصرخت: «ولكنني قرأتها، وأريد ان اعرف كل شيء عن هذه الفتاة، جوانيتا هذه، لماذا لم تخبرني عنها؟ تباً لك، لو كنت عرفت أن كل ما كان يهمك هو علاقة عابرة معي، إذن...»

فقاطعها بحدة: «ليست هذه هي المسألة.»

حملقت فيه بارتياب: «كلا؟ ولكنها تبدو كذلك تماماً، بالنسبة إلي، اتنكر ان هناك فتاة أخرى في حياتك؟»

فقال بقوة: «نعم، أنكر.»

«من هي جوانيتا إذن؟»

«صديقة العمر، صديقة الأسرة، لقد نشأنا في الواقع، معاً.»

فقالت غير مصدقة: «صديقة؟ لا يبدو لي أنها مجرد صديقة.»

فقال معترفاً: «ربما كان الأمر اكثر من ذلك، ذات يوم، ولكن ذلك انتهى منذ وقت طويل، وقد سبق وكتبت إليها اخبرها عنك.»

فهزت رأسها... كانت تريد أن تصدقه ولكنها لم تستطع، لو أنه كان كتب ذلك إلى جوانيتا، لأخبرت به والده حتماً، خصوصاً إذا كانت الأسرتان متآلفتين حقاً، فهمست تقول: «انت تكذب، انك تحاول ان تجد مخرجاً من ذلك، حسناً، لا تزعج نفسك، فقد انتهى كل شيء، وأنا لا أريد منك شيئاً بعد الآن، فأنت مجرد أفعى خداعة تتسلل بين الأعشاب... انني راحلة، فاذهب أنت إلى جوانيتا.» والتقطت سترتها ثم توجهت نحو الباب.

فتبعها صوته: «تانيا، قفي، دعيني أشرح لك الأمر، لا تتركيني بهذا الشكل.»

قالت له من فوق كتفها: «وماذا هناك لتشرحه؟ ان كل شيء واضح، لقد كنت تتسلى معي، هكذا وبكل بساطة، لقد كنت تريد فتاة تمضي معها الوقت حتى حين عودتك إلى حبك الحقيقي، إنني أشعر بالأسف لأجلها، هل تعرف هذا؟ وإني لأتساءل عما إذا كانت تعرف أي نوع من الرجال ستتزوج.»

قال وقد التهبت عيناه: «اتظنين حقاً أنني من الممكن ان اتصرف بهذا الشكل السيء؟»

فصاحت تقول: «نعم، انت هكذا، فأنا لا اظن فقط، وإنما هنالك برهان على ذلك في رسالة والدك، وداعاً، يا اليخاندرو.» صفقت الباب خلفها وركضت في الممر إلى حيث هبطت السلم إلى أرض الفندق ومنه إلى الشارع، ولم تهدىء من سرعتها إلا بعد أن غاب الفندق عن بصرها، ولكنها لم تستسلم إلى البكاء إلا بعد أن لجأت إلى سريرها.

لم تشعر في حياتها قط بمثل هذا الإذلال، لقد كانت حقاً تظن انها تعني شيئاً بالنسبة إليه، ولكن الحق كان مع اختها، لو أنها فقط اصغت إليها، لو انها فقط لم تسمح لنفسها بالإنغماس في حبه إلى هذا الحد.

مضى يومان لم تترك تانيا أثناءهما شقتها، فقد كان وجهها منتفخاً لكثرة البكاء إلى حد جعلها تخجل من الذهاب إلى عملها... حتى انها لم يهمها أن تفقد عملها، فالحياة قد اصبحت فجأة قاسية.

كانت قد ظنت أن اليخاندرو لا بد أن يتصل بها... وأنه سيأتي إليها ويشرح لها كل شيء، معلناً لها حبه، ان يقول ان والده كان مخطئاً... ولكنها لم تسمع منه شيئاً، واستحال اليومان إلى أسبوع... أسبوع من التعاسة الخالصة، وعندما لم تعد تستطيع الصبر، ابتلعت كبرياءها وذهبت إلى الفندق الذي يعمل فيه، فعلاقتهما لا يمكن أن تنتهي بهذا الشكل، انها لن تسمح بذلك، ربما كان الحق معه وهي المخطئة، ربما صحيح أنه كان كتب إلى جوانيتا يخبرها عنها، كما قال، ربما ينبغي عليها أن تبرئه لانعدام الدليل الكافي على خيانته.

ولكن خبر عودته إلى بلاده اصابها بالشلل، فقد كانت

الصدمة لسماعها هذا أشد قسوة تقريباً من معرفتها بأن لديه فتاة أخرى، ذلك أنه رحل دون أية كلمة... دون أن يحاول اصلاح الأمور بينهما، لقد انتهى الأمر... انتهى كل شيء.

وعندما أعلنت شقيقتها انها قبلت وظيفة نائبة مدير في فندق صغير في مدينة شيفيلد، قبلت تانيا على الفور دعوة شقيقتها لها للذهاب والإقامة معها.

مرت عدة أشهر أخذت تانيا اثناءها تعود إلى الحياة، فقد استقرت في وظيفة جديدة هي سكرتيرة في شركة لأجهزة الكمبيوتر، ومن ثم صممت على نبذ ذكرى اليخاندرو من ذهنها، إلى ان جاءتها شارلين ذات يوم بخبر سمعته وهو أن اليخاندرو قد تزوج، وفتحت تانيا فمها ذهولاً، شاعرة بأن شخصاً ما قد رفس ساقيها من تحتها، فانهارت على أقرب مقعد، وما لبثت أن استطاعت ان تهمس: «تزوج جوانيتا؟»

فأومأت شارلين إيجاباً، ثم قالت: «انني آسفة، يا تانيا، ولكنني رأيت من الأفضل أن تعلمي، والآن ستصبحين قادرة على العودة إلى حياتك الطبيعية فتقبلين التعرف إلى بعض هؤلاء الشبان الذين يرغبون في التقدم اليك.»

«ولكن كيف... كيف عرفت ذلك؟» سألتها تانيا هذا وقد شحب وجهها واتسعت عيناها اضطراباً.

«كنت اتحدث إلى أحد النزلاء القادمين من بلده تينيريف، وصادف أن ذكرت له معرفتي باليخاندرو فظهر أنه يعرفه... أو يسمع به على الأقل.»

فازدردت تانيا غصة في حلقها، وعادت تسأل: «منذ متى تزوج؟»

فهزت شارلين كتفيها: «لا أدري، انه لم يذكر ذلك.»

وعندما استلقت تانيا في فراشها تلك الليلة، أدركت ان أمرها مع اليخاندرو قد انتهى حقاً، لم تكن قد اعترفت، حتى لنفسها، بأنها كانت ما تزال ترجو عودته إليها... وأنه سيقتفي أثرها ليبوح لها بحبه، ولكن كل هذا قد انتهى الآن.

ولكنها مازالت لا تستطيع ان تصدق أنه كان يظهر لها كل تلك الحرارة وذلك الحب، بينما هنالك فتاة أخرى في قلبه، لقد ظنت حقاً أنه يحبها بكل صدق واخلاص، ولم يخطر في بالها قط أن كل ذلك لم يكن سوى تمثيل ولهو.

بعد هذه الصدمة الأخيرة لكبريائها قررت تانيا أنها حبست نفسها في الداخل زمناً كافياً، وقد حان الوقت للخروج والتعرف إلى الشبان والاستمتاع بصحبتهم، ولكنها لن تسمح لنفسها أبداً، وعلى الاطلاق بأن تورط نفسها مرة أخرى في الحب، انها ستكون كشقيقتها سيدة أعمال ناجحة.

سارت الأمور على مايرام لمدة سنتين، عندما تعرفت إلى بيتر، كان رائعاً دافىء المشاعر ورقيقاً للغاية، وهكذا أحبته، ولكن هذا الحب لم يكن يماثل في شيء حبها السابق لأليخاندرو، فقد كان حبها هذا الآن أقرب ما يكون إلى علاقة شاعرية اكثر رقة وحناناً، لا يصحبها ذلك العنف والجوع في المشاعر والذي يصعد بها إلى النجوم ويطير بها مع النسور، ولكنها رغم هذا كانت قانعة راضية، وبعد ذلك بسنة كانا متزوجين، وبعد ذلك بثلاث سنوات، مات بيتر إثر مرض عضال طال أمده، وسحق تانيا الألم... فقد عانت من خسارتين هائلتين وهي لما تكد تكمل الرابعة والعشرين من عمرها.

إستغرق منها تمالك نفسها وقتاً طويلاً، ولكنها استطاعت

ذلك، وعندما قدمت طلباً بالترقية وحصلت على وظيفة نائبة مدير شركة للسلع الخفيفة، وضعت قلبها وروحها في العمل، ولم تكن تمانع حين كان رئيسها جون دريك يطلب منها العمل ساعات طويلة، إلى حد كان يجعلها أحياناً تسقط في فراشها وهي من الإرهاق بحيث تكون واثقة من انها لن تتمكن من سماع المنبه في الصباح التالي، ولكنها كانت دوماً تسمعه... وهكذا وبشكل ما تمكنت من متابعة العمل.

وعندما أعلنت شارلين، ذات يوم بأنه عرض عليها إدارة فندق كبير في تينيريف، لم تستطع تانيا أن تصدق، فقد أعاد ذكر اسم بلد اليخاندرو مرارة الذكريات، ولم تستطع قوة في الوجود أن تقنعها بالذهاب مع شقيقتها إلى هناك، رغم اجتهاد شقيقتها في اقناعها بذلك، فقد بقيت تانيا مصرة على قولها: «ان لديّ بيتي الآن هنا وهو يعجبني.»

فقالت شارلين: «واظنك ستحاولين اقناعي بأن لا دخل لرفضك هذا باليخاندرو؟»

فأجابت تانيا: «كلا، لن أحاول هذا، لأنه هو حقاً السبب في رفضي القدوم معك، فانا لا أريد ان اقابل ذلك الرجل مرة أخرى.»

قالت شارلين عابسة: «هل مازلت متعلقة به؟ لقد كنت اظن ان مشاعرك تلك نحوه قد ماتت عندما تزوجت من بيتر، ذلك أنك لم تأت على ذكره منذ سنوات.»

فقالت تانيا بهدوء: «انه كان أول حب في حياتي، ولن أنساه على الاطلاق.»

الفصل الثاني

أخذت شارلين عدة أيام عطلة من عملها لكي تجول بأختها في أنحاء المدينة، وكان هناك الكثير مما يستحب رؤيته ويثير الاعجاب والحماسة ما أبعد عن تانيا القلق من ناحية أليخاندرو رغم أنها، بينها وبين نفسها، كانت تتمنى لو أن أختها لم تمزق بطاقته... لم تكن تريد أبداً أن تتصل به، إنما هو الفضول فقط لمعرفة أين يقيم.

كانت السيدة غويرا خياطة معروفة بأنها الأكثر مهارة في الجزيرة، ومع اقتراب عيد الكرنفال السنوي في تينيريف، والذي كان موعده بعد أسبوعين فقط، انشغلت بإنهاء أزياء العيد التي طلب منها خياطتها. فكان الزبائن يتوافدون دون انقطاع، إلى منزلها، حيث كانوا يقيسون الأزياء أو يستلمون الجاهز.

كانت تانيا تحب الخياطة، فأخذت تهتم بما كان يحدث حولها، وغالباً ما أصبحت السيدة غويرا، أو ماتيلدا كما كانت تحب أن ينادوها، أصبحت تنادي تانيا لكي تأتي وتعطي رأيها في الثوب الذي كانت الزبونة تقيسه على جسمها.

وعندما وقفت أمام الباب سيارة مرسيدس ذات لون قاتم الحمرة، في عصر أحد الأيام، لم تهتم تانيا بذلك، إلى أن رأت السائق ورفيقته. اليخاندرو وزوجته! هذا غير ممكن... ولكنه كان ذلك فعلاً. ولم تستطع أن تصدق سوء حظها هذا. وكانت قد سبق و أخبرت ماتيلدا بأنها تحب أن ترى هذا الثوب أثناء قياس صاحبته له. وهكذا لم يكن ثمة مهرب.

أخذ قلبها يخفق بعنف، ولكنها عندما أخذت تنظر إلى السيارة من نافذة غرفتها، رأت اليخاندرو يبتعد بالسيارة، تاركاً زوجته تدخل البيت وحدها وكان في هذا ما أشعرها بشيء من الارتياح.

استغرق نزولها إلى غرفة الخياطة خمس دقائق كاملة... خمس دقائق لتتمالك فيها نفسها واعصابها وتهدئة افكارها وارتجاف جسمها. ومع أن مواجهة اليخاندرو أمكنها تجنبها، إلا أن اجتماعها بزوجته كان يضاهي ذلك شدة وسوءاً. كيف ستتمكن من أن تكون مهذبة مع المرأة التي تزوجت حبيبها؟

ابتسمت لها ماتيلدا وهي تدخل، ثم قامت بواجب التعارف بينهما بلغتها الاسبانية السريعة للغاية، كعادتها في الحديث، ما جعل تانيا غير واثقة من اسم المرأة، رغم أنها لم تكن بحاجة إلى من يخبرها به.

وعندما أخذت تانيا تراقب قياس الثوب ووضع الدبابيس، أخذت تتأمل جوانيتا خفية. لم يكن ثمة غرابة في أن يحبها أليخاندرو، فقد كانت رائعة الجمال. فتيات تينيريف كلهن رائعات الجمال، كما كانت لاحظت. ولكن جمال هذه المرأة كان من النوع الهادىء الصافي الذي كان ينبع من داخلها.

قالت المرأة وهي تنظر إليها في المرآة وقد اتسعت ابتسامتها وبدت أسنانها المنتظمة الناصعة البياض، قالت لها تسألها: «هل أنت انكليزية؟» وعندما اومأت تانيا إيجاباً قالت: «إن زوجي... علمني قليلاً من الإنكليزية، ولكنني لا استعملها كثيراً. إنني لم أسافر الى انكلترا قط لأن زوجي يقول إن الجو هناك بارد جداً.»

أومأت تانيا باسمة: «إنه كذلك أحياناً. وهو فصل الشتاء عندنا الآن، وقد كان الثلج يتساقط عند سفري.»

فضحكت جوانيتا: «وهو فصل الشتاء عندنا أيضاً، وهو ليس دافئاً تماماً، أليس كذلك؟»

أجابت تانيا: «إنه دافىء جداً بالنسبة إلي. إنكم محظوظون حقاً بمثل هذا الجو الرائع.»

ولولا هذه المرأة الجميلة، لكانت هي، تانيا تعيش في هذه البلاد، أيضاً وتوتر فمها لدى هذه الفكرة.

عند ذلك عبست المرأة والتفتت تنظر إليها مباشرة وهي تسألها بقلق: «هل ثمة أمر سيء؟»

فهزت تانيا رأسها وقالت بابتسامة مغتصبة: «إنها مجرد فكرة خطرت لي، لا شيء يستدعي الاهتمام. إن ثوبك جميل جداً. هل اعتدت القيام بدور ما في عيد الكرنفال كل سنة؟»

«نعم، وكذلك زوجي أحياناً ولكنه هذه السنة يقول إنه مشغول جداً، فوقته مزدحم بالعمل.»

كان هذا سبب تركه لها وعودته إلى عمله أثناء قياس الثوب. ولكنه سيعود، وكانت تانيا قد عزمت على عدم البقاء هنا أثناء ذلك. فهي ستقفل عليها باب غرفتها إلى حين ذهابه.

«هل ستأتين لرؤية العرض الكبير؟ كل شيء يتوقف أثناء ذلك، حتى زوجي سيأخذ إجازة في ذلك اليوم. يمكنك أن تأتي معه إذا شئت.»

تمكنت من الاحتفاظ بابتسامتها وهي تقول: «أنت في غاية اللطف ولكنني سأذهب مع أختي.»

«آه، أختك. لقد كانت ماتيلدا حدثتني عنها. إنها تسكن في هذا المنزل، أليس كذلك؟ هل هي تعمل في فندق؟»

فأومأت تانيا مجيبة.

«هل هي هنا في تينيريف منذ وقت طويل؟»

«نعم، منذ سنتين.»

«ولماذا لم تزوريها قبل الآن؟»

كان جواب هذا السؤال يضطرب في داخل تانيا، متلهفاً للخروج، والذي كان، (لأن الرجل الذي أحببته قد تزوجك). ولكن هذه الكلمات لن تخرج أبداً من بين شفتيها. ومن الغريب أن تانيا وجدت نفسها وقد ابتدأت تحب هذه المرأة، تحبها كإنسان، فهي تكرهها فقط لأنها تزوجت أليخاندرو. فقالت تجيبها: «لقد كنت مشغولة جداً.»

«وهل تعجبك مدينتنا تينيريف هذه؟»

«جداً، رغم القليل الذي رأيته فيها حتى الآن.»

«يجب أن تأتي لزيارتنا، أنا وزوجي، إن ذلك سيسرنا جداً.»

بهتت ابتسامة تانيا: «إنك في غاية اللطف اشكرك جداً. ولكنني غير واثقة من أنه سيكون لدي الوقت لذلك. فهنالك الكثير مما علي أن أراه وأقوم به.»

وتملكها الارتياح عندما أخذت ماتيلدا تتكلم، منهية بذلك حديثهما وما لبثت جوانيتا أن دخلت إلى خلف الستار لتخلع الثوب. أرادت تانيا أن تهرب ولكن ماتيلدا اشارت إليها بأنها ستذهب لتصنع القهوة وأنها تريدها أن تتناولها معهما.

وهكذا أمضت تانيا ربع الساعة الأخير، على أحر من الجمر، وما أن ظنت أن بإمكانها أن تعتذر وتتركهما، حتى سمعت صوت سيارة اليخاندرو تقف في الخارج، ثم الباب وهو يقرع بقوة.

ذهبت ماتيلدا لتفتحه بينما أخذت جوانيتا تتكلم، ولكن تانيا لم تسمع شيئاً مما كانت تقول. فقد كان كل ما يشغل بالها هو أنها، في أي لحظة الآن ستقابل أليخاندرو وجهاً لوجه إنها على الأقل، قد سبق تنبيهها إلى ذلك، ولكنه ليس لديه فكرة عن أن الفتاة التي ربطته بها ذات يوم علاقة عنيفة، هي الآن جالسة تتحدث إلى زوجته. سيكون من الممتع حقاً رؤية تأثير ذلك عليه.

لكنه، والحق يقال، لم يبد عليه أكثر من اهتزاز خفيف في فكه تعبيراً عن دهشته لرؤيتها، لم تلاحظها أي من المرأتين الأخريتين، على الأغلب.

ابتدأت ماتيلدا بتقديم بعضهما إلى بعض، ولكنه اسكتها ويبدو أنه اخبرها بأنهما سبق لهما التعارف من قبل. فقد كانت الدهشة في عينيها وهي تلقي عليها نظرة سريعة عادت بعدها إلى النظر إليه.

لكن انتباهه كان قد تركز الآن على تانيا، ما جعل خفقات قلبها تتسارع وهي تنظر اليه والذي دلها على أن التجاذب بينهما ما زال موجوداً.

لم تكن توقعت قط أن يتملكها هذا النوع من المشاعر فقد كانت الكراهية وزوال الغشاوة عن عينيها بعد اتضاح حقيقته لها، كانت هذه المشاعر قد تملكتها زمناً طويلاً ما جعلها تظن كل شعور سواه قد اندثر وانتهى. ولهذا كانت صدمة لها أن ترى أن نوعاً من السيطرة العاطفية ما زالت له عليها.

«إذن، فقد عدنا وتقابلنا، يا تانيا.» لم يكن في صوته أي دفء، كان منعزلاً مبتعداً بنفسه عنها، ما جعل الأمر يبدو غريباً بالنسبة إلى اصراره في المطار على التحدث إليها.

نظرت إلى البرودة في عينيه، والتي تماثل الصقيع في عينيها، وأجابت: «نعم، لسوء الحظ، وإذا أذنت لي، فقد كنت على وشك الصعود إلى غرفتي.»

فقطب حاجبيه: «هل تسكنين... مع ماتيلدا؟»

أجابت بحدة: «نعم، وكذلك شارلين.»

«إلى متى؟» وكان في لهجته ما يشبه الاتهام.

«إنني هنا لمدة شهر واحد، فأنا في إجازة. ولكن شارلين تسكن هنا بشكل دائم.»

سكت لحظة، ثم قال: «لم أكن أعلم هذا، فماتيلدا لم تذكر هذا قط.»

«ليس ثمة سبب يجعلها تذكره.» ورفعت يدها تزيح خصلة شعر عن وجهها، فإذا به يلمح خاتم الزواج في إصبعها والذي كانت ما تزال تضعه. بانت عليه دهشة مفاجئة وضاقت عيناه. أما لماذا هذه الدهشة منه، فهي لم تكن تدري. فتسع سنوات مدة طويلة للبقاء عزباء تبحث عن رجل كانت أحبته ذات يوم.

قالت بهدوء وبرودة: «الوداع، اليخاندرو.» ثم اومأت برأسها لزوجته ولماتيلدا ثم غادرت الغرفة.

لكنها عندما رأته يتبعها نظرت إليه بحيرة، فقال: «أظن هنالك الكثير بيننا ينبغي أن نتحدث عنه يا تانيا.»

فرفعت حاجبيها: «أحقاً؟»

أذهلها غضبه وهو يقول لها: «إنني أعرف أنه لم يعد لديك أي شعور نحوي، ولكن...»

فقاطعته بسرعة: «هذا صحيح، وهذه هي المسألة، أليس كذلك؟ لم يعد لدى أي منا أية مشاعر. لقد انتهى كل شيء وذلك

منذ عهد بعيد، فماذا بقي هناك ليقال؟ إنني لست من نوع الأشخاص الذين يختزنون مشاعر عن الماضي، على الأقل عندما نفترق في مثل ذلك الشكل السيء، إنني أفضل ترك الأمور كما هي.»

«أحب أن اعرف كيف كانت حياتك.»

فعادت ترفع حاجبيها المنمقين: «أحقاً؟»

«أنت متزوجة!» وكان هذا تقرير حالة أكثر منه سؤالاً.

قالت بهدوء: «الواقع إنني كنت متزوجة.»

فقطب جبينه بسرعة: «هل أنت مطلقة؟»

أجابت: «بل أنا أرملة.»

«آه، أنا آسف. أقدم إليك التعازي.»

أجابته ببرود: «شكراً.»

«ولكنني ما زلت أريد التحدث إليك.»

هزت رأسها بحزم: «لا شيء هناك للتحدث عنه، وسيكون هذا مضيعة للوقت تماماً. وداعاً يا أليخاندرو.»

لم تكن تتوقع منه أن يدعها تذهب، ولكن هذا ما فعله، رغم أنها أحست به يراقبها وهي تجتاز الممر الضيق نحو غرفتها.

ولم تنتبه تانيا إلى أنها كانت تحبس أنفاسها إلا بعد أن اغلقت الباب خلفها، كان الأمر أسوأ مما كانت تتوقع. لقد تبدد غضبها على مر السنين بعد ان أعاد إليها بيتر صحة ورجاحة عقلها، وجعلها ترى أن ليس بإمكانها الاستمرار في التفكير في الماضي إلى الأبد. ولكن الذي لم تتذكره هو التجاذب العاطفي، فهذا لم يهدأ أو يتبدد، وستكون كارثة حقاً لو أنها رأته مرة أخرى.

في الواقع، لقد استغربت جداً أنها ما زالت تكن له نفس

المشاعر... هذا الانجذاب البالغ إليه. كان هذا غير حقيقي، فكل شيء مات وانتهى منذ تسع سنوات... أو هذا ما كانت تظنه.

وقفت عند النافذة، وبعد أقل من خمس دقائق رأته عند السيارة يفتح بابها لزوجته، ثم يقف لحظة قبل أن يدخلها هو نفسه وهو ينظر خلفه إلى المنزل وكأنه كان يعلم أنها خلف مصراع النافذة تنظر إليه. ورغم أن تانيا كانت تعلم أنه لا يستطيع رؤيتها، إلا أنها تراجعت. وعندما تحركت به السيارة مبتعدة، تنفست الصعداء ثم جلست على حافة السرير.

وفيما بعد، عندما عادت شارلين إلى البيت، حدثتها تانيا بلقائها باليخاندرو، معقبة بقولها: «لم استطع تصديق عيني عندما رأيته.»

فقالت أختها: «معك حق، فهذا حظ سيء تماماً، ثم يا لوقاحته وهو يحاول رؤيتك مرة أخرى بعد تلك الطريقة التي تصرف بها معك. أرجو أن تكوني طردته من أمامك.»

أومأت تانيا قائلة: «أظنني أوضحت له شعوري نحوه.»

«ثم إنك قلت إن الثوب لم ينته بعد. أتظنينه سيعود لأجله مرة أخرى؟»

فقالت تانيا: «آه، أرجو أن لا يعود، ربما ستأتي زوجته وحدها لأخذه.»

«ربما كانت لا تحسن قيادة السيارات.»

أغمضت تانيا عينيها: «مهما حدث، فسأتجنبه تماماً.»

ولكن الأمر لم يحدث بهذا الشكل. فبعد أيام قلائل، أخذت كنة ماتيلدا تعاني آلام المخاض، وحدثت معها اشتراكات جعلت ماتيلدا تسرع إليها لتكون بجانبها وفي عصر ذلك اليوم بالذات، جاء أليخاندرو ليستلم ثوب زوجته.

فتحت تانيا الباب دون أن يخطر لها على الاطلاق أنه قد يكون هو. وعندما تلاقت أعينهما، فتحت فمها ذهولاً: «آسفة، فالسيدة غويرا غير موجودة. إن عليك أن تأتي في وقت آخر فأنا لا أعلم إن كان الثوب قد انتهى أم لا.» وكانت تحدثه ببرودة ولهجة جافة.

«إن الحظ يجمع بيننا بشكل غامض.»

رفعت حاجبيها: «أتظن بأن الحظ هو الذي يريد أن يجمع بيننا؟»

«هذا ما يبدو.»

فقالت غاضبة: «إنها تبدو لعنة بالنسبة إليّ. سأخبر ماتيلدا بمجيئك.»

ولكن قدمه كانت في الداخل قبل أن تتمكن من إغلاق الباب في وجهه. قال وقد توتر فكه: «لن تكون ماتيلدا مسرورة إذا علمت أنك طردتني من بيتها.»

«إن ماتيلدا لا تعرف الظروف.»

«لقد اضطررت إلى إخبارها ببعض ما كان بيننا. فقد عجبت لمعرفة بعضنا البعض.»

أرادت تانيا أن تسأله، وزوجتك؟ ألم تسمع إيضاحك هذا هي أيضاً؟ هل علمت بأنني الفتاة التي كانت لك معها علاقة ذات يوم؟ تلك التي كتبت لها عنها؟ هذا إذا كانت تانيا قد صدقته حقاً. ولكنها قالت له وقد توتر فمها وبدا التمرد في عينيها: «لا يهمني ما قد تظنه ماتيلدا. فأنا لا أريدك هنا، فليس لدي ما أقوله لك.»

«هل كنت سعيدة في زواجك؟»

فاجأها هذا السؤال، فأرخت قبضتها على الباب، وعلى

الفور كان أليخاندرو قد اندفع إلى الداخل، فتبعته تاركة الباب مفتوحاً وهي تفكر في أنه، على الأقل، سيكون منفذاً لها للهرب عند الحاجة.

«إنك لم تجيبي على سؤالي.»

فنظرت إليه بحدة: «طبعاً كنت سعيدة، لقد كنت أحب بيتر جداً.»

«أكثر مما أحببتي؟»

فشهقت لصراحة هذا السؤال: «إنني لم أحبك قط.»

فضاقت عيناه: «لقد كان تقليدك للحب جيداً جداً.»

فقالت ببرودة: «أحقاً؟ لا بد أنك كنت مخطئاً. الأمر كله بالنسبة إليّ، لم يكن سوى علاقة قصيرة. مجرد متعة مؤقتة. فقد كنت أعلم دوماً أنك ستعود إلى وطنك هنا.» وكان هذا كذباً... كذباً كله. آه، كيف أمكنها أن تقول شيئاً كهذا؟

«كلا.» بعثت نظراته الحادة الإضطراب إلى نفسها، فجاء جوابها هامساً مبحوحاً. وأخفت ارتباكها بتصنع السعال.

«وفي اللحظة التي أدرت فيها ظهري إليك، وجدت لنفسك رجلاً آخر وتزوجت.»

قال هذا بلهجة تظهر أنها قامت بهذا العمل في اليوم التالي لرحيله، ولكنها لم تشأ أن تقول الحقيقة، فقالت: «شيء كهذا.»

فهز رأسه وهو يسدد إليها نظرة نفذت إلى أعماقها: «لم اظن قط أنك فتاة من ذلك النوع.»

وهي أيضاً لم تكن تظنه من ذلك النوع من الرجال الذين يستمتعون بالفتاة ثم يتركونها دون أي وازع من ضمير. فقالت له: «يبدو وكأننا لم نكن نعرف حقاً بعضنا البعض.»

فأومأ قائلاً: «هذا صحيح تماماً.»

«والآن، وقد وضح لنا كل هذا يمكنك أن تذهب، وعليك أن تأتي لأخذ الثوب في وقت آخر.»

فابتسم قليلاً، ثم عبس وهو يجلس على الكرسي الهزاز: «ولماذا العجلة؟»

فتملكها الحذر: «ألست رجلاً مشغولاً؟»

«ليس إلى الحد الذي يمنعني من قضاء ساعة مع... حبيبة قديمة.»

قال هذه الكلمة هازئاً، فكبحت تانيا غضبها. وفي نفس الوقت لم تستطع أن تمنع نفسها من ملاحظة مبلغ تحسن لغته الانكليزية. فاللكنة الأعجمية لا تكاد تبدو فيها الآن، ما جعلها تتساءل عما إذا كان قد عاد إلى انكلترا، أم أن لديه هنا اصدقاء انكليز. وعلى كل حال كانت لهجته جيدة جداً.

ثم عادت تقول: «ربما الحبيبة القديمة لا تريد أن تتحدث إليك.» وكانت لهجتها لاذعة للغاية.

«هل أنت مشغولة؟ إنك خارجة، أليس كذلك؟ لتتفرجي على المدينة وحدك. من المؤسف أن ليس لدى أختك فراغ من العمل أثناء وجودك هنا في اجازتك هذه، فأنت لن تستمتعي كثيراً.»

«لقد كانت شارلين أخذت إجازة أسبوع، فليس لديّ ما أشكو منه. إن لديّ عدة رحلات سأقوم بها، ثم...»

فقاطعها بسرعة: «ولكن ليس أي منها هذا النهار، أليس كذلك؟ لماذا لا تجلسين؟»

فجلست، ليس لأنها أرادت ذلك، وإنما لأنها كانت بحاجة إلى ذلك. فتأثير رؤيتها لأليخاندرو، والتحدث إليه، ومحاولتها انكار مشاعرها الحقيقية التي كانت تغلي في أعماقها، كل ذلك قد أوهن قدرتها على الوقوف.

«أما زالت أختك تعمل في الفنادق؟»

«إنها، في الحقيقة تدير فندقاً في (بلايا دي لاس اميريكاس). وهذا سبب مجيئها إلى هنا، فقد كانت هذه الوظيفة أحسن من أن تتركها تذهب من يدها... فهي المرة الأولى التي تتولى فيها منصب المسؤولية الكاملة، وهي مسرورة بها جداً.» لقد أربكها بتنقله من موضوع لآخر، رغم معرفتها بأنها تفضل الحديث عن أختها أكثر كثيراً منه عن نفسها.

«ألم تتزوج؟ هل الوظيفة أهم لديها من الزواج؟»

«دعنا نقل إنها لم تعثر بعد على الرجل المناسب.» قالت تانيا ذلك وهي تفكر في أن اختها، وقد بلغت الثلاثين من العمر، قد أصبح اختيارها اكثر صعوبة وكانت تانيا تتساءل أحياناً عما إذا كانت شارلين ستجد يوماً ما ذلك الرجل الذي يمكنه تحمل طبيعتها المسيطرة وشخصيتها القوية المستقلة.

«وهل وجدت أنت أن بيتر هو الرجل المناسب؟»

فازدردت تانيا ريقها بصعوبة. كان سؤاله قاسياً وفي الصميم، وكالعادة غير متوقع ثم قالت له وهي تنظر إليه: «لو أنه لم يكن كذلك لما تزوجته.» كانت تحاول إقناعه بذلك وهي تحاول أن تخفي الحقيقة، وهي أن بيتر كان الخيار الأفضل أمامها، بعده هو ولم تكن قد اعترفت لنفسها بذلك، حينذاك، ولكنه كان الحقيقة ولكن هذا لم يكن يعني أنها لم تكن سعيدة... فقد كانت كذلك فعلاً... وصدرت عنها آهة ضئيلة توترت لسماعها ملامح أليخاندرو. وأدركت هي أنه ظن تلك الآهة لذكرى بيتر.

فقال مغيراً الموضوع مرة أخرى: «عندما رأيتك في المطار، ظننتني أرى شبحاً.»

فردت بحدة: «وأنا أيضاً لم أكن سعيدة برؤيتك.»

قال عابساً وقد ضاقت عيناه: «إنني لم أقل إنني لم أكن أرغب في رؤيتك. ولكن مرور ذلك الزمن الطويل جعلني أتخلى عن فكرة إمكان تلاقينا مرة أخرى.»

رفعت كتفيها قائلة دون اهتمام: «إنه عالم صغير. أتريد فنجاناً من القهوة؟» كانت تريد أن تخرج من الغرفة، أن تبتعد عن هذا الجو الخانق والذي لم تعرف قط أنه سيكون بهذا الشكل.

فأجاب: «كلا، شكراً. إنني أفضل أن أجلس واتحدث معك.»

تأوهت في داخلها وهي تسأله: «تتحدث عن ماذا؟ ماذا هناك ليقال؟ إنني واثقة من أنك لا تهتم مثقال ذرة بحياتي منذ افترقنا، ولا أنا أريد أن اسمع شيئاً عن حياتك.»

إزداد توتر ملامحه للهجتها: «إنك تكشفين بوضوح عن رأيك بي.»

«ليس ثمة فائدة من الإدعاء بخلاف ذلك.»

قال وهو يقف فجأة: «لقد كنت مخطئاً في تقييمك، يا تانيا.»

هذا حسن، فهو خارج، ووقفت هي أيضاً، وإذا بهما يصطدمان ببعضهما البعض فيمد هو ذراعيه بشكل غريزي، يمنعها من السقوط. وإذا بنظراتهما تشتبكان، وإذا بالسنوات الطويلة التي مرت وكأنها لم تكن.

لم تنتبه إلى شيء سوى هذا الحنين الطاغي الذي شعرت به يتملكها نحوه، والرغبة التي كانت دفنت سنوات طويلة. لا شيء قد تغيّر. كان ذلك جنوناً مطلقاً، وقد عرفت ذلك ولكن وعيناه في عينيها، وما زال ممسكاً بها من كتفيها.

رأت في عينيه نفس المشاعر. ورأته يرتجف قليلاً، تصاعدت خفقات قلبها حتى خافت أن يسمعها. نسيت

السنوات الفارغة... إنها هنا الآن وها هوذا أليخاندور... الرجل الذي...

ولكن أفكارها تبددت. كانت على وشك القول (الرجل الذي أحبت)، وهذا لم يكن صحيحاً. إنها لم تحبه. كانت معجبة به وهذا كل شيء. كان الانجذاب بينهما مهلكاً. ذلك أن معرفتها به لم تسبب لها سوى التعاسة.

لكن، إذا لم تنتبه نفسها، فسينتهي بها الأمر إلى كارثة مرة أخرى.

كانت هذه الفكرة كافية لكي تعيدها إلى رشدها، وكأنما هذه الفكرة خطرت بباله هو أيضاً، فقد تركها وابتعد عنها. وعندما رأت الخشونة في ملامحه، ابتعدت هي أيضاً.

ثم قال بصوت أجش اخترق سكون الغرفة: «ما معنى كل هذا، يا تانيا؟ تقولين إنك لا تشعرين بشيء نحوي، وأنك لم تشعري بذلك قط من قبل. ومع ذلك أراك ترتجفين وتذوبين حنيناً حالما أمسكت بك، حتى كأنك امرأة عطشى وجدت ماءً في الصحراء. أريد منك تفسيراً لهذا.»

أغمضت تانيا عينيها. ماذا يمكنها أن تقول؟ وتملكها الذعر والخجل من نفسها. والذي جرى لها؟

وعاد يلقي بيديه على كتفيها، غارزاً أصابعه إلى حد آلمها: «أريد الحقيقة، يا تانيا أنظري إلي.»

كانت النار تلتهب في عينيه بشكل خطر جعلها ترتجف خوفاً. ولكنها لا تريده أن يعلم بشعورها.

قالت له بعنف وهي تنفض يديه عن كتفيها: «وأنا اسألك نفس الشيء.» تباً له، فهو متزوج. الا يعني هذا شيئاً له؟

أجابها: «كنت دوماً لا استطيع مقاومة جاذبيتك.»

فقالت بحدة: «هل كان هذا شعورك نحوي منذ تلك السنوات الطويلة؟ مجرد اعجاب؟»

غامت عيناه، وكأنها مست منه وتراً حساساً ولكن هذا سرعان ما تبدد ليعود الاتهام إلى لهجته: «وماذا بالنسبة إليك، هل أنت تشعرين بالذنب من شعورك بنفس الشيء نحوي بحيث تتهمينني به؟ أليس هذا سبب تجاوبك معي الآن، وتجاوبك معي عندما كنت في انكلترا؟»

فقالت بخشونة وقد رأت أن الصدق هو السبيل الأفضل: «نعم، لسوء الحظ. ولكن هذا ليس شيئاً يمكنني أن أزهو به. وأنا لا أريده أن يحدث بيننا مرة أخرى.»

«ربما لن نتمكن من مقاومة مشاعرنا؟»

«إنك تتكلم وكأننا سنتلاقى مرة أخرى. أؤكد لك أن هذا لن يحدث. وأنا سأسعى لأجل ذلك بكل جهدي.»

ضاقت عيناه مرة أخرى، وبدت فيهما تلك النظرة الثاقبة التي اخترقت أعماقها، ثم هز رأسه ببطء: «لقد تغيرت، يا تانيا.»

«ألا تغيّرنا الحياة جميعاً؟ إنها تسدد إلينا ضربات تملأنا مرارة. من المستحيل أن نبقى كما كنا. لقد تغيرت قيمي ومفاهيمي بكل تأكيد.»

«من المحزن حقاً أن تترملي في شبابك هكذا، ولكن ليس من المفروض أن تدعي ذلك يؤثر عليك إلى الأبد. إن على الحياة أن تستمر، وعليك أن تعودي إلى الاستمتاع بها من جديد.» وبدت في صوته رقة مفاجئة.

سرت تانيا لفهمه كلماتها خطأ، فهي لم تكن تريده أن يعلم أنه هو الذي آلمها برحيله المفاجيء غير المتوقع، من

انكلترا. فقالت: «هذا ما أنويه ولكن بطريقتي الخاصة... وهذا لا علاقة له بك. فأنا غير مهتمة بإعادة علاقتنا معاً.»

قطع عليهما حديثهما رنين جرس الهاتف، فقالت له: «الأفضل أن تجيب أنت، فأنا لا أعرف اللغة.»

ولكن المتكلمة كانت أختها شارلين. فقد سمعته تانيا يشرح لها من يكون وماذا يفعله هنا، ثم لا بد أن شارلين قالت له شيئاً من رأيها فيه، لأن العبوس كان يسود ملامحه عندما التفت إليها يناولها السماعة، قائلاً: «إنها اختك.» وعندما انتهت من الحديث معها، قال بلهجة متوترة: «هل تشتركان معاً في الكراهية؟ لقد قالت لي بكل وضوح ان ابتعد عن طريقك، فما الذي أخبرتها به لتسممي أفكارها ضدي بهذا الشكل؟»

أجابت تانيا رافعة رأسها: «لم يكن عليّ أن أخبرها، فأختي تتوخى حمايتي دوماً.»

فرفع حاجبيه: «اطمئنك إلى أنك لست بحاجة إلى من يحميك، فأنت قادرة تماماً على رعاية نفسك.»

«اوافقك على ذلك. وبصفتي مسؤولة عن حياتي، فأنا أطلب منك أن تخرج.»

«وماذا لو طلبت تلك القهوة الآن؟»

«تأخرت في هذا الطلب، فقد سحبت دعوتي.»

«في هذه الحالة، يبدو أن ليس أمامي خيار آخر. ولكنها لن تكون المرة الأخيرة التي نتلاقى فيها، يا تانيا أؤكد لك هذا.»

الفصل الثالث

وفي الأيام التي تلت، كانت تانيا على أحر من الجمر. لم تكن تريد أن ترى أليخاندرو مرة أخرى، ولكنها لم تكن تعرف كيف بإمكانها أن تتجنبه إذا هو جاء إلى البيت. فماتيلدا لم تعد بعد، فقد كانت تعتني بالطفل المولود إلى أن تجتاز أمه محنتها، هذا رغم أن شارلين قالت إن ماتيلدا تجعل من هذا مجرد عذر، لأن ماتيلدا تعشق الأطفال.

كان بإمكان تانيا أن تخرج من المنزل كل يوم، ولكنها لم تكن تحب أن ترغم نفسها على القيام بأمر لا لشيء الا بسبب أليخاندرو. عندما كانت أبدت رغبتها في المجيء إلى هذا البلد، قالت شارلين انها ستطلب إجازة شهر كامل لأجلها. ولكن كارلوس، نائبها، اضطر لأخذ إجازة مرضية فلم تجد غيره كفؤاً لأخذ مكانها. وهكذا تركت أختها وشأنها. وكان بإمكانها أن تستأجر سيارة تطوف بها أنحاء المدينة، ولكنها رأت أن ليس في طوافها ذاك وحدها أية متعة.

كان من المؤسف ان شارلين اختارت العيش بعيدة عن الشواطىء ومناطق السياح المليئة بالنشاط. ولكنها، من ناحية أخرى، رأت تينيريف الحقيقية فقد كان بإمكانها التجوال في القرية حيث الحياة تمر ببطء.

أخذتها شارلين، ذات ليلة بسيارتها إلى مطعم في أعالي الجبل في الساحل الغربي قريباً من ماسكا وكانت تانيا قد أمضت النهار تنتظر ذلك بشوق بالغ ولكن عندما

صعد بهم الطريق إلى سلسلة من المنعطفات البالغة الضيق والمتعرجة خلال الجبل، أخذت تتساءل عما إذا كان مجيئهما إلى هنا فكرة حسنة. وعند الوصول تملكها الذعر وهي ترى سيارة أليخاندرو المرسيدس بلونها الأحمر القاتم، واقفة خارج المطعم. وأرادت أن تستدير عائدة إلى البيت ولكن شارلين قالت: «لا تحلمي بذلك في حياتك، خصوصاً وقد سلكت كل ذلك الطريق. لا تقلقي، فسأحميك منه.»

فردت عليها تانيا بحدة: «لا أريد حمايتك. فأنا في السابعة والعشرين وليس في السابعة. ولكن هذا المكان من البعد والعزلة بحيث لم أظن أنني سأصادفه فيه.»

فقالت أختها: «إن هذا المطعم معروف تماماً. وحيث أن هنا الكثير من السيارات، فهذا دليل على أنه مزدحم، وبالتالي قد يخدمنا الحظ فلا يرانا.»

ولكن الحظ لم يكن معهما. ففي اللحظة التي دخلتا فيها، وقعت نظرات تانيا على اليخاندرو ما جعل خفقات قلبها تتسارع وحلقها يجف، وعندما نظرت إلى مرافقته، أجفلت مدهوشة وهي ترى انها لم تكن زوجته.

كان للمرأة نفس الشعر الأسود، ولكنه كان قصيراً كثاً مقصوصاً بمساواة ذقنها. وكانت ترتدي ثوباً أبيض وتتزين بعقد أخضر، وكانت جميلة بشكل مختلف عن جمال جوانيتا. وكانت عيناها مسمرتين على مرافقها وحده.

شعرت تانيا بدمها وقد أخذ بالغليان. إنه يخون زوجته مرة أخرى! إذ رغم أنه لم يكن متزوجاً عندما كان في إنكلترا، فالحاصل هو واحد. فيا له من سافل غشاش،

مخادع كم من نساء أخريات له علاقة معهن؟ وفي تلك اللحظة رفع بصره فرآها.

لو أن النظرة تقتل، لسقط ميتاً، ولكنه، بدلاً من ذلك، ابتسم لها بدهشة. نظرت إليه تانيا ببرودة، ثم التفتت إلى أختها والتي كانت تبحث عن مائدة خالية عبثاً، ثم تتمتم قائلة: «لا يبدو أن ثمة مائدة خالية. كان علينا أن نحجز بالهاتف.»

فقالت تانيا بصوت خافت: «دعينا نخرج إذن من هنا، فقد رأيت أليخاندرو لتوي... وهو يجلس مع امرأة أخرى.»

«أين؟» وأخذت شارلين تجيل نظراتها في القاعة، وفي نفس الوقت كان أليخاندرو ينهض من مكانه ويتقدم نحوهما.

«ما دام ليس هناك مائدة خالية، يمكنكما أن تتفضلا بالجلوس معنا.»

فزمجرت تانيا: «كلا، لا نريد وسنبحث عن مكان آخر نأكل فيه. فإن إفسادنا سروركما هو (جريمة).»

وكان في ضغطها على الكلمة الأخيرة ما جعله يعبس بشكل خاطف: «إنك تتصرفين بشكل صبياني تماماً، يا تانيا. فأنا واينوسنت يسرنا جداً أن تجلسا معنا.»

إينوسنت! وألقت تانيا نظرة على الفتاة وهي تفكر، من تحاول أن تخدع؟ لا تريد رفقتنا على المائدة بأي شكل. فهذا يبدو في ملامحها، في العداء البادي في عينيها. ولم تستطع تانيا أن تصدق اذنيها وهي ترى اختها تقبل الدعوة، قائلة بامتنان: «شكراً، يا أليخاندرو. فقد أردت حقاً أن ترى تانيا هذا المكان.»

عاد بهما إلى مائدتهما في الزاوية. وهمست تانيا لأختها بغضب: «لماذا فعلت هذا؟ هذا آخر شيء أريده.»

فقالت شارلين بابتسامة عريضة: «فكرت في أن من الممتع أن نفسد عليه أمسيته.»

وأمسيتي أيضاً... أخذت تانيا تفكر بذلك رغم أن هذه الفكرة أشعرتها بشيء من الارتياح. فقد اصابتها عدوى سرور شارلين الخبيث.

أجرى أليخاندرو واجب التعارف بينهن، وابتسمت الفتاة، وإن كانت ابتسامة سطحية، كان من الواضح أنها كانت تتمناهما بعيدتين من هنا آلاف الأميال. ولا بد أنها عجبت لإصرار رفيقها على استضافتهما على مائدتهما.

كانت لغة اينوسينت الانكليزية جيدة. وأصغت بانتباه إلى أليخاندرو وهو يشرح كيف قابل تانيا وشارلين رغم حدة نظراتها وهي تنقلهما بين الاخت واختها وكأنها تتساءل أي من الاختين كانت حبيبته. ثم جاء نادل وضع لهما كرسيين، ثم ناولهما قائمة الطعام.

لم يكن من السهل عليها أن تركز اهتمامها على قائمة الطعام، فقد كان وجود أليخاندرو بجانبها يبعث الإضطراب في نفسها.

قال أليخاندرو: «لم اتوقع قط أن أراكما هنا هذه الليلة.»

سددت إليه نظرات كالسهام، ولكنها، على نحو ما، تمكنت من جعل نبرات صوتها هادئة وهي تقول: «يبدو أن مقابلاتنا في ظروف غير متوقعة أصبحت كثيرة.»

«هذا صحيح.»

واحتكت ساقه بساقها وهو يقول ذلك، ربما مجرد مصادفة، وربما لا. ولكن تانيا جعلت ساقيها تحت كرسيها، وهي تراه أسوأ حشرة في العالم، ولكنها رغم هذا

لم تستطع أن تتجاهل المشاعر التي أثارها في كيانها، وقالت غاضبة: «من الغريب أن شارلين موجودة هنا منذ سنتين دون أن تلتقيا، ولكن بالنسبة إليّ، يبدو أننا نتقابل مصادفة طوال الوقت.»

فقال: «نعم، هذا غريب جداً.» ثم أضاف بصوت خافت لا يسمعه غيرهما: «أو لعله مصيرنا معاً.»

تظاهرت بأنها لم تسمع، وعندما جاء النادل يسألهما ما تطلب، التفتت إليه شاعرة بالارتياح.

ومضت الساعات التالية طويلة متوترة. فقد دأبت اينوسينت على الاستحواذ على انتباه اليخاندور، ولكنه أصرّ على إشراك تانيا وشارلين في كل حديث، وفي النهاية لاذت فتاة تينيريف بالصمت.

حرصت شارلين على التحدث عن زوج تانيا، بيتر معقبة بالقول: «لشد ما كانا مغرمين ببعضهما البعض.»

وقد حاولت تانيا أن تخبر أختها، من خلال نظراتها الغاضبة، بأن تقفل فمها، ولكن شارلين إما أنها لم ترها، وإما لم تشأ أن ترى. وفي نهاية السهرة، أخذ صبر الجميع يفرغ ما عدا شارلين، فقد كانت مستمتعة بالوضع إلى أقصى حد. لقد رأت من توتر ملامح أليخاندرو أنه لم يكن يجب سماع ذكر بيتر، ولكنها تعمدت الاستمرار في تأكيد قوة العلاقة بينه وبين تانيا.

وتملك تانيا السرور عندما وقف الجميع مؤذنين بانتهاء السهرة بالرغم من استيائها من إصرار أليخاندرو على دفع قائمة حسابهما. فهي لم تشأ أن تشعر بأنها مدينة له بشيء. لم تشأ أن تشعر نحوه بأن له جميلاً عليها مهما كان نوعه.

وعندما سارت بها وبأختها السيارة في طريق الجبل، قالت

لها غاضبة: «ليتك لم تأت على ذكر بيتر بشيء.» وكان اليخاندرو قد تجاوزهما بسيارته وأصبح خارج مرمى النظر.

فأشرق وجه شارلين قائلة: «هذا ما يستحقه. أرجو أن يجعله هذا يعرف مكانه الحقيقي، ولا أدري ما إذا كانت اينوسينت تعلم أنه متزوج. فكرت في أن أخبرها بذلك لولا أنني لم أشأ التسبب بمشهد عاصف. ثم إنني مسرورة تماماً لانتهاء كل شيء بينك وبينه تصوري لو انكما كنتما تزوجتما، ثم استمر هو بهذه التصرفات.

كانت تانيا قد سبق وفكرت بهذا. وكان من شعرت بأسف لأجله حقاً هو جوانيتا وقالت: «لا اظنه كان ينوي الزواج مني حقاً، فما كنت سوى واحدة من كثيرات.»

لابد أن شيئاً كان في صوتها كشف ما بنفسها لأن شارلين نظرت إليها بحدة: «ما هذا؟ لا أظنك ما زلت تهتمين بأمره؟»

«شارلين، انتبهي إلى الطريق.» صرخت تانيا بذلك مذعورة بعد أن انحرفت السيارة بهما بشكل خطر نحو حافة الطريق حيث كان ثمة واد عميق بينما لا يوجد حاجز.

فهتفت أختها وهي تعدل مجرى السيارة: «آه، ولكن إذا كان ثمة شعور ما زال في نفسك نحو أليخاندرو، فمن الأفضل أن تتخلصي منه بسرعة. ذلك الرجل سيء جداً دون شك.»

أجابت تانيا: «لا حاجة بك لإخباري بهذا. فأنا أعرفه تماماً، ثم لا تقلقي، فليس في نيتي العودة إليه، فقد حفظت الدرس منذ وقت طويل.» وأغمضت عينيها عندما تخطت شارلين منعطفاً حاداً آخر. لم يكن هذا رأيها في التنزه على الإطلاق. وهي لم تستمتع بصعود هذا الجبل، ولكن النزول منه كان مخيفاً أكثر، خصوصاً والمرشد الوحيد لهما هو

القمر والنجوم. يبدو أن شارلين لم تكن تخاف، ولكن هذا بدا لتانيا طريقاً غاية في الخطورة.

لانتا بالصمت، ولكنها لم تستطع أن تنبذ من ذهنها التفكير في أليخاندرو. فقد استمرت تفكر فيه وفي اينوسينت بينما زوجته قابعة في البيت لا تشك في شيء. ليس ثمة شك في أن له علاقة بالفتاة، فقد كان هذا يبدو في الطريقة التي كانت تنظر فيها إليه، والطريقة التي كان يتكلم فيها إليها. والطريقة التي سارا بها معاً نحو سيارته، وشعرت تانيا بوخزة ألم لدى هذا التفكير.

عندما عادتا إلى البيت، ادعت بأنها مرهقة ثم صعدت إلى غرفتها مباشرة. كأنما لا يكفي سوءاً اكتشافها بأنها، طوال السنوات التي مضت لم تكن تعني شيئاً بالنسبة إلى أليخاندرو، حتى يأتي الآن علمها بأنه ما يزال يخدع زوجته جوانيتا... وهذا ما أهلكها تماماً.

في اليوم التالي جاءت ماتيلدا إلى بيتها كما جاء أليخاندرو ليأخذ الثوب.

عند قدومه، كانت هي في الحديقة الخلفية الصغيرة جالسة على كرسي تستمتع بأشعة الشمس وبجانبها كلب ماتيلدا مستلقياً في ظل الجدار، كانت بعيدة عن مرمى نظر من يدخل من الباب الأمامي، ومع أنها سمعت صوت سيارة أليخاندرو إلا أنها ظنت نفسها آمنة... حتى سمعت صوته يناديها.

التفتت ببطء، وقالت بلهجة خشنة تنبيء عن مشاعرها الصاخبة: «السيدة غويرا في المنزل.»

فقال وهو يدفع البوابة ثم يتقدم ليقف بجانبها: «أريد التكلم معك أولاً.»

«إذا كانت عن الليلة الماضية، فلا أريد أن اسمع.» كان

في لهجتها ضيقاً، كما كانت عيناها الزرقاوان باردتين نائيتين وهي تتابع قائلة: «إنك لن تتغير أبداً، أليس كذلك يا أليخاندرو؟» كان مشرفاً عليها بقامته، طويلاً رهيباً بشكل ما... فقفزت واقفة تواجهه.

قطب جبينه قائلاً: «ما الذي تتحدثين عنه؟»

«لا تتظاهر بالبراءة أمامي. كم يبلغ عدد النساء الأخريات في حياتك؟»

«نساء أخريات؟»

«نعم، النساء ذوات العلاقة بك. كان حسناً منك أن لم تحضر زوجتك معك اليوم وإلا ربما تملكني الإغراء لأن أخبرها.» وأضاف الغضب قوة إلى كلماتها، كما أخذت تتكلم بصوت أعلى مما كانت تنويه. أطلت ماتيلدا برأسها من الباب، ثم عبست وهي تنظر نحوهما ثم عادت فتوارت في الداخل.

كانت تانيا من التوتر بحيث غفلت عن السحابة التي كست ملامح أليخاندرو فلم تر سوى توتر فكه، وكظمه لغضبه. فقالت: «لقد اصابتك كلماتي في الصميم، أليس كذلك؟»

«إنك لا تعرفين ما الذي تتحدثين عنه، يا تانيا.»

«أحقاً لا أعرف؟ وكيف لا يمكنني أن أعرف عندما تتباهى بصاحباتك الفتيات أمام أنظار الجميع؟»

«هل تتحدثين عن اينوسينت؟»

«نعم، هذا صحيح.»

«وبيتريز، كما أظن؟»

فعبست تانيا: «بيتريز؟ من هي تلك؟»

فقال ببرودة: يبدو أنك تظنينها صاحبتي، هي أيضاً؟ هل لك أن تخبريني عما أعطاك هذه الفكرة؟»

فقالت بحدة: «إذا كنت تتحدث عن المرأة التي تخيط ماتيلدا ثوبها، فأنا لم أظنها صاحبتك، بل ظننتها زوجتك، ولكن إذا هي لم تكن زوجتك، فهذا يثبت رأيي فيك.»

نظر إليها مستفهماً، بحدة: «هل كنت سمعت أنني متزوج؟»

فقالت بمرارة: «نعم، سمعت. وما تفعله بها هو شيء وحشي. انك تستحق الشنق.»

بدا وكأنه لم يسمع كلماتها الخشنة وهو يبادر بسؤالها: «متى سمعت بذلك؟ ومن أخبرك؟»

فقالت بحدة: «وهل هذا مهم؟»

«أريد أن أعلم.» وكان ينظر إليها بملامح جامدة وعينين ضيقتين.

قالت بعدم اكتراث: «إنه شخص قابلته شارلين في الفندق فأخبرها بذلك. إنه من تينيريف ويبدو أنه يعرفك.»

«هل كان ذلك قبل أو بعد زواجك من بيتر؟»

أدركت فجأة ما يعني، فصرخت بحدة: «آه، كلا، لم أتزوجه كردة فعل لهذا الخبر، إذا كان هذا ما تفكر فيه. لم أتزوجه لأنني سمعت عن زواجك، بل كان ذلك بعد فترة طويلة. وكما قالت شارلين الليلة الماضية، كنا سعيدين معاً تماماً. لم أكن أحلم قط بأن أتعرف إلى رجل من وراء ظهره.»

كانت من السخط بحيث لم تستطع التقاط أنفاسها. وأخذ صدرها يعلو ويهبط وهي تنظر إليه بعداء وقد تقبضت يداها بشدة جعلت أظافرها تنغرز في راحتيها إلى حد الألم.

التمعت عيناه بشكل لم تره تانيا من قبل: «بعد كل ما كان بيننا، يا تانيا، ما كنت لأصدق أن من الممكن أن تظنينني بهذا الشكل.»

www.elromancia.com

«بعد كل ما كان بيننا؟ لم يكن بيننا شيء. كانت فترة ممتعة انتهت في لحظة مغادرتك انكلترا.» لقد أخذت تكذب مرة أخرى. ولكنها رفضت أن تخضع لمذلة الاعتراف بأنها امضت ساعات وساعات في البكاء والأسى والشوق والتساؤل.

«هل نسيتني بتلك السرعة؟»

كان عدم التصديق على وجهه من القوة بحيث اوشكت على الضحك، ولكنها أجابت: «نعم، وماذا كنت تنتظر؟ إنني اعترف بأن العلاقة كانت ممتعة، أثناء وجودها، ولكن عندما غبت أنت عن بصري غبت عن ذهني. ثم لماذا أخبرك بكل هذا بينما زوجتك هي التي أشعر بالأسف لأجلها؟ إنك نذل حقاً، أليس كذلك؟ ما الذي تقوله لها؟ إن العمل هو الذي يؤخرك عن العودة إلى البيت؟ أم أن لديك اعذاراً أخرى خيالية؟»

نظر أليخاندرو إليها طويلاً وبعنف: «إنني لا أشعر بأنك تستحقين أن تعلمي الحقيقة.»

فرفعت حاجبيها بحدة: «الحقيقة؟ تعني مجموعة أكاذيب؟ طريقة تبرىء بها نفسك؟ لا أظنني أريد سماعها.» لقد كان كذب عليها إذ تجاهلها منذ تسع سنوات مثبتاً أنه ليس بالرجل المستقيم. فلماذا عليها أن تصدق ما يحاول أن يقوله لها الآن؟

«في هذه الحالة، ليس لديّ ما أقوله.» واستدار فجأة سائراً نحو المنزل. وما لبثت تانيا أن تمنت لو أنها لم تكن عنيفة لهذا الحد، فقد يكون من الممتع أن تسمع نوع العذر الذي كان سيتقدم به. ولكن الوقت قد فات الآن. فقد ظهرت ماتيلدا في عتبة الباب وهي تبتسم مرحبة. من الواضح أنه كان شخصياً عزيزاً عليها.

عادت تانيا تجلس مغمضة عينيها وقد بدا عليها الاستراخاء تماماً وكأن ليس ثمة ما يشغل بالها في العالم. لم يكن يبدو على وجهها أي دليل على ما يصطحب في كيانها وعقلها. ليس فقط أنها كانت تصارع رغبتها في معرفة ما كان يريد أن يقوله، ولكنها كانت تناضل مشاعرها التي الهبت كيانها... مشاعر ظنت منذ وقت طويل أنها ماتت واندثرت.

كان قد قال إنه (المصير) الذي عاد فجمعهما فسخرت هي من هذه الفكرة. ولكن، هل كان ثمة شيء من هذا؟ ولماذا بعد سنوات الفراق الطويلة هذه، عادا فاجتمعا مرة أخرى بهذا الشكل، كل مرة كانت مصادفة... في المطار في أول مرة جاء فيها إلى هنا، الليلة الماضية في المطعم... هل كانت هناك قوة خفية وراء ذلك؟ هل كان ذلك مصيرهما حقاً؟

من الواضح أنه غير سعيد مع زوجته، وإلا لما التمس صحبة نسوة أخريات. لكنه من ناحية أخرى، لم يكن مخلصاً لها حتى قبل الزواج. إنه رجل عابث، رجل عليها أن تتجنبه بأي ثمن.

بدا وكأن دهراً مضى على جلوسه في الداخل مع السيدة غويرا. وأخذت تانيا تتساءل عما إذا كان سيتحدث إليها مرة أخرى أم أنه سيخرج من الباب الأمامي ويكون في هذا نهاية الأمر. وتمنت أن يكون الأخير، وحيث أن الثوب كان جاهزاً، فلن يبقى لديه عذر للعودة مرة أخرى.

سمعتهما يتحدثان، فكان صوت ماتيلدا مبتهجاً بينما صوت أليخاندرو بدا هازلاً. ورأتهما قادمين ناحيتها. وإذ أدركت أن ليس بإمكانها أن تتظاهر بالنوم، فقد فتحت عينيها عندما شعرت بهما يقتربان منها.

نظر إليها أليخاندرو، قائلاً: «لقد قدمت لتوي إلى ماتيلدا الدعوة المعتادة إلى حفلتنا التنكرية السنوية. إن الجميع يقيمون هذه الحفلات سنوياً أيام عيد الكرنفال... وهي ترى أن من المستحسن أن تأتي أنت وأختك، معها.»

تسارعت دقات قلب تانيا واتسعت عيناها وأخذت تنقل نظراتها بسرعة من واحد لآخر. كانت ماتيلدا تومىء برأسها باسمة. وشعرت تانيا أنها مخلصة في دعوتهما إلى الذهاب معها. أما أليخاندرو فلم يكن على وجهه أي تعبير.

سألته بشيء من الحدة: «ليست الدعوة من ماتيلدا، حقاً، أليس كذلك؟»

فأجاب بابتسامة ملتوية: «في هذه الحالة، الدعوة هي مني أنا. هل لك ولشارلين أن تمنحاني شرف حضوركما؟»

أرادت تانيا أن تقول كلا، كلا بكل تأكيد، ولكنها لم تشأ أن تجرح السيدة غويرا، والتي كانت، كما يبدو تظنها فكرة مشرقة. هذا إلى أنها فرصة تعرف فيها أين يسكن أليخاندرو... فقد كان الفضول يتملكها لمعرفة ذلك... ثم أي نوع من الحياة يعيش، والأهم من ذلك كله، ما إذا كان قد دعى أياً من صاحباته القديمات والحديثات.

فقالت: «عليّ أن أسأل أختي اولاً.»

«هذا طبيعي. ولكنني واثق من أنها لن ترفض.»

«قد يكون لديها عمل. متى ستكون الحفلة؟»

«يوم السبت المقبل... وأنا واثق من أنه سيكون بإمكانها تعديل برنامج عملها إذا اقتضى الأمر.»

فهزت تانيا كتفيها: «ربما.»

«أظن ماتيلدا سترحب بمرافقتكما لها.»

«هل اعتدت دعوتها دوماً؟»

«طبعاً. فأسرتي تعرفها منذ سنين طويلة.»

«وهل هي تقبل الدعوة عادة؟»

أجاب عابساً: «ليس دائماً، وهذا مؤسف. فهي الطريقة التي يمكننا بها رد الجميل للساعات الطويلة التي تعمل فيها لأجلنا أثناء السنة. فهي لا تصنع فقط ملابس العيد لأسرتنا، بل تخيط كل ملابسنا، وكل الاصلاحات والتعديلات الضرورية عليها. إنها... ماذا استطيع أن اصفها به... إنها جوهرة... واحدة في المليون.»

جعل الرفض صعباً جداً عليها، وربما هو يعرف ذلك، لأن ابتسامة ثقة كانت ترتسم على شفتيه.

فقالت: «ما زال عليّ أن اسأل شارلين.»

«حسبما أرى، قبولها حاصل. وأنا بانتظاركما الساعة الثامنة والنصف. ولا تنسي وضع قناعك... فهو جزء من المرح.»

صافح ماتيلدا يودعها بحرارة، ثم خرج من بوابة الحديقة، بينما نظرات المرأة الصغيرة الجسم تتابعانه بإعجاب، بينما كانت تانيا تتساءل عما كان يعنيه بكلمة (المرح).

قبلت شارلين الدعوة بلهفة. فقد كانت تحب الحفلات، ولكن كان لديها تحفظ واحد: «ابقي بعيدة عن أليخاندرو. فأنا لا أريدك تعيسة مرة أخرى.»

أجابت تانيا: «لست بحاجة إلى تحذير.» قالت هذا وهي تفكر في نفس الوقت بأن هذا قد لا يكون سهلاً. فهي لم تستطع ان تتصور نفسها تمضي السهرة بأكملها دون أن يبحث هو عنها. وإذا هو جلس إليها فسيحدث هذا إثارة بالغة لعواطفها.

كان أمامهما ثلاثة أيام تقرران فيها ما تلبسان، وتضع ماتيلدا لهما القناعين، واشتد القلق بتانيا من جراء تفكيرها في رؤية أليخاندرو مرة أخرى. وفي اليوم الثاني، صحبت شارلين إلى منطقة عملها حيث أخذت تبحث في المتاجر عن ثوب مناسب.

جاء يوم الحفلة، فتملك الخوف والتوتر تانيا. وجاءت شارلين من العمل مبكرة فطلبت ماتيلدا سيارة أجرة لتقلهن جميعاً. وبهذا لا يكون عليهما قيادة السيارة بعد منتصف الليل.

كان منزل أليخاندرو أبعد مما كانت تانيا تتوقع، فقد كان يقع في ضاحية بلدة اوروتافا الشمالية، فسرن في الطريق الجبلي المتعرج خلال وادٍ خصب رائع الجمال. وكانت الأشجار والآجام الخضراء تحف بالطريق على الجانبين. وقالت لأختها: «يجب أن تحضريني إلى هنا في النهار. يا لهامن جزيرة تحوي المتناقضات.»

لم تكن تانيا تعرف ما كانت تتوقع أن تكون صفة منزل أليخاندرو... ولكنه لا يمكن بالطبع أن يكون غير مكتمل البناء كمنزل ماتيلدا، ولكنها أيضاً لم تنتظر أن يكون بهذه الروعة. فقد كانت تتصور، بشكل مبهم، منزلاً واسعاً حديث البناء... ولكنه، بدلاً من ذلك، كان منزلاً فخماً قد بني منذ مئات السنين. ما جعل الهيبة تتملكها لمنظره وعلى الأخص عندما دخلت من بوابة من الحديد المزخرف إلى فناء داخلي مبلط بالقرميد تتوسطه نافورة، بينما يموج بالمدعوين بشكل غير عادي.

من المؤكد أنه كان أكثر ثراء مما كانت تظن. ووقفت تنظر حولها وقد تملكتها رهبة بالغة. كان في كل من الأربع نواح شرفات من الخشب المزخرف بشكل معقد، بطابقين. وكان المدعوون يسيرون ويتحدثون أو ينظرون إلى أسفل،

كما كانت المصابيح مختفية بين النباتات النامية بوفرة في زوايا الفناء. وبدا لها المكان وكأنه عالم آخر كان كل شخص يضع قناعاً ويرتدي زياً رائع الجمال.

في ناحية من الشرفة، كان ثمة جهاز تصدر عنه أنغام هامسة مؤثرة، ولكن تانيا لم تشك في أن هذا الجهاز سيعلو صوته في السهرة. نظرت حولها تبحث عن اليخاندرو ولكنها لم تره. كانت تظن أنها ستعرفه على الفور سواء كان واضعاً قناعاً أم لا. ولكن كان هناك رجال آخرون طوال القامة عريضو الاكتاف، ومن الممكن أن يكون واحداً منهم.

كانت، في الواقع فكرة مثيرة أن من الممكن أن تقف بجانبه، وتحتك به دون أن تعرف أنه هو. ومن ناحية أخرى، قد لا يعرفها هو أيضاً، ما منحها شعوراً بالأمان. إنها في أمان هنا... وبإمكانها أن تمتع نفسها. واستدارت لتتحدث إلى أختها، ولكن شارلين كانت قد سبق واختفت بين المدعوين، وكذلك ماتيلدا وبقيت هي وحدها هنا بين هذه الجموع السعيدة.

«ما كان لك أن تقفي وحدك.»

فأجفلت لهذا الصوت العميق في أذنها، وظنته لحظة أليخاندرو، فأخذ قلبها يخفق، ولكن عندما عاد يتكلم، عجبت كيف كان لها أن تخطىء إلى هذا الحد.

«أنا بخير، ومستمتعة بكل هذا. كيف علمت بأنني إنكليزية.»

لم يكن، في الحقيقة، يشبه اليخاندرو بشيء.

فأجاب: «لم أعلم ذلك وإنما كان مجرد تخمين. هل أنت هنا وحدك؟»

«في الواقع، أنا هنا مع أختي ومع صاحبة البيت الذي نقيم فيه. ولكن يبدو أنهما اختفتا بين هذه الجموع.»

«هل أنت صديقة لأليخاندرو؟»

فعبست: «من المكن أن تقول هذا. فقد عرفته منذ مدة طويلة في انكلترا. إن بيته هذا رائع.»

«إنه بيت أسرته منذ أجيال.»

«آه؟» لقد كانت تانيا تظن أنه وجوانيتا قد ابتاعاه عند زواجهما، وأنه انتقل من بيت الأسرة. وتساءلت عما إذا كان أخوته وأخواته ما زالوا يعيشون هنا... أم تزوجوا هم أيضاً ثم انتقلوا منه. كان هناك الكثير مما لا تعرفه.

«لقد استلم اليخاندرو المنزل عندما توفي والده. أم تأتي إلى هنا من قبل؟»

«كلا. فأنا هنا في إجازة في الواقع فالتقيت بأليخاندرو مصادفة، فدعاني إلى هذه الحفلة.»

«إنه مكان لا ينبغي إغفال رؤيته.»

أخذت تدير نظراتها حولها بين هذه الجموع، بينما عاد هو يقول: «أتحبين أن أريك منزل ابن عمي؟»

فنظرت إليه غير مصدقة: «وهل أليخاندرو ابن عمك؟»

«نعم، أتحبين أن أقدم نفسي؟ انني جوان فازكيز روبريكي.»

فقطبت تانيا جبينها: «فازكيز روبريكي؟ إن اسم اليخاندرو الكامل هو أليخاندرو فازكيز هيريرا. إذا كان والداكما أخوين فالمفروض أن يكون لكما نفس الاسم طبعاً.» أترى هذا الرجل يكذب عليها؟ أتراه لا يقربه على الإطلاق؟ وهل هو يقصد أن يجعلها تشعر بالأمان لأن نيته نحوها غير شريفة؟

لكنه قال باسماً: «نعم، قد يبدو الأمر مشوشاً غير مفهوم. العادة هنا أن يكون لدينا اسما أسرتين. ألم يخبرك

أليخاندرو بهذا؟ الأول هو اسم والدنا، والثاني اسم أمنا... وهكذا ينشأ الفرق. وأنت يا وردتي الانكليزية، ما هو اسمك؟»

«تانيا. تانيا إليوت.»

«اسم جميل لفتاة جميلة.»

لقد كرر، دون أن يدري، كلمات أليخاندرو حين تعارفا وتساءلت عما إذا كان جميع سكان هذا البلد يحسنون الإطراء والمجاملات بهذا الشكل.

في تلك اللحظة، جاءت شارلين هاتفة: «أهذا أنت يا تانيا؟ لقد كنت أبحث عنك.» كانت أختها ترتدي ثوباً متألقاً أحمر اللون أبرز لون بشرتها وشعرها بشكل بالغ الجمال. وقد وضعت في شعرها الأسود وردة حمراء كما أن قناعها الأحمر كانت حوافيه مرصعة بالترتر البراق ما جعلها تبدو غير عادية الجمال.

نظر جوان إلى الفتاة الطويلة القامة بإعجاب وهو يسأل تانيا: «هل هذه شقيقتك؟»

فأومأت تانيا: «نعم، هذه شارلين. أقدم إليك جوان يا شارلين، وهو ابن عم اليخاندرو.»

«ابن عم أليخاندرو؟»

كانت تانيا تعلم أن حاجبي أختها لا بد ارتفعتا مستفهمة.

أجاب الرجل على الفور: «هذا صحيح وكنت على وشك أن آخذ تانيا في جولة أريها المنزل. وسيكون من دواعي سروري إذا أنت رافقتنا أيضاً.»

قالت تانيا: «لماذا لا تأخذ شارلين بينما أبقى أنا هنا فترة أطول؟» كانت الحقيقة هي أنها كانت خائفة من أن تصادف أليخاندرو. ففضلت أن تبقى هنا مختفية وسط هذا

الجمع، كما أنها كانت رأت اهتمام جوان المفاجيء بأختها.

ابتسمت شارلين، فقد سرها هذا الاقتراح، فقالت: «هذه فكرة ممتازة، هيا بنا يا جوان.» وأمسكت بذراعه.

ابتسمت تانيا في سرها. إن شخصية شارلين قوية مسيطرة وقد لا يعجب هذا، جوان. ولكن من ناحية أخرى، قد تكون نموذجاً للمرأة كما يحبها، من يدري؟

وقفت وحدها، تفكر... تحلم... ومن خلال الأصوات المهمهمة وقرقعة الكؤوس، والروائح العطرية، ساور تانيا إحساس بوجود أليخاندرو وكأنه واقف بقربها. اقشعر جلدها وانتقلت من مكانها ولكن هذا الشعور بقي في نفسها. إنه هنا، في مكان ما يراقبها. فقد تمكن من تمييزها بالرغم من القناع الأزرق على عينيها والترتر والخرز والريش على حوافيه والذي يغطي كل ملامحها ما عدا فمها.

تناولت كوب عصير واندست بين الجموع متوارية. إنه حتماً لن يتمكن من تمييزها.

اقتربت ماتيلدا منها، فابتسمت لها تانيا بارتياح. كان من السهل تمييز ماتيلدا رغم قناعها الذهبي وذلك بالنسبة إلى ثوبها الأسود وشعرها المضموم إلى الخلف وحجمها الضئيل. وتساءلت تانيا عما إذا كان أفضل لها لو أنها غيرت من نظام شعرها، ما يجعل تمييزها صعباً... أما كان الأفضل لو رفعته وزينته بالأمشاط والمجوهرات؟

رأت أختها شارلين في الشرفة العليا وجوان بجانبها كان يبدو على أختها الاستمتاع تماماً بالحفلة... وعليها هي أيضاً أن تفعل مثلها.

عندما طلب منها شاب أن تجلس معه تشاركه الشراب،

قبلت في الحال، وسرعان ما تجمع الشبان حولها. وكان بعضهم يتكلم قليلاً من الانكليزية. ولكن هذا لم يكن مهماً. وعندما أخذها أحدهم إلى مائدة مثقلة بالأطعمة، اكتشفت أنها تستمتع بوقتها حقاً، وأنها قد نسيت أليخاندرو الآن وشعرت بالإرتياح تماماً.

كان اختيار ما تأكل صعباً تماماً. كان هناك السمك مطهياً بطرق كثيرة ولحومات مقلية، وأنواع مختلفة من الأجبان وفواكه وزيتون وبطيخ وأنواع السلطات وأنواع مختلفة من العجة... وكثير كثير غير ذلك.

كانت تانيا تضحك وتضحك... كانت سعيدة... إلى أن شعرت بيد على ذراعها تشدها بقوة، وصوت عميق يقول: «اظنني انتظرت ما فيه الكفاية.»

الفصل الرابع

رأت تانيا التألق في العينين البنيتين خلف القناع الأسود، لا بد أنها نظرت إلى أليخاندرو عشر مرات هذه الليلة دون أن تعرفه... ولكنه هو عرفها.

سألته بصوت أجش: «كيف عرفتني؟»

فقال ببساطة: «لقد رأيتك وأنت تدخلين.»

«هل كنت تعرفني مدة ثلاثة ساعات دون أن تفعل شيئاً؟»

فسألها باختصار: «هل كنت تريدين أن تجلسي معي؟»

فهزت رأسها نفياً بحزم.

«هذا ما ظننته، ولكنني لم استطع أن أدع السهرة تمر دون أن اجلس معك قليلاً، تبدين رائعة، يا تانيا، ألم يخبرك أحد بهذا بعد؟»

فقالت بمرح: «الجميع اخبروني بذلك.»

ادهشها أن قهقه ضاحكاً: «إذن، فالجميع لديهم ذوق حسن، ولكن لا تنسي أنني أول من عرفك.»

فقالت تحول الحديث عن نفسيهما: «انها حفلة بديعة.»

«أنا مسرور لاستمتاعك بها.»

«ان لديك منزلاً رائعاً.»

«ألم تجولي في أنحائه بعد؟»

فهزت رأسها نفياً: «لقد عرض عليّ ابن عمك جوان، ذلك، ولكنه أخذ شارلين بدلاً مني.»

«نعم، لقد رأيتهما معاً.»

يبدو انه يعلم أين كل شخص، بالرغم من اقنعتهم.

«إذا شئت ان تريه، فسأصحبك لذلك.»

أجابت بسرعة: «كلا، شكراً، انني مستمتعة بحفلتك، ولكنني لا احب ان اتطفل على... حياتك الخاصة.»

«اتظنين ان... زوجتي ستقول شيئاً بهذا الخصوص؟»

«لو كنت أنا مكانها، لما كنت سعيدة وأنا أراك تصحب فتيات أخريات تريهن المنزل.» قالت ذلك بحدة.

فقال: «اتعنين إلى داخل غرفة النوم؟»

رفعت تانيا كتفيها: «ليس بالضبط، ولكنني لا اشك في ان ذلك كان في ذهنك.»

«ان لديك فكرة سيئة جداً عني.»

«ألا تظن ان ثمة سبباً لذلك؟» سألته ذلك متعمدة البرودة في لهجتها، ثم جالت بنظراتها بين الجموع: «أي واحدة من تلك النساء هي زوجتك؟»

قال فجأة: «دعينا نخرج من هذا الزحام.» وأمسك بيدها يجرها صاعداً بها السلام إلى الشرفة الأولى، وهناك وجد زاوية تواريها النباتات وأشجار النخيل.

شعرت تانيا بقلبها يخفق وأخذت تتساءل عن سبب قراره السريع هذا في الإنفراد بها، ورغم الأصوات التي لا تحصى، وانغام الموسيقى، والضحكات في كل مكان، فقد كانا وحدهما وكأنهما في غرفة مقفلة، لقد كان الجميع بشغل شاغل عن الانتباه اليهما في تلك الزاوية المنعزلة.

استندت تانيا إلى الجدار وهي تلهث بعد هذه السرعة التي أحضرها بها إلى هنا، ثم سألته: «ما سبب كل هذا؟» وما زال صوتها بارداً، فهي لم تشأ أن تبين له أنها كانت

منجذبة إليه كالمنومة، وأن مشاعرها التي كانت نحوه منذ تلك السنوات الطويلة مازالت لم تخف ولم تتبدّد.

أجابها: «سببه ذكرك الدائم لزوجتي.» وكان في صوته خشونة غير عادية ما أثار عجب تانيا، فقالت بازدراء: «هذا يضايقك، أليس كذلك؟ وهل يعلم الجميع بعلاقاتك الشائنة خارج نطاق الزوجية، دون أن يقولوا شيئاً؟»

توترت شفتا أليخاندرو: «ليس ثمة علاقات خارج نطاق الزوجية، يا تانيا، فقد ماتت جوانيتا منذ ست سنوات.»

صدرت عن تانيا شهقة عالية ورفعت يدها إلى فمها ذاهلة، كان هذا آخر ما كانت تتوقع سماعه.

«آه، يا أليخاندرو، انا آسفة... آسفة جداً، لماذا لم...»

فقاطعها بخشونة: «... لم اخبرك؟ ولماذا اخبرك وأنت ما تنفكين تحكمين عليّ وتصفينني بأسوأ الصفات.»

«وهل تلومني؟» سألته ذلك وهي تحاول أن تفكر في ما قال، منذ ست سنوات أي حوالي الوقت الذي تزوجت هي فيه بيتر.

«كان عليك أن تعلمي أنني لست من النوع الذي يعبث خلف ظهر زوجته.»

فصرخت فيه: «أحقاً؟ وما الذي كنت تفعله معي إذن؟»

«لم اكن متزوجاً حينذاك.»

«هذا صحيح، ولكن جوانيتا كانت في بلدك تنتظرك؟ انني آسفة لموتها، ولكنني مازلت أراك نذلاً، لقد رأيتك مع فتاتين مختلفتين حتى الآن، احداهما متزوجة، وقد ظننت بكل غباء ان بيترز كانت تتحدث عنك حين ذكرت زوجها، ان سلوكك هذا لا يكاد يصدقه أحد، ولو أردت أنا الخروج معك أيضاً، لما ترددت أنت.»

رأت شفتيه وفكه يتوتران غضباً، وعينيه تشعان من خلال شقتي قناعه الأسود... وشعرت بالسرور لجعله يغضب فهو يستحق ذلك، انه يحاول ان يبدو بصورة الرجل الراقي المهذب، ولكن هذه الصورة بعيدة عنه وهو الذي يستعمل النساء لمتعته الخاصة... لشد ما تكرهه.

«انك تتعجلين في رأيك يا تانيا... فأنا...»

فقاطعته ثائرة: «لا أريد ان اسمع اعذارك، فأنا اعرف ما رأيت منك وهو لم يعجبني، وعندما أعود إلى انكلترا، سأنبذ كل أفكاري عنك... وإلى الأبد.»

وأخذ صدرها يعلو ويهبط وقد التمعت عيناها كعينيه، فسألها بهدوء خطر: «اتظنين هذا ممكناً؟»

«مضت سنوات لم افكر فيها بك، فلماذا أفكر فيك الآن؟» قالت ذلك دون ان تنتبه إلى القنوط الذي بدا في لهجتها.

فجأة، تقدم نحوها يمسك بكتفيها ثم يرفع وجهها إليه: «تانيا... تكلمي... قولي ان لا شيء قد تغير بيننا... اعترفي بأن مشاعرك نحوي مازالت هي هي.»

نظرت إليه صامتة... هذا صحيح، فمشاعرها نحوه لم تتغير رغم مرور السنين، كان غريباً ان كراهيتها له لم تقتل تلك المشاعر، وفي هذه اللحظة بالذات، لم تشأ ان تدعه يذهب فهذا الرجل يغريها، ويجذبها ويتملكها روحاً وكياناً بكل معنى الكلمة.

وهمست باسمه دون وعي: «أليخاندرو... آه، يا أليخاندرو...»

«تانيا... أنا...» وسكت فجأة. «ها هوذا ابن عمي قادم نحونا.» عندما وصل وشارلين بجانبه، قالت هذه متذمرة: «لقد كنت أبحث عنك، ماذا تفعلان هنا؟» وأخذت تنقل نظراتها بين شقيقتها وأليخاندرو.

www.elromancia.com

أجاب أليخاندرو: «نتحدث عن الأيام الخوالي.» ودهشت تانيا وهي ترى صوته طبيعياً تماماً.

فقال جوان: «أوشك الليل أن ينتصف، أليس هذا وقت رفع الأقنعة بالنسبة إلى الجميع؟»

فقال أليخاندرو: «نعم، هذه هي العادة، ولكن يخطر ببالي أن يترك الجميع الأقنعة مكانها حتى يذهبوا إلى بيوتهم دون أن يعلم الواحد منهم من كان يغازل.»

فقال ابن عمه: «هيا، يا أليخاندرو، لا يمكنك ان تفعل شيئاً كهذا، لقد جلست إلى هذه المرأة الجميلة طوال السهرة ولم أر وجهها حتى ولا مرة واحدة.»

فقال أليخاندرو بابتسامة ذات معنى: «اتتوقع مني أن اصدق هذا؟ لا تظن أنني لم أركما تدخلان إلى إحدى غرف النوم.»

فقال جوان: «كان ذلك لأريها الغرفة فقط.»

أومأت شارلين موافقة: «نعم، فقد كان سيداً مهذباً تماماً.»

فقال أليخاندرو: «أنت إذن محظوظة، فهذه ليست عادة جوان التي أعرفها.»

عندما تحركت شارلين مبتعدة مع جوان، تبعتهما تانيا، ولكن هذا لم يعجب أليخاندرو فمد يده يمسك بمعصمها: «إلى أين تذهبين؟ اننا لم نكمل حديثنا بعد.»

فهزت رأسها رافضة: «ما كان لي أن انفرد بك، ثم اننا قد تحدثنا بما يكفي.»

فتوتر فمه غضباً: «لا يمكنك ان تنكري التجاذب الذي ما زال بيننا.»

«هذا صحيح، لا يمكنني إنكاره، ولكن يمكنني مقاومته.»

«ولكن لماذا تقاومينه؟»

أجابته بعنف: «لأن في الحياة اكثر من مجرد الرغبة، وهذا كل ما يجمعنا وما كان بيننا على الدوام، وإذا شئت أن تعلم، فأنا أشعر بالخزي والعار من مشاعري نحوك، ابتعد عني يا أليخاندرو، فأنا لا اريدك.» واستدارت راكضة في اتجاه شقيقتها، ولكن شارلين كانت غابت عن الأنظار.

لم تستطع تانيا معرفة طريق العودة، وبدا وكأن السلالم قد اختفت، حاولت ان تدخل من عدة أبواب، ولكنها كانت مقفلة جميعاً، وعندما وجدت أخيراً باباً مفتوحاً، اندفعت إلى الداخل... وإذا بها تكتشف انها غرفة أليخاندرو، أو هذا ما خطر لها، فقد كانت هذه غرفة رجل بأثاثها الثقيل الداكن، وزخارفها القوية بلونيها البني والأخضر، وكان فيها باب يؤدي إلى حمام ناصع البياض وتفوح منه رائحة كولونيا بعد الحلاقة التي لا يمكن ان تخطئها تانيا.

يبدو انها وقفت طويلاً في الغرفة، لأن أليخاندرو انضم اليها وابتسامة رضا على شفتيه: «انني مسرور إذ أراك غيرت رأيك.»

كان يعلم ان هذا لم يحدث وأنها دخلت إلى الغرفة بالصدفة، ولكنه أراد أن يستغل هذه الفرصة، أو على الأقل هذا ما فسرت تانيا كلامه به، فحملقت فيه بغضب: «من غير الممكن أن افعل شيئاً كهذا، وإنما كنت أبحث عن طريق النزول إلى الطابق الأسفل.»

فقال بهدوء: «لا ضرورة للعجلة.»

ولكنها لم تستمع إليه وهي تقفز هاربة من الغرفة إلى حيث وجدت بعض الأشخاص فتبعتهم إلى حيث هبطوا جميعاً السلالم إلى الفناء الخارجي أسفل.

جعل الارتياح اعضاءها ترتجف، فاتكأت إلى أحد

الأعمدة الخشبية التي تسند الشرفة وهي تستمع إلى خفقات قلبها، وعندما جاء إليها أليخاندرو مرة أخرى وهم بمتابعة الحديث معها، اذا بيد تستقر على كتفه وصوت يقول: «أهذا أنت يا أليخاندرو؟ انني لم أرك طوال السهرة.»

استطاعت تانيا تمييز صوت اينوسينت منذ اللحظة التي تكلمت فيها.

التفت أليخاندرو إلى الفتاة ثم ابتسم لها ببساطة، وحرارة: «ولكن ليس من المفروض أن تعرفيني.»

«ولكنني وحدي، وأنا أريدك، لم تجلس معي طوال السهرة.»

«لم تكوني بحاجة إلى مرافقين.»

إذن، فقد ميزها هي أيضاً، كما اخذت تانيا تفكر. «هذا صحيح، ولكنهم ليسوا أنت، تعال اجلس معي الآن أرجوك.»

ثم جرته بعيداً، بينما حدثت تانيا نفسها بأنها ارتاحت منه، رغم أنها ما زالت بشوق إليه، وكان هذا تناقضاً واضحاً في مشاعرها ما جعلها تغضب من هذه المشاعر.

دقت الساعة الثانية عشرة، وسار أليخاندرو نحو نافورة الماء حيث اخذ يتكلم بصوت عال، ولم يكن لدى تانيا فكرة عما كان يقوله لهذه الجموع التي وقفت تصغي بانتباه، ثم إذا بالأقنعة كلها ترتفع فجأة لترتفع بعد ذلك صيحات التعجب والإستغراب ونظرات الدهشة.

وقع نظر تانيا على شارلين وجوان، كان ينظر إلى شقيقتها بإعجاب واضح، وكان هو أيضاً اكثر وسامة مما كانت تانيا تظن، وتمنت لأجل شارلين، ان يكون أفضل من إبن عمه.

أخذت تبحث بعينيها عن أليخاندرو، فرأته قد عاد إلى جانب إينوسينت، وكانت عينا الفتاة تتألقان بسعادة وهي

تجلس بجانب الرجل الذي تحب، ومن بعيد كانت بيتريز مع زوجها أو من افترضت تانيا أنه زوجها، ونهض أليخاندرو متجهاً نحوهما حيث أخذ يتحدث إليهما فترة قصيرة عاد بعدها إلى إينوسينت.

نظرت حولها تبحث عن ماتيلدا وشارلين، فقد حان وقت ذهابهن، بعد ان نالت ما فيه الكفاية، ولكن شقيقتها لم يكن يبدو لها أثر بينما كانت ماتيلدا جالسة في زاوية تتحدث إلى بعض السيدات، وقد بدا عليها أنها هناك منذ بعض الوقت.

في تلك اللحظة جاء شاب يطلب الأذن بالجلوس معها، ومضت ساعة كان الشبان مجتمعين اثناءها حولها يضحكون معها ويلهون، فيزداد ضحكها لغزلهم كلما رأت أليخاندرو ينظر إليها، كان كل ذلك تمثيلاً بارعاً منها لأنها في الحقيقة كانت تشعر بالتعاسة تتملكها، متمنية لو انها لم تأت إلى هذه الحفلة قط.

ظنت ان شارلين وماتيلدا لن تأتيا قط، إلى ان رأتهما يبحثان عنها ليقولا لها ان قد حان وقت الذهاب، وكان جموع المدعوين قد ابتدأت بالتناقص بعد ان خرج البعض منهم، وتمنتن تانيا لو يخرجن بسيارة أجرة دون أن ترى أليخاندرو مرة أخرى.

وكان هذا مستحيلاً طبعاً، إذ سيبدو سوء أدب بالغ، وكان هو في الواقع، قد اقترب منهن بعد أن رآهن واقفات معاً: «لا اظنكن خارجات الآن؟»

فقالت شارلين: «الساعة تجاوزت الثانية، وماتيلدا شبه ميتة من التعب، ولكن الحفلة كانت رائعة، ونحن نشكرك جداً لدعوتك هذه لنا.»

أخذت تانيا تفكر في ان الحفلة كانت رائعة بالنسبة إلى شارلين لأنها تعرفت إلى جوان، وكانت ماتيلدا تقدم إليه شكرها هي أيضاً، والتفت إليها أخيراً وقال لها: «انني اشكرك كذلك، يا تانيا لحضورك.»

فقالت: «انها حفلة غير عادية، ولا شك انك تعرف جيداً كيف تقوم بالأشياء بطريقة فخمة.»

«ان عيد الكرنفال هو أهم احداث السنة عندنا، فكل شخص يحتفل به، وعليك حتماً ان لا تدعي العرض الأكبر يفوتك، وفي الواقع عليك ان لا تدعي أياً منه يفوتك، في الأسبوع القادم ستسير الجموع في الشوارع وسينتخبون ملكة الكرنفال وأنا في الواقع عضو شرف في لجنة التحكيم هذه السنة، انني أريدك ان تأتي لتتفرجي... فالأزياء التي يرتدونها هي من غير هذا العالم، سيصور التلفزيون كل شيء، طبعاً، ولكن الحضور والشعور بجو المكان هو افضل كثيراً بالطبع، فهزت تانيا رأسها: «لا اظن ذلك.»

«ان تغيير المرأة لرأيها هي ميزة فيها.»

«أنت تطلب الكثير.»

«لأجل نكرى أيامنا الماضية.»

«الأيام الماضية لا تعني لي شيئاً.»

فتوترت شفتاه بغضب مفاجيء: «الخيار لك، وسأتصل بك.»

الفصل الخامس

ليس ثمة من استيقظ باكراً صباح الأحد حتى ولا ماتيلدا التي تستيقظ عادة باكراً، وفي الواقع كانت تانيا هي أول من غادر الفراش وذلك فقط لأنها أمضت ليلة أرقة إذ لم تستطع منع نفسها من التفكير في أليخاندرو، وفي الواقع كلما طال وقت بقائها في الفراش، زاد أمد عذابها وهي تفكر فيه.

كانت بحاجة إلى النهوض وشغل نفسها بشيء ما رغم أن شخصاً يمضي إجازته في بيت غريب لا يجد عادة شيئاً يفعله، وهكذا صنعت لنفسها فنجان قهوة حملته إلى الخارج، ثم جلست معجبة بيوم آخر رائع الجمال.

كانت شارلين قد اقترحت أن يذهبا معاً للنزهة إلى إيكود هذا النهار للتفرج على شجرة عمرها ثلاثة آلاف عام وبعد ذلك إلى بويرتو دي لاكروز، هذه منطقة اجمل من اميريكاس، كما قالت لها شارلين.

ووافقت تانيا على أن هذا شيء خلاب حقاً.

ولكن عندما استيقظت شارلين أخيراً، أعلنت بأن جوان سيأتي لأخذها، قائلة: «لا أدري كيف نسيت موعدنا هذا معاً أنا وأنت، فأعطيته ذلك الموعد ولا أدري ما الذي كنت افكر فيه وأنا أرتب أمر الخروج معه بينما أنت في إجازة هنا، ولكن تعالي معنا، وأنا واثقة من انه لن يمانع.»

لكن تانيا رفضت أن تتطفل عليهما، لقد سرها أن تجد شقيقتها صديقاً تخرج معه، ولكنها تمنت لو أن شقيقتها

فكرت فيها اكثر من ذلك، فهي ستعود إلى الوطن بعد اسبوعين فقط، وبإمكان شارلين، بعد ذلك، أن تمضي ما تريد من وقت مع هذا المدعو جوان فازكي رودريكي.

ولكن الذي حدث هو أن جوان لم يحضر وحده، فقد أحضر معه شقيقه، مانويل وهو يقول لتانيا أثناء تعريفهما ببعضهما البعض: «لم استطع ان أدعك جالسة وحدك هنا طوال النهار.» وهكذا مضى النهار أجمل مما كانت تتوقع.

وعندما اقترح أن تخرج معه في اليوم التالي، قائلاً إنه يوم عطلته من العمل، قبلت على الفور، فمثل هذا اللهو يساعدها على تحويل افكارها عن أليخاندرو.

ولدهشتها، جاء إليها مستقلاً دراجة بخارية، وهكذا تحول نهارها إلى نزهة مخيفة حول الجزيرة. كانت النزهة ممتعة رغم لحظات من الخوف أحياناً، ورأت اشياء اكثر كثيراً مما لو كانت ذهبت مع شقيقتها، وفي الحقيقة استمتعت تانيا بهذه الرحلة كثيراً.

وعندما انزلها في النهاية امام البيت، سألها بلهفة: «هل استطيع رؤيتك مرة أخرى؟»

فأومأت قائلة: «نعم، طالما أنت مدرك بأن الأمر مجرد لهو، فأنا لا أريد التورط بعلاقة معك.» ذلك أنها قد أخذت تلاحظ أن هذا الفتى اخذ ينظر اليها بشكل جدي.

فسألها مقطباً جبينه: «هل هنالك شخص آخر في قلبك؟ لقد قال جوان انك... ماذا كان تعبيره؟ قال انك مزعزعة وغير خيالية... وأنا لا ادري ما يعني هذا، ولكن...»

«هذا يعني أنه لا يوجد رجل في حياتي حالياً، وأنا أريد لهذا الوضع أن يستمر.»

«ولكن لماذا؟»

«لقد كانت خسارتي لزوجي مؤلمة لي جداً، ولهذا لست مستعدة بعد لإقامة علاقة جديدة.» وكانت هذه كذبة، ولكنها ضرورية لرفض هذا الفتى دون أن تجرحه.

فقال: «انني افهم شعورك، ولكنني مازلت احب أن اخرجك معي إلى النزهة، سأكون مشغولاً الآن حتى يوم الأحد، فهل بإمكاننا ان نخرج حينذاك؟»

فقالت: «لا استطيع ان أعدك، فأنا لا أدري كيف ستكون ترتيباتي، فقد أخرج مع شقيقتي، إلا اذا دعاها جوان للخروج معه مرة أخرى.»

فقال بعزم: «سآتي إذن لأرى، فقد استمتعت بهذا النهار جداً، إلى اللقاء يا تانيا، حتى يوم الأحد.» وما لبثت الدراجة الهادرة أن توارت به، تاركة خلفها عاصفة من الغبار.

ما كادت تانيا تضع قدمها في المنزل حتى اخبرتها ماتيلدا انها مطلوبة في الهاتف، وكان هذا أليخاندرو.

«تانيا، لقد اخبرتني ماتيلدا انك كنت غائبة طوال النهار مع شاب، من هو هذا؟»

كان سؤالاً صريحاً مباشراً تضايقت منه تانيا، فسألته ساخطة: «وما شأنك أنت بذلك؟»

«أنا اعتبر أن هذا من شأني تماماً، فأنت لا تعرفين أحداً هنا، وأنا أكره أن أراك تتخذين مرافقين غير مناسبين.»

كان هذا كثيراً منه، فإذا كان هناك من يستغل امرأة، فهو أليخاندرو، فقالت له: «ليس لك أن تخاف من تلك الناحية، فهو من أسرة جيدة جداً.»

«ما اسمه؟»

«مانويل.»

فقال ساخراً: «هنالك عشرات ممن اسماؤهم مانويل في تينيريف، ألم تعرفي اسم أسرته؟»

«بل عرفت، ولكنني لا اظن ذلك مهماً، لماذا اتصلت بي هاتفياً؟»

«أريدك ان تأتي معي إلى سانتا كروز.»

قال ذلك بلهجة تشبه الأمر، فقالت له كاظمة غيظها: «هل الأمر بهذا الشكل؟ أنت تأمر فأركض إليك؟ هل هذا ما تريد؟»

«إذا بدت لك لهجتي بهذا الشكل، فأنا أعتذر، ولكن من الخطأ ان تدعي الكرنفال يفوتك، وأنا لا أعني فقط العرض الكبير، ولكنني أعنيه كله... كل التسلية والرقص والضحك، ان لدي شقة في سانتا كروز ويمكنك ان تقيمي فيها.»

فقالت متعمدة الخشونة: «كلا، شكراً، لا أريد أن آتي.»

«اظن أختك في العمل؟»

«نعم.»

«الأمر سخيف إذن، فأنت لا يمكنك ان تسمي جلوسك في البيت وحدك، إجازة، ان الكرنفال هنا هو من الأهمية بعد كرنفال ريو دي جانيرو في البرازيل، فهو الأكبر في اوروبا وعليك ألا تدعيه يفوتك.»

أخذت تانيا في الحقيقة، تفكر في انه شيء مثير حقاً، وسيكون افضل كثيراً من تسلية نفسها هنا، ولكن أن تقيم في شقة أليخاندرو؟ ان في ذلك مجازفة كبرى.

«أنا لن استعمل الشقة يا تانيا، اذا كان هذا ما تخافين منه.»

فأدهشتها فطنته، بينما تابع يقول: «سأكون معك أثناء

النهار، بطبيعة الحال، فأكثر الناس يأخذون عطلة أسبوع من العمل في هذا الوقت من السنة، ولكنني سأعود إلى بيتي في اوروتوفا كل ليلة، فلا حاجة بك إلى الخوف من وجودي.»

فقالت بلهجة مليئة بالسخرية: «يا لك من مراعٍ لشعور الآخرين.»

«آسف، فقد ظننت أنني أسدي اليك معروفاً. فإذا كنت لا تريدين أن تستمتعي بمشاهدة الكرنفال، فذلك يعود إليك.»

قالت: «أنا لم اقل انني لا أريد ان أجيء.» ذلك انها في الحقيقة، رأتها فكرة رائعة، فقد ابتدأت تشعر بالملل في هذه الإجازة، خصوصاً بعد أن تعرفت شارلين إلى جوان الآن. فهو وحده مدار حديثها الآن.

وتابعت تقول: «وإنما فقط أشعر بالريبة تجاه تحركاتك.»

فعاد الغضب إلى صوته: «لقد أوضحت تماماً يا عزيزتي، أنك لم تعودي تريدين أية علاقة بي، لكنني أؤكد لك ان علاقتنا ستكون شريفة تماماً، إلا اذا غيرت رأيك، طبعاً.»

فقالت بسرعة: «لن افعل هذا أبداً، وفي هذه الحالة يسرني ان أقبل ما تعرضه عليّ، بشرط أن تقيم شارلين معي إذا كان لديها فراغ من العمل.»

«طبعاً، فمرحباً بها... ولكن... ليس صديقك.»

سرها انه لا يستطيع رؤية ابتسامتها، فقد بدت في لهجته الغيرة، وقالت متظاهرة بالأسف: «نعم، سأتبع شروطك رغم أن هذا لن يعجب مانويل.»

فقال باختصار: «هذا حسن، سأمر عليك إذن عند الصباح لآخذك، كنت مصمماً على مرافقتك اليوم، ولكن... بما انك

كنت مشغولة بشخص آخر، فلم يعد ثمة وقت الآن. تصبحين على خير، يا تانيا.»

وبينما كانت تضع السماعة، اخذت تفكر في ما اذا كانت ارتكبت غلطة كبرى، لقد قال انه سيتصرف بشكل مهذب، ولكنه كيف سيتمكن من ذلك وهي التي تعرفه جيداً.

وكذلك لم تشعر شارلين بالارتياح حين اخبرتها تانيا عن دعوة أليخاندرو: «ما هذا، يا تانيا؟ هذا اكثر ما سمعته جنوناً، فأنت تضعين نفسك بين يديه مباشرة، انك تعرفين اخلاق هذا الرجل، فهو لا يهمه سوى إرواء رغباته.»

قالت تانيا: «لقد طمأنني إلى ان سلوكه سيكون مهذباً، كما انه لن يبيت الليل هناك، سأكون في الشقة وحدي.»

فسألتها شقيقتها مذهولة: «وهل صدقته؟ إذا انت صدقت أياً مما يقوله ذلك الرجل، فلا بد لك من فحص عقلك، هل نسيت معاملته لك؟ وماذا عن كل تلك الفتيات اللاتي رأيناه معهن؟»

«انهما اثنتان فقط.»

«إذا كان يحاول الرجوع اليك فاثنتان عدد كبير، آه، يا حبيبتي لا تخدعي نفسك به للمرة الثانية.» واحتضنت شارلين شقيقتها بشدة: «لا يمكنك ان تخدعيني، فأنا اعرف انك مازلت منجذبة إليه... ولكنه لا يستحق ذلك، انه لا يستحق مطلقاً، فشعوره نحوك ليس جاداً، ولا اظنه جاداً بالنسبة لأية امرأة... حتى إنني لا اظنه كان يحب زوجته كما يجب على الرجل، وإلا لما حاول انشاء علاقة معك.»

فتنهدت تانيا: «الحق معك وأنا أعلم ذلك، ولكنني أرى هذه الفرصة اجمل من أن أدعها تفوتني.»

لوت شارلين شفتيها عابسة: «انه ذنبي انا إذ أهملتك،

وذلك سماحي لكارلوس بأن يأخذ إجازة مرضية في وقت كهذا، ثم انني لا ألومك في الواقع، لرغبتك في الذهاب إلى سانتا كروز. فالكرنفال رائع حقاً. وإذا كنت مصممة على الذهاب فكل ما يمكنني ان أقول هو كوني حذرة.»

«أعدك بأن اكون كذلك، فأنا اكبر سناً الآن واكثر حكمة، وسأسير في هذا الأمر وعيناي مفتوحتان.»

«لا بأس مادمت لن تدعي قلبك مفتوحاً، يا تانيا، حبيبتي، اني أحبك ولا أريدك ان تتألمي مرة أخرى، وإذا تمكنت من تدبير أمري في الحصول على يوم أو يومين إجازة، فسأنطلق اليك كالسهم، كما أن عليك ان تتصلي بي حال وصولك لتعطيني العنوان.»

* * *

سرّت ماتيلدا، وهي التي لا تعلم ما بين أليخاندرو وتانيا، سرت لأن تانيا ستتمكن من التفرج على الكرنفال، ولكنها اصرت على ان تعود تانيا إليها لتمضي آخر أيام إجازتها.

كان من الطبيعي ان يضطرب يوم تانيا تلك الليلة، حيث اخذت تتقلب في الفراش وقد تملكها القلق وهي تتساءل عما يجعلها تقوم بهذا العمل، راجية ألا يكون ذلك غلطة فادحة... كما كان ذهابها إلى حفلته.

جاء أليخاندرو الساعة الثامنة وكان ذلك مبكراً عما كانت تانيا تتوقع بكثير، ومع أنه كان يرتدي ملابس عادية إلا أنه كان يبدو بالغ الجاذبية.

كانت حقيبتها جاهزة عند الباب، وكانت قد ارتدت بنطلوناً أبيض من القطن وقميصاً مقفولاً، فأخذ أليخاندرو

يتأملها صامتاً مفكراً، وأخيراً استقرت عيناه على وجهها: «يبدو عليك التعب، يا تانيا، لا اظنك بقيت مستيقظة اكثر الليلة وقد تملكك القلق خوفاً من أن لا يكون عملك صائباً.»

أجابت آملة ان لا يتمكن من قراءة افكارها: «صحيح انني لم استطع النوم جيداً، ولكن السبب هو حرارة الجو.»

لكنه لم يصدقها، فقد كانت الحقيقة ماثلة في عينيها، ومع ذلك قال: «الجو في الشمال اكثر برودة بكثير، فلن تجدي صعوبة في النوم هناك.»

تمنت بعد فوات الأوان، لو انها كانت رفضت الذهاب، كان الحق مع شارلين، فهي تقترف الآن غلطة... غلطة هائلة.

كانت موشكة على القول انها قد غيرت رأيها، عندما قال بلهجة خشنة: «حسناً، مادمت جاهزة، فسنذهب.»

فقالت: «ولماذا العجلة؟ ان ماتيلدا تصنع قهوة، الا تريد أن تشرب فنجاناً؟»

«اتراوغين، يا تانيا؟»

أشاحت بوجهها بسرعة وهي تقول: «كنت أقوم بواجب الضيافة، ليس إلا.»

فقال وهو يحمل الحقيبة: «سنذهب إذن إلى اللقاء يا ماتيلدا.» وفي لحظات كان قد أصبح خارج المنزل، تاركاً تانيا تهرول خلفه، وسرعان ما كانت حقيبتها تستقر في الصندوق، ثم يستقلان السيارة وتتحرك بهما بسرعة، بينما ماتيلدا في الباب تلوّح لهما بيدها مودعة.

كانت تظنه سينطلق جنوباً ليسير في الطريق العام ومن ثم يسير باتجاه سانتا كروز، ولكنه بدلاً من ذلك، سار في الاتجاه المضاد، فسألته مقطبة: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

«فكرت في أن آخذك لرؤية حقول البندورة، انني مازلت أمارس زراعتها الآن، تماماً كما كان يفعل أبي.»

فقالت وهي تكتم غيظها: «أرى الأمر غير مستعجل، ألن يقام شيء اليوم في سانتا كروز؟ كنت أظن انك ستحضرني لرؤية العرض فقط.»

أحاب وهو يبتسم: «هذا صحيح، ولكنهم لن يبدأوا بشيء قبل عصر هذا اليوم، والأشياء الأخرى مثل انتخاب ملكة الكرنفال لن تحدث قبل التاسعة مساءً. انهم يتأخرون في هذا عادةً.»

استقامت تانيا في جلستها وهي تتنفس بغضب وحملقت فيه وقد ازداد بريق عينيها: «انك خدعتني، يا اليخاندرو، وستبقى أيامي فارغة كما كانت من قبل تماماً.»

فقال بثقة: «آه، كلا، هذا غير صحيح، لأنني سأكون معك، ونحن سنفعل كل ما تريدينه... نتفرج على الأماكن، نأخذ حمامات شمس، نذهب للنزهة على الأقدام، العالم سيكون أمام ناظريك، يا عزيزتي، وستعترفين فيما بعد بأنك استمتعت اكثر كثيراً مما لو كنت وحدك.»

فنظرت إلى الأمام وقد تشابكت يديها بشدة في حجرها، وهي تقول: «انني اكرهك، فقد جعلتني اعتقد ان كل تلك الأحداث ستجري في الصباح.»

«وهل كنت ستحضرين لو أنني اخبرتك بالحقيقة؟»

فصرخت تقول: «كلا بكل تأكيد، وأريدك ان تستدير الآن بالسيارة وتعيدني إلى منزل ماتيلدا.»

«لا تحلمي بهذا في حياتك، يا تانيا.»

وضغط بقدمه على دواسة البنزين وكأنما يؤكد كلامه. «اننا بحاجة إلى قضاء بعض الوقت معاً، وهذه كانت

الطريقة الوحيدة التي اهتديت اليها، انك ملكي الآن، يا تانيا لمدة السبعة أيام القادمة، ملكي تماماً.»

نظرت إليه بعينين ضيقتين: «لم يسبق ان كنت ملكاً لك قط من قبل، ولن اكون أبداً.» كان قلبها يتألم، فيا له من وضع، لم يخطر ببالها قط أنه سيفعل بها ذلك ورفعت رأسها: «عندما تعود إلى بيتك ليلاً، فلن يمنعني شيء من الرحيل، فأنا أرفض أن اكون سجينتك.»

قال ومازال يبتسم بشكل يثير الغيظ: «انك لست سجينة، يا تانيا، ولن تكوني أبداً، ثم من قال إنني سأعود إلى بيتي؟»

فجحظت عيناها وتسارعت خفقات قلبها: «ولكنك وعدتني بذلك.»

«لقد جعلت الوعود لكي تخلف، كما يقال.» وكان صوته الآن أعمق من أي وقت مضى وهي عادته عندما كان ثمة أمر يدور في ذهنه خارج نطاق الحديث.

حاولت تانيا أن تجد طريقة تخرج بها من هذا الوضع، ولكنها لم تستطع، لقد وقعت في الفخ، سواء شاءت ذلك أم لا، لم تظن قط أنه سيتصرف نحوها بهذا الشكل، فقد وثقت به، ولكن هذا لن يحدث أبداً بعد الآن، هذا ما صممت عليه، إذا هي خرجت من هذا الأمر سليمة، فاليخاندرو حتماً، لن يكون له أي دور في حياتها، بعد ذلك.

«أصبحت هادئة جداً، يا حبيبتي.»

ردت عليه بغضب: «أنا لست حبيبتك.»

«يمكنك أن تصبحي كذلك.»

فحملقت فيه قائلة: «مع اينوسينت وبيتريز؟»

«إن بيتريز هي زوجة شقيقي.»

مرة أخرى، تملك تانيا الذهول، لقد كانت حمقاء حقاً، وهمست تقول: «لماذا لم تخبرني بهذا؟»

«لأنني ظننت أن ماتيلدا لا بد قالت هذا.»

«لقد قدمتنا فعلاً لبعضنا البعض، ولكنك تعرف سرعة ماتيلدا في الحديث، فلم أفهم من اسمها سوى كلمة فازكي.»

«وهكذا ظننت أنها زوجتي، وبعد ذلك عندما اخبرتك ان زوجتي ماتت، اعتبرتها صديقتي... فما أسوأ رأيك بي.»

«أنا آسفة، يا أليخاندرو.»

«آسفة؟» وأصبح دوره الآن ليغضب. «يبدو أنني الملام في أشياء كثيرة لم افعلها، وهذا لا يعجبني.»

أرادت تانيا أن تقول له لو لم يسبق ان عاملها بتلك الطريقة القذرة، لما اخذت تظن به مثل هذه الأمور، ولكنه لن يستمع إليها، خصوصاً وهو في حالة الغضب هذه، وهي لا تلومه، ثم مازالت هناك إينوسينت، والتي يبدو أنها صديقته الدائمة، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا إصراره هذا على تمضية الوقت معها هي، تانيا؟

«أليس لديك ما تقولينه؟» قال ذلك بصوت خشن بعد صوته العاطفي المنخفض في البداية، ما جعل الإرتباك يتملكها، فقالت بلهجة الدفاع عن النفس: «تلك كانت غلطة مني قد تحصل من أي انسان، ولكنك لم تخبرني عن إينوسينت، ما هي بالنسبة إليك؟»

«إينوسينت صديقتي.»

«صديقتك؟ انها تبدو لي أكثر من ذلك بكثير، فالفتاة عاشقة لك.»

فقال: «نعم، انها صديقة حميمة.»

لكن تانيا لم تقتنع، فللعشاق مظهر مختلف عن مظهر الأصدقاء.

«هل أنت غيور من إينوسنت؟»

ألقت عليه نظرة سريعة: «هذا آخر ما يمكن أن أشعر به نحوك، ان لك أن تخرج معها ومع أي عدد من الفتيات تريد، إنما فقط لا تضعني في قائمتك معهن.»

تقبضت يداه على مقود السيارة فجأة، ما جعلت عظام مفاصل اصابعها بيضاء، وتكهنت تانيا بأنه بلغ من الغضب أقصى حد، فهو يكره أن يتذكر بأنها كانت يوماً في قبضته ثم فقدها... يكره التفكير في أنها لم تشعر قط بأي تأثير منه عليها، كان بحاجة إلى محاولة إثبات نفسه، كان لديه كرامة الرجال، وقد جرحتها هي.

وصلا إلى مزارع البندورة خلال نصف ساعة، وكان اعجاب تانيا بها بالغاً، كانت هناك فدادين وفدادين من نباتات البندورة تنمو في صفوف لا تنتهي، وتفوق حجماً أياً مما كانت رأته في انكلترا، وكانت تسندها اغصان تفوق طول الانسان، وكانت النساء بين الصفوف يجنين حبات البندورة ويضعنها في سلال يحملنها.

قالت: «ان الذي يدهشني هو أن بندورة جزر كناري التي عندنا في انكلترا صغيرة الحجم جداً، ولكنني لا أرى بندورة كبيرة الحجم هنا، لماذا؟ هل لديكم انواع متعددة؟»

«كلا، انها كلها سواء، كل ما في الأمر ان الانكليز يطلبون استيراد الحبات الصغيرة منها اليهم، وسأريك فيما بعد كيف تصنف عند الشحن، ففي بلاد مثل هولندا واميركا وبلجيكا، يطلبون حبات كبيرة الحجم.»

فقالت تانيا: «لا بد انها ألذ طعماً.»

بعض أنواع البندورة التي تنمو في الأراضي العليا كانت محمية من الرياح العنيفة التي تهب أحياناً على الجزر، وذلك بجدران من النايلون القوي تمتد بين أعمدة.

لم يمضيا وقتاً طويلاً، فقد كان التوتر بينهما بالغ القوة، لقد قاما بجولة سريعة عادا بعدها ينطلقان في طريقهما، وصعدت الطريق خلال الجبال إلى الأعالي، وكانت هي تنظر بين حين وآخر، إلى قمة جبل تيد البعيدة، حيث كانت الثلوج التي تكللها تتناقض مع زرقة السماء القائمة.

أخذ يسير بسرعة حول منعطفات خطرة، وكان شعرها يتطاير في الهواء، وكان الجو يزداد برودة كلما ارتفعا إلى الأعالي، وساد الصمت بينهما عميقاً، ولم يكن الوقوف عند مزارعه للتفرج عليها قد خفف من التوتر الذي يتملكهما.

عندما وصلا إلى الطريق الذي اجتاز بهما جبل تيد، قال أخيراً: «اتريدين أن نقف لكي تلقي نظرة؟ وربما تحبين ركوب التلفريك؟»

فهزت رأسها نفياً: «لقد كنت جئت إلى هذا المكان مع شارلين، ولكن أظن من الأفضل ان احضر كنزة سميكة من حقيبتي.»

أوقف أليخاندرو السيارة، ثم فتح صندوقها وانتظر إلى أن فتحت تانيا حقيبتها وأخرجت منها كنزة سميكة، كما أحضر سترة لنفسه هو أيضاً، ثم عادا ينطلقان في طريقهما مرة أخرى دون كلام.

أخذا يهبطان الجبال ببطء، خلال مدينة بعد أخرى، إلى أن وصلا أخيراً إلى ضواحي العاصمة.

قالت له دون تفكير: «أين هي شقتك؟» وكأنما صوتها

المفاجيء قد حطم الصمت العميق بينهما، فقد نظر إليها بشبه ابتسامة «انه ليس بعيداً الآن.»

وإذ لم تكن تانيا قد جاءت إلى سانتا كروز من قبل، فقد وجدتها غير ما كانت توقعت. كانت دوماً تظن أن كل العواصم رائعة الجمال، ولكن هذه لم تكن كذلك، وكأنما أدرك اليخاندرو ما يدور في ذهنها، فقال: «قد لا يكون مظهرها جميلاً، ولكن سكانها رائعون، ان لقبها هو عاصمة المعروف فسكانها غاية في اللطف والعطف والشهامة كما سترين.»

كانت شقته على سطح بناية كبيرة عالية، لا تبعد كثيراً عن المركز التجاري، واستقلا المصعد إلى أعلى، وعندما أصبحا في الداخل ذهلت تانيا لمظاهر الرخاء والترف، فقد كانت تتوقع شقة رجل عازب صغيرة الحجم، ليس فيها من الأثاث سوى الضروري لزيارات خاطفة متباعدة، ولكنها ترى بدلاً من ذلك بيتاً حقيقياً بكل معنى الكلمة، بيتاً رائعاً مترفاً كمنزله في مزرعته أوروتافا.

سألته: «هل تقيم هنا مرات كثيرة؟»

«كان ذلك في الماضي، قبل وفاة جوانيتا، فقد كانت تحب السكن هنا كثيراً، ولكنني لا احضر إليه إلا عندما يستدعيني عملي لذلك.» تابع كلامه قائلاً: «إذا كنت جائعة فهناك طعام كثير في الثلاجة.»

فقالت عابسة: «هل يعني هذا أنك ذاهب؟»

قال بوجه جامد: «أليس هذا ما تريدينه؟»

«كلا، بالطبع، لا يمكنك أن تحضرني إلى مكان غريب ثم تتركني، وإلا كنت بقيت حيث كنت، اعدني إلى بيت ماتيلدا إذا لم يكن الوضع يعجبك.»

«لا أريد ان افعل هذا، يا تانيا، وأنت تعلمين ذلك.»

تقابلت أعينهما لحظة طويلة، ناطقة بالألم، وإذا به يتنهد قائلاً: «أواه، يا تانيا، لماذا نتجادل بهذا الشكل؟»

لم تجب وقد ملأتها لهجته المتألمة بمشاعر الدفء والحنان، وعجبت كيف أمكنها ان تشعر بذلك وهي التي كانت تتمنى منذ لحظات لو كانت بعيدة عنه مليون ميلاً.

وعاد يهمس قائلاً: «ليس هذا ما أريده على الاطلاق، فأنا أريد ان يكون هذا الأسبوع مصدر متعة وبهجة لك، لنا معاً، أريد أن نعود إلى التعرف على بعضنا البعض مرة أخرى... وطبعاً أردتك ان تستمتعي بالتفرج على الكرنفال.» قال ذلك بزهو، فهذا العيد السنوي يعني الكثير بالنسبة إليه شأنه بذلك شأن بقية سكان الجزيرة.

لكن ذلك كان اهتماماً ثانوياً، كما لاحظت تانيا، فقد كان هدفه الرئيسي هو استئناف علاقتهما التي كانت منذ تسع سنوات. كان عليها أن تدرك ذلك... ان تتكهن بما يدور في خلده، أو لعلها كانت تعلم وهذا هو السبب في موافقتها على القدوم معه. أليست مشاعرها مازالت تحن إليه؟ أمازالت تلك المشاعر رائعة كما كانت بينهما على الدوام؟

«تانيا؟» ورفع ذقنها برغمها على النظر إليه.

إذا بها تهمس: «وأنا أيضاً أريد أن استمتع بإقامتي هنا.»

الفصل السادس

استيقظت تانيا في الصباح التالي لترى الجو مدلهماً والمطر يهطل، فلم تصدق ما ترى، فهي المرة الأولى منذ حضورها إلى هذه البلاد، ترى فيها المطر، نعم كان الجو احياناً يبدو غائماً، ولكن هذا كان يستمر بهذا الشكل إلى نهاية النهار، كما كان أبرد كثيراً مما هو في الجنوب.

تثاءبت وتمطت، ثم أخذت تنظر في أنحاء الغرفة، لم يكن الأثاث هنا بجمال أثاث منزل ماتيلدا، فهو ذو مظهر فخم قوي ومصنوع من خشب السنديان القاتم اللون، وكانت البسط بجانب السرير بلون خضرة البحر، وكذلك لون غطاء السرير.

كانت هذه أوسع الثلاث غرف نوم مساحة، وقد أصر عليها أليخاندرو بالنوم فيها، وتكهنت بأنها الغرفة التي كان ينام فيها مع جوانيتا، ولا بد أنها تحمل له ذكريات كثيرة.

رأت من النافذة السحب حول قمم جبال اناغا تتذر بعاصفة وشيكة.

لقد كان نهار أمس لا بأس به، فقد صنعت له ولها سلطة، وذلك بعد أن تراضيا، ثم ذهبا للنزهة على الأقدام في أنحاء سانتا كروز. حدثته عن مانويل ومن هو في الحقيقة، مؤكدة له بأن لا شيء حدث بينهما، وقد صدقها هو رغم أنها رأت الغضب يتملكه عندما ذكرت له اسم الفتى.

أمضيا بعض الوقت واقفين على الكورنيش يتفرجان

على السفن الكبيرة الراسية، فقد كانت سانتا كروز ميناءً رئيسياً كما هي مركزاً تجارياً هاماً، كما اخبرها أليخاندرو.

على كل حال ما أعجبها اكثر كان الاستعداد للكرنفال، كانت هناك خشبة مسرح ضخمة وسقيفة صفت فيها الكراسي، وقال لها أليخاندرو: «هنا يحدث التحكيم لاختيار ملكة الكرنفال، وحيث يعزف الموسيقيون ويغني المغنون وتجتمع الناس صغاراً وكباراً، لاختيار الملكة في النهاية، وذلك يكون مصحوباً بحماسة كبرى.»

ولم تستطع تانيا منع نفسها من الشعور بالحماسة هي أيضاً.

وفيما بعد، وجدا مطعماً صغيراً تناولا فيه الطعام، ثم عاد بها بعد ذلك إلى شقته حيث كانت شبه متوقعة منه أن يقول انه سيمضي الليل هنا، ولكنها ما لبثت أن شعرت بخيبة الأمل وهو يقول إنه سيذهب.

فقد قال: «هذا أفضل، فأنت من الجمال بحيث لن استطيع مقاومة إغرائك، فإذا أنا لم اذهب الآن، فلن أذهب أبداً.»

فقالت له: «وستخلف بذلك وعدك.»

«هذا صحيح، ولكنني سأفكر فيك، وأنت هنا ربما تفكرين بي قليلاً، أيضاً.»

فقالت: «آه، أتوقع أن افكر فيك، ولكن ليس بنفس الشكل بالضبط، سيكون تفكيري كم أراحني ذهابك إلى بيتك، وليس لدي شك في أن إينوسنت ستشعر بالإرتياح هي أيضاً إذا عرفت بالوضع.»

تنفس بغضب وقد التهبت عيناه: «اظنني كنت اقنعتك بأن

إينوسنت ليست اكثر من صديقة حميمة، ويبدو أنني كنت مخطئاً.»

فردت عليه بحدة: «كلا، انك لم تقنعني. يمكنك ان تقول ما تشاء، ولكنني اصدق ما تراه عيناي، فإذا هي علمت بأنك احضرتني إلى هنا، فهي لا بد ان يستبد بها الغضب، إلا اذا انت لم تخبرها.»

فقال: «سأخبرها طبعاً، فليس لدي ما أخفيه، وأنت مخطئة في ظنك أنها ستتألم فهي تفهم طبيعة علاقتي بك.»

نظرت إليه تانيا وقد مالت برأسها إلى جانب: «أحقاً؟ إذن فهي تعلم اكثر مني، ماذا اخبرتها؟ اننا نحن أيضاً مجرد صديقين حميمين؟ يهمني جداً أن اسمع كيف تعتبر علاقتنا.»

أجاب بحدة: «لا يهم ما اخبرتها به، المهم هو لماذا أنت صعبة إلى هذا الحد؟»

«أحقاً أنا كذلك؟ لم أكن أعلم ذلك.»

«انك تعلمين جيداً انك كذلك، يا تانيا، لماذا الحاحك الدائم هذا على موضوع إينوسنت؟ لماذا لا نستطيع ان ننساها ونمتع نفسينا، مستعيدين بعض جمال ماضينا؟»

جمال الماضي؟ نعم، كان الماضي جميلاً حتى رأت رسالة والده عن جوانيتا، فابتدأ الكابوس، انها لن تنسى قط تلك اللحظة، أو كيف ترك أليخاندرو انكلترا دون كلمة منه، كيف بإمكانهما أن يعودا إلى مثل ذلك الماضي؟ هذا مستحيل.

ثم قالت: «هذا مستحيل.»

فقال مزمجراً وهو يضغط على كتفيها إلى حد آلمها: «ان عنادك هو الذي يجعله مستحيلاً، فإذا أنت تساهلت وأرحت ذهنك، سترين أنه مازال هناك الكثير من المتعة والبهجة بإمكاننا الحصول عليه.»

«ربما أنا لا أريد بهجة من ذلك النوع.»

«لماذا لا؟ هل ذلك لأجل ذكرى بيتر؟ هل لديك شعور بأن من عدم الوفاء له أن يكون لديك رجل آخر؟»

فصرخت فيه: «كلا طبعاً، ولكنك تعيش في وهم، فأنا وأنت لم تكن تجمعنا قط علاقة وثيقة، ولم يكن بيننا ما يجعلنا نرغب في استعادته.»

نظر اليها بعينين فولاذيتين: «عفواً، ولكنني اظن انه كان هنالك فعلاً، فالمشاعر بيننا مازالت موجودة ولا تحتاج إلا إلى شيء من التشجيع.»

وإذا به يقول فجأة وقد بدا في نظراته اليها أن مشاعره نحوها هي نفسها مشاعرها نحوه: «اتريدينني ان أمكث الليلة هنا؟»

هتف قلبها، نعم، نعم، نعم... ولكن عقلها أصرّ بقوله، كلا، كلا، كلا، فأومأت برأسها نفياً.

«إذن فسأذهب الآن، ولكني سآتي غداً في الصباح الباكر.» ونظر اليها متأملاً، ثم قال بشغف واضح: «انك مازلت جميلة كما كنت، مازلت جميلتي الرائعة تانيا، لشد ما اشتقت اليك، ويا ليتني...» ثم سكت فجأة: «تصبحين على خير، يا حبيبتي. فكري بي قليلاً.»

عند ذلك خرج، تاركاً تانيا تتساءل عما كان يريد قوله، ما الذي كان يتمناه؟ أتراه كان يوشك على تفسير شيء ما؟ على كل حال، ما كانت هي ستقبل ذلك منه. فليس ثمة سبب يجعله يهجرها بذلك الشكل عدا عن أنه رأى ان الوقت قد حان لوضع نهاية لعلاقتهما تلك.

قررت عند الصباح وهي تقف تحت الدوش المنعش، أن

تكون قوية، انها لن تدع مشاعرها تفيض حنيناً إليه كما حدث أمس... فهذا سينتهي بكارثة إذ تشعل في نفسها رغبة حقيقية مازالت كامنة في أعماقها.

لم يكن قال بالضبط متى سيأتي هذا الصباح، فكلمة (باكراً) بالنسبة إلى تانيا كانت تعني العاشرة أو الحادية عشرة أو حتى بعد الظهر، ولكن ليس قبل التاسعة بكل تأكيد كما هو الآن وهي تسمع قرعاً على الباب.

لم تستطع منع خفقات قلبها من التسارع وهي تلقي نظرة فاحصة على نفسها في المرآة قبل أن تفتح الباب، ولكن ابتسامة الترحيب على فمها بهتت حين رأت أليخاندرو مصحوباً بصبي صغير.

قال لها وهو يدخل: «ان لدينا رفيقاً هذا النهار، هذا إبني مانولو، يا تانيا، مانولو، هذه هي الآنسة تانيا.»

فمدّ الصبي يده إليها مصافحاً بكل أدب، أمسكتها وهي تفكر طوال الوقت، إبن أليخاندرو... أليخاندرو لديه إبن! وتملكتها صدمة بالغة، قالت له بلهجة غير واضحة: «أنا مسرورة برؤيتك، يا مانولو.»

لم يتكلم الصبي، وإنما أخذ ينظر إليها بخجل، ورأته في حوالي السابعة من العمر، أسود الشعر نحيفاً ذا عينين بنيتين كبيرتين كأبيه، أما في غير ذلك من الملامح فلم يكن يشبهه بشيء، وتكهنت تانيا بأنه ربما كان يشبه أمه، بأنفه المستقيم الجميل وذقنه المدببة قليلاً.

«الاحتفال بملكة جمال كرنفال الأولاد، سيكون عصر هذا النهار، ومانولو يريد أن يراه، فقد دخلت في الاستعراض ابنة عمه المفضلة لديه، أليس كذلك يا مانولو؟»

قطب الصبي حاجبيه وقال بالاسبانية: «لم أفهم يا بابا.»

كانت تانيا تتوقع ان يتكلم أليخاندرو مع ابنه بلغته، ولكنه بدلاً منن ذلك، قال بصبر بالانكليزية متمهلاً: «أتريد ان ترى دونا؟»

فارتسمت على وجه مانولو ابتسامة عريضة تألقت معها اسنانه البيضاء وأجاب يقول شيئاً بلغته الاسبانية.

فعبس أليخاندرو قليلاً: «تكلم بالانكليزية من فضلك، يا مانولو، ان تانيا لا تفهم ما تقول.»

«أنا آسف يا بابا.» قال الصبي ذلك لأبيه على الفور، ثم قال لتانيا متردداً: «لم أكن اعلم انك لا تتكلمين لغتي.»

قالت معجبة بإحسانه اللغة الانكليزية: «لا بأس في ذلك.»

«بابا، هل يمكنني ان اتفرج على البيت؟»

أجاب أليخاندرو: «طبعاً، ما عدا الغرفة التي تنام فيها تانيا، وهي الغرفة الكبيرة، عليك ألا تذهب اليها، وإلا سيكون ذلك منتهى سوء الأدب.»

«نعم، يا بابا.» ثم انطلق إلى الداخل سعيداً.

نظر أليخاندرو إلى تانيا وهو يبتسم بحرارة: «اظنك نمت جيداً.»

فأومأت تقول: «جيداً جداً شكراً لك، لماذا لم تخبرني بأن لديك إبناً؟»

فهز كتفيه: «لم تكن ثمة حاجة لذلك، وفي الواقع لا أدري إذا كان لديك اطفال، أنت أيضاً، يبدو أننا لم نجلس لحديث عميق شامل، وقد يكون الوقت حان لذلك.»

أجابته بلهجة متوترة: «كلا، ليس لدي اطفال، كما إنني لا أريد أي نوع من الأحاديث العميقة الشاملة معك.»

«هل انت غاضبة مني لأنني لم أخبرك عن مانولو؟»

«كلا، فهذا لا شأن لي به، ولكنها كانت مفاجأة في الحقيقة.» كانت في الواقع اكثر من مفاجأة... كانت صدمة بالغة.

«هل تتمنين لو إنني لم أحضره هذا النهار؟»

فهتفت على الفور: «آه، كلا أبداً، فأهلاً وسهلاً به، حتى انه يسرني أن يكون... لدي صحبة أخرى.»

«أتعنين حارساً؟» قال ذلك رافعاً حاجبيه، وأدركت من نظرته انه كان يفكر في نفس ما تفكر فيه.

فقالت: «نعم، إذ يبدو أن الأمور أخذت تتوتر بيننا، وقد يكون من المستحسن أن يكون معنا، في أي وقت يبدأ التحكيم؟»

«ليس قبل الرابعة، وأرى أن نأخذ مانولو إلى الشاطىء.»

فأومأت موافقة، وكان غريباً ان المطر الذي بدا وكأنه سيستمر طوال النهار، قد انقطع، ومع أن السماء لم تكن صحواً تماماً إلا أن الشمس كانت مشرقة هذه اللحظة.

«انها فكرة ممتازة.» فالشاطىء يعني الإزدحام وهذا يعني أنهما لن يستطيعا ان يكونا متقاربين اكثر مما ينبغي، نعم إنه رأي رائع.

«لا اظنك ذهبت كثيراً للسباحة منذ حضورك إلى هذه البلاد.»

فاعترفت قائلة: «هذا صحيح، ولكن هذا خياري أنا، فقد دفعني غلام إلى البحيرة عندما كنت طفلة، فتملكني الرعب من الماء منذ ذلك الحين، وقد جعلتني شارلين اتعلم السباحة، ولكنني لست ماهرة جداً كما أنني لا استمتع بها.»

«هذا مؤسف، ان مانولو يسبح كالسمكة، فقد علمته

بنفسي وفي عمر مبكر جداً، ولكن لا بأس، فلا حاجة بك للخوف هذا النهار، انني سأراقبك بنفسي.»

لم تكن تانيا واثقة من ان بإمكانها ان تطمئن إلى ذلك، وهي تفضل كثيراً أن تجلس تحت أشعة الشمس أثناء استمتاع أليخاندرو وابنه بالسباحة.

سألها: «هل أكلت شيئاً؟»

فقالت: «أكلت خبزاً ومربى، ومازال هناك قهوة في الإبريق إذا شئت أن تشرب فنجاناً.»

في هذا الوقت كان مانولو قد فرغ من جولته في الشقة وأخذ يقفز صعوداً وهبوطاً على الأريكة الجلدية البيضاء.

فقال أليخاندرو: «اظن الأفضل ان نذهب قبل أن يتلف أثاثي كله، إنني سأري مانولو السفن أولاً، فهو شغوف بها، وهو يطمح إلى الإلتحاق بالقوات البحرية عندما يكبر، انه يريد أن يكون أميرالاً... أو مكتشفاً مثل كريستوف كولومبس، إن أفكاره اكبر منه.» وضحك.

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة عندما وصلا إلى شاطىء تيرسيتاس، فلم تستطع تانيا تصديق ما رأت، لقد كانت تينيريف جزيرة بركانية كل شواطئها تقريباً تغطيها الرمال السوداء، أما هنا فقد كانت الرمال بيضاء.

سألت أليخاندرو: «أليس هذا غريباً؟»

فبسط يديه مزهواً: «انه اكبر شاطىء صنعته أيدي الرجال، في العالم، أربعة ملايين كيس من الرمل شحنت إلى هنامن الصحراء الأسبانية.»

فقالت: «ما أروع هذا.»

«انه المكان المفضل للسباحة لسكان هذه المدينة.»

كان الشاطىء مغروساً بالنخيل وتقوم في أنحائه أماكن لبيع المرطبات وغيرها... كما كان هناك موقف للسيارات قرب الطريق يتسع لمئات السيارات، وبسرعة البرق، كان مانولو يتقافز على الرمال، وابتسم أليخاندرو وهو ينظر إليه بشغف: «فلنذهب إليه.»

كان مانولو متشوقاً إلى القفز إلى المياه، مثل أليخاندرو، وكان الاثنان قد ارتديا ملابس السباحة تحت ثيابهما، كانا وكأنهما يتسابقان، وأخذت تانيا تنظر إليهما باسمة وهي تفكر في روعة علاقتهما هذه، وما أن اصبحا جاهزين، حتى اندفعا نحو البحر، كانت السماء قد اصبحت صحواً تماماً من الغيوم الآن، والبحر ذا لون اخضر أزرق رائع.

بسطت تانيا منشفتها على الرمال، ثم استلقت على المنشفة تستمتع بدفء الشمس، لم يكن الجو دافئاً مثله في الجنوب، ولكنه دافىء بما يكفي، وهكذا أغمضت عينيها مسترخية، تستمع إلى أصوات فتية يتصايحون وأولاد يصرخون، ومالبثت أن شعرت بماء بارد يقطر فوقها.

عندما فتحت عينيها بذعر رأت أليخاندرو وابنه واقفين يشرفان عليها، ينفضان ايديهما المبتلة على وجهها وهما يضحكان، قال أليخاندرو: «لقد جئنا لنأخذك.»

فقال الصبي: «نعم.»

«نحن لا نريد ان نتركك مستلقية هنا.»

«نريدك ان تسبحي معنا.»

فقالت وهي تجلس: «أليس لديّ خيار في الأمر؟»

أجاب أليخاندرو: «كلا على الاطلاق.»

«هل الماء بارد؟»

«ليس بعد أن تتعودي عليه.»

ومدّ إليها يديه الاثنتين فتمسكت بهما، تاركة إياه يجذبها فيوقفها على قدميها.

نظرت إلى مانولو وهي تتساءل عما عسى أن يكون والده قد أخبره عنها، ولكن قد لا يكون أكثر من انهما تعارفا في انكلترا، وطبعاً لا يمكن أن يخبره بأنهما كانا حبيبين وأنه يفكر الآن في تجديد تلك العلاقة.

سارت تانيا بينهما، على كره منها، متجهين نحو البحر الذي كان يبدو لها رائع الجمال من حيث كانت مستلقية على الرمال، ولكنه بدا لها الآن مخيفاً ينذر بالشر، لشد ما هو واسع وعميق وقويّ... وتملكها خوف بالغ.

وإذ أحس أليخاندرو بترددها، أمسك بيدها قائلاً: «سأكون معك في كل إنش تسبحين فيه.» ثم قال لابنه: «تانيا لا تحسن السباحة جيداً، فيجب أن نعتني بها.» وهكذا أمسك مانولو بيدها الأخرى ومن ثم قاداها، هما الاثنين نحو الماء.

كان الماء بارداً كالثلج، وعندما ابتعدا عدة اقدام في الماء، قال لها أليخاندرو أن تلقي بنفسها في الماء، قائلاً: «كلما أسرعت بذلك، كلما كان افضل.» ولأنها لم تشأ ان تبدو حمقاء، اطاعته، شهقت في البداية، ولكنها مالبثت أن اخذت تكتشف أنه لم يكن بارداً جداً.

أخذوا يسيرون في الماء عدة أمتار إلى ان بلغ الماء صدرها، عند ذلك قال أليخاندرو: «والآن، دعينا نرى ما يمكنك ان تفعلي.»

فقالت وقد شعرت فجأة بالذعر من رفع قدميها عن القاع:

«إنني خائفة، لا استطيع أن افعل ذلك، يا أليخاندرو، أريد ان أعود.»

ولكنه لم يستمع إليها. «حاولي أن تعومي، وسأضع يدي تحت ظهرك، ليس هناك ما يخيف.» واضاف برقة فائقة: «ثقي بي يا عزيزتي.»

وشيئاً فشيئاً سمحت لنفسها بأن تسقط إلى الخلف، فارتفعت قدماها إلى أن اصبحت في النهاية عائمة على وجه الماء، ويد أليخاندرو مازالت تحت ظهرها.

تمتم يقول: «استرخي، أغمضي عينيك وفكري في شيء جميل.» فعلت ذلك، وعندما أبعد هو يده عنها بقيت عائمة كما كانت، وذهلت وهي ترى نفسها تقوم بذلك دون خوف، لقد منحها أليخاندرو الثقة بالنفس.

طفا مانولو هو أيضاً بجانبها، وعندما فتحت عينيها ونظرت إليه ضحك وقال: «الأمر سهل، أليس كذلك؟»

وفي خلال نصف ساعة، وجدت تانيا نفسها تسبح بمتعة كبرى... لأول مرة في حياتها كانت تستمتع بذلك، ولم يتركها أليخاندرو قط، فكان يسبح بجانبها، أو يقف يراقبها، وعلى الدوام كان على أتم الإستعداد في حالة تملكها الهلع، وعلى الدوام يقدم إليها عبارات التشجيع.

كان مانولو قد انضم إلى مجموعة صبية من سنه، فبقيت مع أليخاندرو وحدهما، وكانا الآن يعومان مرة أخرى جنباً إلى جنب، فقال بهدوء: «تانيا، أنت تسببين لي الجنون، هل تعلمين هذا؟ ان تأثيرك عليّ مازال كما كان منذ تسع سنوات.»

تمنت لو لم يقل ذلك، لأنه منذ تسع سنوات كان تركها إلى

انكلترا دون معاودة الاتصال بها، لقد رحل بعد أسبوع على جدالها معه... فكيف يقول ان تأثيرها عليه كان قوياً؟ فقالت له: «انك معسول اللسان، يا أليخاندرو.»

«ألا تصدقينني.»

«مضى زمن كنت اصدقك فيه، ولكن ليس بعد ذلك، فأنا الآن اظنك تقول نفس هذا الكلام لكل فتاة.»

فقال غاضباً: «كلامك هذا ليس له ما يبرره.»

فنظرت في أعماق عينيه السوداوين الغاضبتين: «أحقاً؟ على كل حال، أشياء كثيرة حدثت منذ ذلك الحين، وأنا لم أعد تلك الصغيرة الساذجة التي كنتها، عندما كنا معاً، أمضينا وقتاً ممتعاً، ولكن مع نهاية ذلك، أصبح ما بيننا منسياً، وهذا ما أريده أن يبقى عليه.»

«إنني لم أنجح في الوصول إلى قلبك، أليس كذلك يا تانيا؟»

«كلا.» وأولته ظهرها ثم أخذت تسبح نحو الشاطىء، وهذه المرة لم تكن بحاجة إليه ليمنحها الثقة، فقد كانت تسبح بشكل آلي وبكفاءة إستغربت لها.

وصل إليها بسهولة وهو يقول لها: «ألم اكن واضحاً في إنني أريد أن نبدأ كل شيء من جديد؟»

«تماماً، ولكن المؤسف هو انني لا أشعر بنفس الشيء.»

«هل ذلك لأن لديك رجلاً آخر في حياتك؟»

فقالت وهي تخرج من الماء: «كلا.»

«لماذا إذن؟» وكان الآن يسير معها وينظر إليها محاولاً أن يجعلها تفهم وجهة نظره.

«فلنقل انني عندما خرجت من غرفتك في الفندق منذ تسع

سنوات، كنت صممت على ألا أندم على ذلك، ولم أرغب قط في العودة عن تصميمي ذاك، لأعيد علاقتي معك، فما لم ينجح في ذلك الحين لن ينجح الآن.»

اجفلت في داخلها... ما الذي جعلها تكذب بهذا الشكل؟ ما الذي يجعلها تدفعه بعيداً عنها باستمرار؟ كان الجواب بسيطاً، وهو انها لم تعد تثق به.

«بل من الممكن ان ينجح، يا تانيا.»

فهزت رأسها بحزم: «كلا، فأنا أرفض حتى محاولة ذلك، فأنت إنما تضيع وقتك.»

«بابا، بابا، انتظرني.» وكان مانولو قد رأى والده يبتعد.

استدار أليخاندرو إليه، ولكن تانيا بقيت مستمرة في طريقها، وعندما وصلا إليها، كانت مستلقية على منشفتها على الرمال وجهها ناحية الأرض.

قال مانولو: «اظن تانيا متعبة.»

فأجاب أليخاندرو: «وأنا اظن ذلك أيضاً.»

«أريد ان أشرب، يا بابا.»

«سنذهب إذن ونشتري لك ذلك.»

ساد الصمت بعد ان ابتعدا، فأخذت تانيا تتابعهما النظر بعينين شبه مغمضتين كان مانولو يحاول أن يجاري والده بخطواته الواسعة، وقد رفع رأسه كأبيه، وكذلك قلده بشبك يديه خلف ظهره، كان ولعه بوالده واضحاً، والأهم من ذلك هو سلوكه الحسن المهذب.

عندما عادا كانت هي ماتزال مستلقية بنفس الوضع، ولكنها جلست على الفور عندما قال مانولو: «استيقظي يا تانيا، لقد احضرنا لك زجاجة مرطبات.»

اخذت الزجاجة من الصبي وهي تقول «شكراً.» فجلس الاثنان بجانبها وساد الصمت فترة أخذوا فيها يمتصون الشراب بظمأ، وكان مانولو هو الأول الذي انتهى وهو يصيح بصخب: «هل يمكننا أن نعود للسباحة الآن؟»

فقال أليخاندرو: «إنني سأبقى هنا مع تانيا، فاذهب أنت والعب مع رفاقك الجدد، ولكن إياك أن تسبح بعيداً.»

«كلا، يا بابا.»

وركض الصبي مبتهجاً، فقالت تانيا: «انه صبي حسن السلوك والتربية، ان تنشئتك له كانت جيدة تماماً.»

«لم يكن الأمر صعباً. فقد كنا متلازمين حتى قبل وفاة جوانيتا.»

فسألته وهي تتذكر مرض بيتر الطويل: «هل استمرت مريضة مدة طويلة؟»

«كلا، كلا، بل كان ذلك بحادث سيارة، لقد صدمها شخص وهرب، ولم يعرفوا قط شخصية الفاعل.» ومرت على وجهه سحابة أسى شعرت معها تانيا أن أفكاره استعادت ذكرى تلك الحادثة الأليمة.

قالت دون تفكير وهي تضع يدها على ذراعه مواسية: «أنا آسفة لذلك.»

فقال: «كان مانولو قد تجاوز العامين من عمره لتوه، ولم يفهم الصغير المسكين ما الذي حدث، فكانت حاجته إليّ، ومن ثم تعلق بي منذ ذلك الحين.»

ما الذي جعله يصبح في الثامنة الآن وليس في السابعة كما كانت تظن؟ وهذا يعني...

قطع عليها حبل افكارها صوت أليخاندرو: «كان ذلك

منذ وقت طويل يا تانيا.» من الواضح انه ظن اجفالها بسبب عطفها عليه لفقدانه زوجته.

فنظرت إليه بعنف: «كنت في الواقع أفكر في أنه إذا كان مانولو في الثامنة فأنت لم تضيع وقتاً طويلاً قبل أن تتزوج من جوانيتا.» وكان صوتها حاداً لاذعاً.

فقال ببرودة: «كنت أنت من وضع حداً لعلاقتنا يا تانيا.»

هل هذا ما كان يظنه حقاً؟ ألم يخطر بباله أنه لو كان تبعها إلى بيتها لقالت له كم تحبه، وتعترف له بأنها مخطئة في تصرفها العنيف ذاك؟ والآن بعد أن رأت مانولو، أدركت ان الحق كان معها.

فقالت بوحشية: «وأنا مسرورة إذ فعلت ذلك، وإذا لم اكن متأكدة من قبل من صواب ما قمت به، فقد تأكدت الآن.»

سألها بحدة: «هل كنت تتشككين في صواب ذلك، إذن؟»

فهزت كتفيها: «في لحظات ضعفي فقط.»

فقال وعيناه في عينيها: «وهل كان ذلك يتكرر كثيراً؟»

فصرخت به: «في الأيام القليلة الأولى، فقط، وبعد ذلك كنت نسيتك تماماً.»

أشعلت كلماتها الخشنة غضب أليخاندرو فقفز واقفاً: «انني أضيع وقتي، سآخذ ابني لرؤية انتخاب ملكة الأطفال والأمر يعود إليك إذا احببت المجيء معنا أم لا.»

الفصل السابع

ذهبت تانيا إلى انتخاب ملكة الأطفال، ولكن امتثالاً لإصرار مانولو فقط. وعندما قالت بعد أن تناولوا طعامهم في مطعم في شارع جانبي، قالت إنها ستعود إلى الشقة، أمسك بيدها بلهفة: «كلا، كلا يا تانيا. يجب أن تأتي معنا. قل لها، يا بابا، اجعلها تأتي.» بدا وكأنه قد أحبها سرعة، وكان هذا الشعور بينهما مشتركاً في الواقع. فقد أولعت به تانيا هي أيضاً.

كانت المقاعد مصفوفة في الساحة لأجل المتفرجين، فجلس مانولو بينها وبين والده فبدوا لتانيا كأي أسرة سعيدة، كم تخدع المظاهر. شعر مانولو بالخيبة عندما لم تفز ابنة عمه، وإن يكن رضي قليلاً عندما انتخبت واحدة من وصيفات الملكة.

وفي طريق عودتهم إلى الشقة، نام الصبي في مقعده، وعند وصولهم، قال أليخاندرو إنه سيأخذ ابنه إلى البيت.

فسألته تانيا: «هل تقيمان هنا في العادة؟»

وإذا أومأ أليخاندرو إيجاباً قالت: «أنا آسفة.» ولكن إذا كان يظن أنها ستدعوه إلى المبيت هنا مع ابنه، فهو مخطىء. فكلما كثرت الاوقات التي يمضيانها معاً، كلما أصبح من الصعب عليها التظاهرة بعدم المبالاة نحوه.

وعندما اصبحت داخل المنزل، جلست على الأريكة الجلدية البيضاء وعادت بذهنها إلى ما اكتشفته من أن

أليخاندرو وجوانيتا تزوجا حال عودته تقريباً من انكلترا إلى الوطن.

وكانت هذه حقيقة قاسية بالنسبة إليها. وبعد ذلك بإثني عشر شهراً، وربما أقل من ذلك، ولد مانولو.

لقد اثبت ذلك دون أدنى شك، أنها هي، تانيا، لم تكن تعني له شيئاً. كل ما في الأمر أنه كان بحاجة إلى صحبة امرأة اثناء وجوده في انكلترا، فكانت هي رفيقة ممتازة له ولا بد أنه شعر بأنه محظوظ حقاً. ولكن ما أن اختلفت معه قليلاً، حتى أدار ظهره وهرب دون أن يفكر فيها لحظة واحدة.

نهضت ثم أخذت تذرع الحجرة، نظرت إلى الخارج من النافذة إلى الجبال البعيدة، إلى الأنوار المتفرقة التي ابتدأت تلوح في الابنية المتصاعدة على مشارفها، ثم نظرت إلى أسفل حيث السيارات في الشوارع، ثم التفتت تنظر إلى الغرفة بأرضها المبلطة بالقرميد الأبيض وأثاثها المصنوع من خشب الصنوبر والنباتات المنتشرة في انحائها تشيع البرودة في جوها.

إرتجفت، وفجأة شعرت بالشوق الى انكلترا بغرفها المكسوة أرضها بالسجاد، ومدافئها أو أجهزة التدفئة المركزية. إنها تريد العودة الى بيتها حيث كانت تشعر بالامان والحماية. إنها لا تريد ان تبقى هنا حيث أليخاندرو يشيع الاضطراب في كيانها.

تعالى رنين جرس الهاتف يخترق سكون الغرفة ما جعلها تجفل. أليخاندرو! وأخذ قلبها يخفق وهي ترفع السماعة: «ألو.»

لكن المتكلم كان أختها، وكانت تتصل بها لتسألها بلهجة

الاتهام أين كانت طوال النهار لأنها كانت تريد الحضور لرؤيتها.

أخذت تانيا تحدثها عن خروجهما، وعن اكتشافها أن لاليخاندرو ابن، وما أن وضعت السماعة حتى تعالى رنينه مرة أخرى. وهذه المرة كان أليخاندرو.

قال لها: «كوني على استعداد، سنتناول العشاء في الخارج.»

ومع أن تانيا كانت جائعة، إلا أنها قالت بغضب: «كلا، لن نذهب، كما أن الطريق أبعد كثيراً من أن تجتازها رائحاً غادياً من أوروتاقا.»

«إنها مشكلتي أنا وليس أنت سأكون عندك في خلال نصف ساعة.»

وأقفل الهاتف قبل أن تتمكن من العودة إلى الكلام ما جعلها دون خيار. كان يبدو وكأن هذه الدعوة مجرد مجاملة عليه اداؤها وما كان عليه أن يزعج نفسه، فهي كانت ستفضل قضاء الأمسية وحدها.

وصل بعد نصف ساعة بالضبط، وكانت تانيا تنتظره. تلاقت أعينهما، ولكن عينيه لم تكشفا عن شيء.

كانت تانيا تتوقع شيئاً من المجاملة، الإطراء، ولكن كل ما قاله هو: «هذا حسن، فأنت جاهزة فلنذهب.»

ارتدت سترتها البيضاء، شاعرة بعدم الارتياح، ثم حملت حقيبة يدها وتبعته إلى المصعد. كان الجوّ بينهما ما يزال متوتراً. وتمنت لو أنه لم يقترح الخروج. فهذا المساء سيكون صعباً متوتراً.

جلسا في سيارته المرسيدس صامتين، وبدلاً من أن يأخذها إلى مطعم في سانتا كروز، كما كانت تتوقع، تابع سيره في

طريق لاغيستا العام الى مدينة لاغونا الجامعية. كان الطريق كله لا يتعدى الثمانية كيلومترات طولاً، وعند وصولهما أوقف السيارة أمام منزل كبير في أحد الشوارع الضيقة في الحي القديم من المدينة. نظرت تانيا إليه بدهشة. «أين نحن؟»

«في منزل أخي.»

«ولكن...»

«لا بأس في ذلك فأنت مدعوة.»

هزت تانيا رأسها، شاعرة بنفسها عاجزة عن التفكير. لم تكن تحب أن تتعرف الى أي من افراد أسرته. لماذا هذه الدعوة منه؟ وماذا قال؟

دفع باباً ضخماً من الخشب المنحوت، ففتحه ثم دخلا الى فناء مليء بالنباتات تماثل نباتاته. واستغربت تانيا أن ترى هذه الواحة الخضراء في الجانب الآخر من الجدار العادي المظهر.

وإذا بباب جانبي ينفتح على الفور، وتبرز منه بيتريز متقدمة نحوهما تحييهما.

«أهلاً بك، يا أليخاندرو.» وتصافحا بحرارة كما فعلا في المطار حين ظنتها تانيا زوجته: «وأنت يا تانيا، قد أتيت أخيراً.» وقبلت تانيا على وجنتيها: «كنت أطلب دوماً من أليخاندرو أن يحضرك إلينا. فكان يقول إنك مشغولة على الدوام. تفضلي بالدخول وتعرفي على زوجي، فهو متشوق الى لقائك.»

لم يكن شقيق أليخاندرو يشبهه بشيء. فهو كان أقصر قامة منه بشكل واضح، كما كان بارز البطن. وشعره الأسود قد أخذ يخسره رغم أنه كان أصغر منه بسنوات.

«أقدم إليك تانيا، يا كريسو غونو، هذا هو زوجي، يا تانيا.» قالت بيتريز ذلك تقدمهما إلى بعضها البعض.

ابتسم لها مرحباً بحرارة: «إذن فأنت تانيا الغامضة. لقد كنا سمعنا عنك عندما عاد أليخاندرو من الفترة التي كان أمضاها في انكلترا، ولم نستطع أن نصدق حين قال إنه عاد فقابلك حديثاً.» كانت لغته الانكليزية جيدة كلغة أليخاندرو وتذكرت تانيا ما كانت بيتريز قالته وهو أن زوجها كان في انكلترا.

كان أليخاندرو قد حدث أسرته عنها منذ تلك السنوات الطويلة. أذهلها هذا، وتساءلت عما يمكن أن يكون قاله عنها بالضبط خصوصاً وأن جوانيتا كانت تنتظره هنا. من غير المعقول أن يكون أخبرهم أنه كانت بينهما علاقة حميمة. ربما كان لمح إلى أنها فتاة كانت تعرّف إليها... مجرد صديقة لا غير. ومن ناحية أخرى، كان قد قال لها إنه كتب إلى جوانيتا يخبرها عنها. ربما قد علما بالأمر هما أيضاً. ربما كل واحد كان يعلم. وربما يظنون إنهما قد يعودان الى بعضهما البعض الآن ما دام أصبح أرمل آه، لشد ما هو محرج وضعها هذا.

قالت بابتسامة باهتة: «إن دعوتكما لي هو لطف بالغ منكما. ولا بد أن تغفرا لي ما أشعر به من ارتباك، ذلك أن أليخاندرو لم يخبرني بأننا قادمان إلى هنا.»

فهتفت بيتريز: «أليخاندرو، يا لك من مشاغب.»

فقال باسماً لبيتريز، ثم ناظراً إلى تانيا بإمعان: «فكرت في أن أجعلها مفاجأة حلوة.»

لم تتجاوب معه، فقد كانت لا تعرف كيف عليها أن تتصرف إذ لم يكن لديها فكرة عن نوع العلاقة المفروض أن تكون بينها وبين أليخاندرو.

قال كريسو غونو: «أهلاً وسهلاً بك. تفضلي بالجلوس، إنني سأقدم إليك شراباً.»

كانا في غرفة واسعة محتشدة بالأثاث وأصص النباتات التي لا بد منها. واختارت تانيا كرسياً مريحاً بذراعين، بينما جلس أليخاندرو على كرسي بجانبها لا يفصل بينهما سوى منضدة سوداء مربعة.

تمنت تانيا لو أنه اختار الجلوس في مكان آخر. فقد جعلهما جلوسهما هذا معاً يبدوان أشبه بحبيبين وهذا، طبعاً، غير صحيح.

ناولها كريسوغونو كوب عصير العنب المحلى قائلاً إنه من كرومه: «ذوقيه واعطيني رأيك فيه.»

ذاقت تانيا العصير، ثم حاولت أن لا تعبس بعد أن وجدته بالغ الحلاوة. كان يماثل العصير الذي تقدمه ماتيلدا. ويبدو ان سكان هذه البلاد يحبون التحلية البالغة للمشروبات.

«وأنت يا أخي، أتريد كوباً؟» وعندما هز أليخاندرو رأسه نفياً، قال كريسوغونو لتانيا وهو يهز رأسه آسفاً: «إن أليخاندرو صاحب ذوق رفيع.»

وكان هذا صحيحاً، كما رأت تانيا. فقد كان كريسوغونو أقرب إلى الأرض من أليخاندرو رغم أنهما كانا، هما الاثنين، مزارعين... وإنما بطرق مختلفة. الإثنان كانا يعملان في الأرض، وفي الواقع كان الأخ الأصغر صاحب كروم واسعة، بينما أليخاندرو كان يزرع الطماطم ويشحنها.

قالت بيتريز: «إنه طبعاً صاحب ذوق رفيع، إذا نحن وضعنا في الاعتبار أمور المتعة التي يفضلها.»

وعندما قطبت تانيا جبينها مستفهمة، قالت لها: «ألم يحدثك عن اهتماماته الأخرى؟»

فهزت رأسها: «كلا.»

التفتت المرأة إلى أليخاندرو: «ما هذا يا أليخاندرو؟ ألم تأخذها بعد للنزهة في يختك؟»

أجاب أليخاندور بحدة: «كلا، لم أفعل يا بيتريز. ليس بيننا تلك العلاقة الوثيقة التي تتصورينها. فتانيا هي فتاة كنت عرفتها لمدة قصيرة وهذا كل شيء.»

سألته زوجة أخيه بمثل حدته: «ماذا تعني بقولك (لمدة قصيرة)؟ ألم تكونا حبيبين في انكلترا؟»

فقال بهدوء: «كان ذلك منذ مدة طويلة ولكننا لم نعد كذلك. فقد أصبحنا الآن أكبر سناً وأكثر حكمة.»

شعرت تانيا بوجنتيها تتوهجان... إذن فقد كان أخبرهم بعلاقتهما. فطبعت ابتسامة مشرقة على شفتيها، متظاهرة بأنها غير مهتمة بهذا الحديث عن علاقتهما، ثم سألت: «ما هذا الذي أسمعه، يا أليخاندرو عن اليخت؟ وكيف تخفي عني خبراً مثيراً مثل هذا؟»

عند ذلك نظر إليها، ثم ابتسم ببطء: «ليس ثمة غموض في الأمر... فهو لأجل العمل. إنني أؤجره للأغنياء والمشهورين، كاملاً مع بحارته، ولكنني أحياناً أتولى قيادته بنفسي. إن موسم البندورة يمتد من اكتوبر إلى نهاية شهر ابريل. وبقية السنة ليس فيها كثير من العمل ما عدا إعداد الأرض لموسم الزراعة القادم. إنه عمل إضافي، وهذا كل شيء.»

أضاف كريسو غونو: «وهو عمل منتج للغاية.»

فقال أليخاندرو: «ولكنه غير مربح بدرجة زراعة

البندورة، يا كريسو غونو. إن فيه متعة، هذا صحيح، ولكنه أشبه بإجازة كبيرة سرعان ما تصبح مملة بعد فترة.»

قال ذلك بلهجة واقعية جعلت تانيا تضحك بصوت مرتفع ثم تقول: «إذا كان هذا يسبب مللاً، فماذا أقول عن عملي أنا؟»

سألتها بيتريز باهتمام: «وما هو عملك؟»

«إنني مساعدة شخصية لمدير شركة كمبيوتر.»

فقالت المرأة: «يبدو هذا العمل هاماً للغاية.»

«إن رئيسي يعتمد عليّ كثيراً.»

«فكيف إذن سمح لك بالابتعاد عنه مدة شهر كامل؟»

ابتسمت تانيا: «إنه مدين لي بإجازات كثيرة. فأنا لم آخذ إجازاتي منذ سنوات.»

وكان ذلك، في الواقع، منذ وفاة زوجها بيتر، إذ لم يكن ثمة فائدة من الإجازة بينما ليس لديها من تمضيها معه.

«كم بقي لك من الإجازة؟»

«حوالي أسبوعان.»

فقالت بيتريز مسرورة: «إنه وقت كافٍ لرؤية أعياد الكرنفال عندنا. إنني في غاية السرور لأن أليخاندرو أقنعك بأن تستعملي شقته. فهناك كثير من السياح الأجانب يأتون للتفرج على أعيادنا. أنك رأيت مانولو اليوم، أليس كذلك؟ ما رأيك فيه؟»

أجابت تانيا: «إنه صبي رائع. وقد انسجمنا معاً تماماً.»

«إنه يحتاج إلى أم. وأنا دوماً أقول لاليخاندرو أن الوقت قد حان له ليتزوج مرة أخرى.»

نظر أليخاندرو إلى زوجة أخيه بحدة: «إنك تتحدثين كثيراً عن أمور لا تهم تانيا بشيء.»

فقالت تانيا: «آه، بل هذا يهمني. فأنا أوافق بيتريز على

أن مانولو بحاجة إلى أم. هل وضعتما، أنت وإينوسينت أية خطة للزواج؟» جعلت هذا السؤال يبدو وكأنه بريء تماماً.

فقال بحدة: «إن اينوسنت هي مجرد صديقة لا أكثر. ولن أتزوجها على الإطلاق. ما الذي جعل هذه الفكرة في رأسك؟»

نظرت بيتريز إليها بذعر: «تلك الفتاة، أنا لا أحبها، ولا مونولو أيضاً. فهي لن تكون أماً جيدة له.»

حتى كريسوغونو هز رأسه: «إنها ليست من النوع الذي يعجب أخي، ولا أدري ما الذي يراه فيها ولماذا يخرج معها. فهي إمرأة أنانية.»

مدت تانيا يدها وكأنها تريدهم أن يكفوا عن تعليقاتهم: «أنا آسفة، لم أكن منتبهة إلى أن لديكم جميعاً مثل هذه المشاعر القوية. كنت افترضت...»

فقاطعها أليخاندرو قائلاً: «إنك تفترضين أشياء كثيرة.»

فقالت بيتريز: «أظن حان وقت الطعام.»

ورغم الشغب الذي أثارته تانيا، فقد كان تناول الطعام فترة للراحة والهدوء. رغم أن أليخاندرو كان يرمقها من وقت لآخر بنظرة عابسة بدا منها بجلاء أنه ما زال غاضباً لاتيانها على ذكر اينوسنت.

ابتدأوا الطعام بحساء سمك غير عادي، سكبته لهم فتاة جميلة يبدو أنها خادمة عندهم. وأعجب الحساء تانيا كثيراً فأخبرتها بيتريز بأنه نوع شعبي قديم من الطعام، وتلا ذلك دجاج مطبوخ مع الخضر.

أثناء الطعام اكتشفت تانيا أن ولديهما قد رقدا مبكراً، حيث انهما مثل مانولو، قد فاتتهم قيلولة بعد الظهر. وقالت بيتريز:

www.elromancia.com

«إنهما، في العادة، يتعشيان معنا، ومن المؤسف أنك لن تريهما. ولكن الجو من دونهما أهدأ بكثير.» وضحكت.

تناولت تانيا من الطعام ما جعل معدتها لا تتسع لأي نوع من الحلوى. ولكنها قبلت قهوة قدمت إليها بكوب زجاجي وكانت بدون حليب وثقيلة وبالغة الحلاوة فقد كان الكناريون يكنون حباً بالغاً للسكر. حتى إنهم يحلون عصير البرتقال.

كانت تانيا من الاستمتاع بسهرتها هذه لدرجة أنها شعرت بخيبة أمل عندما أعلن أليخاندرو أن الوقت قد حان للذهاب، إلى أن نظرت إلى ساعتها فوجدتها الحادية عشرة والنصف. كيف مرّ الوقت بهذه السرعة خاصة وأنها لم تكن ترغب في الحضور هذا المساء. لقد أمضت وقتاً ساراً للغاية ربما لأن بيتريز وزوجها كانا في غاية اللطف والترحيب والمودة.

في الطريق، قال لها أليخاندرو بحدة: «لماذا كل ذلك الحديث عن اينوسنت؟ إنك تعلمين انها لا تعني شيئاً لي.»

فقالت: «إنني أعلم أن هذا ما أخبرتني به أنت، ولكن ليس ما تشعر به اينوسنت نفسها، ومن المؤكد أنك تعلم ذلك.»

سألها ببرودة: «وما أدراك بشعور اينوسنت تجاهي؟»

فرفعت كتفيها: «لقد رأيت كيف كانت تنظر إليك... والطريقة التي تعاملها بها عندما تكونان معاً، هي تعني لك كل شيء. إن بينكما من العلاقة أكثر مما تعترف أنت به.»

«لو كنت مغرماً باينوسنت، فهل كنت سأمضي أوقاتي معك؟»

فنظرت إليه ببرودة، رغم أنها كانت تعلم أنه لن يستطيع رؤية ما تعبر عنه ملامحها في ظلام السيارة، وقالت: «لا أظنك من نوع الرجال الذين يبقون أوفياء لامرأة واحدة مدة طويلة.»

سألها بخشونة: «إن رأيك بي يسير إلى الأسوأ، أليس كذلك؟ ومهما حاولت أن اعتني بك وأخدمك، فهذا لا يغير رأيك بشيء.»

فقالت بحدة: «ولماذا يغيره؟ المهم هو ما أنت عليه في داخلك.»

«أتظنين انك تعرفينني على حقيقتي؟»

«لا أظن هذا فقط، ولكنني أعرفه. فأنت نذل مخادع، يا أليخاندرو. إنك تخدعني وتخدع أسرتك، كما أنك تخدع اينوسنت وكنت خدعت جوانيتا من قبل. هل أخبرك عمن أشعر بالأسف لأجله؟ إنه مانولو. ان بيتريز على صواب، فهو بحاجة إلى أم.»

«لقد كنت قلت من قبل إنني انشئه نشأة حسنة جداً.»

«نعم، هذا صحيح. ولكنه ما زال طفلاً. ويجب أن يحصل على حب والدين. ومن الظلم أن تحرمه من عاطفة الأم.»

«هل تقدمين نفسك لدور الأم؟»

قال ذلك بهدوء فجائي رغم ان اهتمامه كان موجهاً إلى الطريق أمامه.

فصرخت على الفور: «آه، كلا. فأنت آخر من أفكر بالزواج منه. وبالنسبة لما تقوله أسرتك، إينوسنت لا تصلح مرشحة مناسبة هي أيضاً. ربما عليك أن تبحث عن امرأة أخرى.»

«ربما لا أريد أن أبحث عن امرأة أخرى.»

«هل معنى هذا أنك سعيد بعزوبتك هذه؟ وأنك تستمتع بالتنقل من فتاة إلى أخرى؟ وأنك ستشعر بالاختناق إذا كان عليك أن تستقر مع امرأة واحدة؟» ولم تشعر تانيا بأن

صوتها قد ارتفع حتى اصبح حاداً ثاقباً في جو السيارة المحدود حتى أوقف السيارة بعنف.

ثم التفت إليها: «هذا يكفي. لا أريد أن يحدثني أحد بهذا الشكل.»

فقالت وهي تحدق في أعماق عينيه: «الحقيقة مؤلمة، أليس كذلك؟» لقد شعرت بمقدار غضبه، ولكنها بدلاً من أن يرهبها ذلك، زادها حدة.

فقال بحدة: «إنك لا تعرفين شيئاً. كما أنك لست أبداً تلك الفتاة الحلوة الودود التي عرفتها في انكلترا. إنك...»

وسكت، فنظرت إليه.

لم تكن رأته قط من قبل بمثل الجاذبية التي تراه بها الآن. ولعل نفس الشعور تملكه نحوها، فإذا بأعينهما تتلاقى فترة طويلة تنهد بعدها وهو يهمس بصوت خشن يفيض بالحنين: «تانيا.»

وإذا به يستقيم في جلسته فجأة، ثم يمدّ يده ليشعل محرك السيارة مرة أخرى ومن ثم يتحرك بها عائداً إلى الطريق العام.

توقفت بهما السيارة أمام باب الشقة فنزلا ثم صعدا المصعد، وقد حول كل منهما عينيه عن الآخر. وعند باب الشقة توقف هو متردداً لحظة، ثم فتحه.

دخلت هي أولاً وأدارت مفتاح النور وعندما لم يتحرك، قالت له: «لا أظنك عائداً الليلة إلى بيتك. فالوقت متأخر.» ثم أضافت بلهجة ذات معنى: «وأنا على استعداد للانتقال إلى غرفة النوم الثانية إذا أحببت استعمال غرفتك.»

«آه، كلا، لا حاجة بك لذلك. إن الغرفة الأخرى مناسبة تماماً.»

حلمت تانيا تلك الليلة بأنها متزوجة من أليخاندرو، وأن لديهما، بالاضافة إلى مانولو، اطفالاً لهما. فكل الكناريين يحبون الأطفال، كما علمت، كما أن أليخاندرو أخبرها بأنه يريد الكثير منهم. لم تكن السنوات قد مرت ولم تكن تزوجت بيتر. لقد كانت تبعته إلى تينيريف ولم يكن هناك جوانيتا تنتظره. وكانا سعيدين تماما إلى أن فاجأته ذات يوم ومعه فتاة، هي اينوسنت، فانهار عالمها بأجمعه.

لقد تقدمت من المرأة وحاولت أن تفصلهما عن بعضهما البعض، وهي تصرخ: «إنه زوجي، ولا يمكنك أخذه مني. إذهبي.»

كان صراخها من العلو بحيث جعل أليخاندرو يقفز من سريره، ثم يفتح الباب الذي يفصل بينهما، ثم يتقدم منها يهزها برفق وحيرة: «تانيا، ماذا حدث؟»

فقالت: «ما الذي تفعله مع اينوسنت. إنك لي وليس بإمكانها أن تأخذك مني.»

«يا حبيبتي، إنك تحلمين.»

ففتحت أجفانها الثقيلة، ومرت لحظة لم تعرف فيها أين تكون. وكان أليخاندرو ينظر إليها برقة واهتمام زائدئن. وتذكرت حلمها، فاندفع الدم إلى وجهها وقد شعرت بالارتباك.

عاد هو يتمتم قائلاً: «لا بأس، يا عزيزتي. كان ذلك حلماً لا أكثر. فلا تدعي القلق يستبد بك.»

«آه، نعم، بل هناك. ما كان لك أن تنام في الشقة. ما كان لي أن اسمح لك بذلك.»

«هس...» ووضع اصبعه على فمها يسكتها. «إنني هنا وكل شيء على ما يرام. وأنت كنت على صواب في الحلم

عندما قلت إنني لك. فنحن لبعضنا البعض، يا تانيا، أنا وأنت. ما كان ينبغي لنا قط أن نفترق. إننا...»

فجاء دورها لتقاطعه بقولها: «كلا، يا أليخاندرو فنحن لسنا لبعضنا البعض.»

«كيف يمكنك أن تقولي ذلك؟»

تشابكت نظراتهما فترة بصمت وقد تملكتهما مشاعر متضاربة. وإذا بها تنتفض وقد تذكرت فجأة: «مانولو. إنه سيتساءل أين عسى أن تكون يجب أن تذهب إلى بيتك في الحال.»

فقال لها برقة: «مانولو بأحسن حال إن لديه مربية ترعاه وتعتني به، وقد أخبرتها أين أنا. وهي تعلم أن أخي يدعوني دوماً للنوم عنده.»

فسكتت، ولكنها ما لبثت أن قفزت وهي تسمع رنين الهاتف.

فقال: «إلبثي في سريرك فأنا سأجيب الهاتف.»

وخرج من الغرفة، وعندما عاد كان يبتسم وهو يقول: «كان المتكلم هو شارلين لقد تملكتها صدمة عندما سمعت صوتي. إنها تقول إنها استطاعت أن تحصل على إجازة يوم وهي ستأتي إلى هنا لكي تمضيه معك. وا أسفاه، فقد كنت متشوقاً إلى قضاء يوم معك.»

الفصل الثامن

قال لها وهو يراها تحاول القفز من فراشها: «لا حاجة بك للعجلة، فهي لن تكون هنا قبل ساعة على الأقل.»

«ولكن عليّ أن اكون على استعداد.»

كان الحب الذي كانت شعرت به منذ تسع سنوات مازال في اعماقها متمثلاً في احلامها، وهي قد كشفت نفسها أمامه، لقد قال لها انه كان متشوقاً لقضاء يوم معها، وهذا يعني أنه مازال مثلها، يكنّ لها مشاعر غير عادية، ولكن مهما كان نوع تلك المشاعر، فهي لم تكن واثقة مما إذا كانت حباً حقيقياً لها أم مجرد انجذاب جسدي، إنها لم تعرف ذلك قط، ولن تعرف إلا إذا أخبرها بذلك بنفسه، وهكذا ستكون مغامرة كبرى من جانبها إذا هي عادت فأسلمته قلبها مرة أخرى.

انها لم تنس قط أنه بينما كان ينشىء علاقة معها في انكلترا كانت جوانيتا تنتظره هنا، وهذه المرة كانت إينوسنت هي التي تنتظر، وجعلتها هذه الفكرة تتململ بضيق.

«ما بك، يا عزيزتي؟ هل ثمة شيء يؤلمك؟» كان صوته بالغ الرقة والحنان إلى درجة جعلتها تكاد تذوب حنيناً، أخذ قلبها يخفق بعنف وجفّ حلقها، ونظرت إليه بلهفة.

لم تكن تستطيع ان تخبره بما يدور في نفسها... بأنها تحبه. انها ستحتفظ بذلك لنفسها.

وأجابته همساً: «لا شيء هناك، انني بخير.»

جلس على حافة السرير ينظر اليها، متمتماً بكلمات من

لغته لم تكن تفهمها، ولكنها تمنت ان تكون كلمات حب، تمنت ذلك من كل قلبها، ولكن كبرياءها منعتها من أن تسأله.

ومالبث ان نهض متثاقلاً عائداً إلى غرفته بينما دخلت هي الحمام حيث اغتسلت وارتدت ثيابها، وما أن انتهت حتى كان جرس الباب يدق، معلناً مجيء شارلين.

عانقت تانيا شقيقتها، ولكن شارلين كانت تنظر عبر غرفة الجلوس وهي تقول: «لم اكن اتوقع ان أراك هنا، يا أليخاندرو.» فشهقت تانيا لانعدام الذوق عند شقيقتها، ولكن أليخاندرو لم يفعل سوى أن رفع حاجبه، قائلاً: «انني آسف إذا كنت خيبت أملك.»

«أرجو ان يكون خروجك سريعاً، فقد تعبت كثيراً حتى حصلت على يوم العطلة هذا.» ولم تكن شارلين تؤمن بالسكوت، إذا كان ثمة شيء في نفسها فلا بد ان تقوله بصراحة.

فقال ببساطة: «لا تهتمي، فلن أفسد يومك مع شقيقتك.» ولكنه عبس فجأة ما أدركت تانيا معه أنه كان يفكر في أن شارلين لم تكن تشعر بالأسف لأنها أفسدت عليه يومه.

تنهدت باستياء، ثم سارت نحو المطبخ لتصنع القهوة، فتبعتها شارلين وهي تقول بهمس مرتفع: «كيف تسمحين له بأن يبيت الليل في نفس الشقة معك يا تانيا، بعدما رأيت من معاملته لك؟»

فابتسمت تانيا تطمئنها: «لقد نام في غرفة مجاورة، ان قلبي لم يطاوعني في أن اجعله يعود إلى بيته بعد منتصف الليل.»

لم يطاوعك قلبك؟ هل نسيت أنه الرجل الذي حطم قلبك؟ ألا تذكرين؟»

«انني أنكر ذلك طبعاً، ولكن... آه يا شارلين، انني اعلم انك لن تفهمي، ولكن مشاعري القديمة نحوه مازالت موجودة.»

فهزت شارلين رأسها: «ان قلبك سيتحطم مرة أخرى، ان لديه صديقة أخرى، هذا إذا كنت نسيت.»

«انه يقول انها لا تعني له شيئاً.»

«وأنت لم تصدقيه بالطبع؟»

«لا أدري، كل ما اعرفه هو انني أحبه ولا استطيع شيئاً إزاء ذلك.»

فصرخت شارلين بها: «هنالك شيء تستطيعينه، بالطبع، أولاً عليك أن تخرجي من هنا، كان عليك ان تعلمي أنه لن يتركك وحدك، ولو كنت مكانك لما وثقت به مثقال ذرة.»

ارتفع صوت أليخاندرو من خلفها قائلاً وهو يدخل المطبخ: «ما أحلى ما تقولين، يا شارلين، ألا تظنين ان عليك ان تتركي تانيا تقرر أمورها بنفسها؟»

أجابته شارلين بحدة: «ما عدا بالنسبة إليك، فقد عاملتها ذات يوم بقذارة، وأنا لا أريد لهذا أن يحدث مرة أخرى.»

فقال عابساً: «انا عاملتها بقذارة؟ ان ما اتنكره هو أن تانيا هي التي هجرتني.»

«وأنت...»

قاطعتها تانيا: «آه، أخرسا انتما الاثنين، انكما تفسدان عليّ إجازتي.»

فقالت شقيقتها عابسة: «انني آسفة كل ما في الأمر انك خيّبت أملي فيك.»

فقال أليخاندرو وهو يسير نحو تانيا ثم يقف بجانبها:

«اظن يا شارلين ان بإمكان شقيقتك ان تقرر أمرها بنفسها.»

اخذت تانيا تفكر في أن هذا النهار سيكون صعباً للغاية، وتمنت لو ان شارلين لم تحضر... تمنت لو انها تمضي هذا النهار وحدها مع أليخاندرو، فقد كانت تشعر، قبل مجيء شقيقتها، وكأنها على قمة العالم، ولكنها الآن كانت تنحدر إلى أسفل، وهذا ما لم تكن تريده، كانت تريد ان تبقى في عليائها... أرادت ان تحتفظ بمشاعرها هذه، لتتذكرها على الدوام.

صنعت قهوة ثقيلة بالطريقة التي كانت تعلم أن أليخاندرو يحبها، ثم أخرجت خبزاً وزبدة.

فقالت شارلين بضحكة خبيثة: «هل يمكنك ان تتصوري بيتر يأكل فطوراً كهذا؟ كان رجل البيض واللحم، أما أليخاندرو فهو رجل تقاليد بالية.»

فسألها بشيء من الحدة: «أحقاً؟»

وتمنت تانيا لو أن شقيقتها لم تأت على سيرة بيتر في هذا الحديث.

لكن شارلين لم تكن قد فرغت من حديثها: «آه، نعم، لقد كان بيتر متمسكاً بالأصول، أليس كذلك، يا تانيا؟»

فابتسمت تانيا بضعف ثم أومأت برأسها. «انه مثلاً ما كان ليمضي ليلة مع تانيا في نفس البيت، قبل الزواج، كان يحبها كثيراً إلى حد لم يشأ معه ان يرى ذلك مناسباً لها.»

دفع أليخاندرو كرسيه ثم وقف وهو يقول بعينين ملتهبتين: «اظن عليّ ان اذهب.»

فسألته شارلين: «ماذا حدث؟ ألا تستطيع ان تحتمل سماعي اتحدث عن بيتر؟ لقد كان رجلاً رائعاً دون شك،

وعندما مات تحطم قلب تانيا لأجله، فقد كانا مغرمين ببعضهما البعض إلى حد بالغ.»

قالت تانيا من بين اسنانها: «إخرسي يا شارلين.»

«ولماذا مادامت هي الحقيقة؟ ألم تحدثي أليخاندرو قط عن بيتر؟ ألم تخبريه قط كم كان زواجك ممتازاً؟ انك لن تجدي قط رجلاً آخر مثله.»

كانت تانيا تعلم السبب الذي جعل شارلين تقول مثل هذه الأشياء، ولكن هذا لم يمنعها من أن تشعر بالرعب، وعندما استدار أليخاندرو على عقبيه وغادر المطبخ، متوتر الملامح، تبعته إلى المصعد وهي تقول: «انني اعتذر لتجاوز شقيقتي في كلامها، ولم يكن لها حق في قول مثل تلك الأشياء.»

«ولكنني لا أشك في صحة ما قالت.»

لقد تلاشى الآن ذلك الحنان وتلك الرقة من ملامحه ليحل محلهما غضب عنيف. «فأنا لم أكن أدرك مقدار حبك لزوجك، وأظن عليّ ان اكون شاكراً لشارلين لفتحها عيني.»

قالت له شاعرة بغضبها يتصاعد، هي أيضاً: «من الطبيعي ان احب الرجل الذي تزوجته.» وماذا في ذلك؟ ألا يحب الانسان مرة أخرى؟

فقال وعينيه في عينيها، سائلاً متفحصاً منتظراً: «يبدو ان مشاعرك نحو بيتر كانت أعمق كثيراً من مشاعرك نحوي.»

أشاحت تانيا بوجهها شاعرة بالإرتباك وخيبة الأمل وقد بدأ تأثيره عليها يتبدد ولكنه أمسك بكتفها يديرها إليه وهو يقول بصوت ذي نبرات كطعن خنجر في القلب: «إنني

بانتظار جوابك، يا تانيا، لا تخافي من اخباري بالحقيقة.»

فقالت بصوت مبحوح: «الحب ذو انواع عديدة، وما شعرت به نحو بيتر...»

فقاطعها قائلاً: «كان من القوة بحيث لم تستطيعي نسيانه، أهذا ما كنت ستقولينه؟ هل يمكنني ان اظن ان ما لمسته من مشاعر فيك نحوي إنما كان لتصورك بيتر في شخصي؟ وأن الشوق ما زال يتملكك نحوه وليس نحوي؟ اظن ان عليّ ان اشكر شارلين إلى أقصى حد، ويبدو انني كنت سأخدع نفسي للمرة الثانية.»

كان المصعد قد وصل الآن، فدخله دون كلمة أخرى، وعادت تانيا إلى داخل الشقة ببطء، شاعرة بالنبذ والخيبة والألم، وبالغضب الشديد من شقيقتها. فقالت شارلين بشماتة: «اظن هذا قد وضعه في مكانه الصحيح.»

فحملقت تانيا فيها بعينين قد الهبهما الغضب: «ليس لديك الحق في الحديث عن بيتر بذلك التشكل.»

«كان ثمة حاجة لشيء ما يطفىء تلك النظرة المتألقة في عينيك. في الواقع، يا تانيا، انت بحاجة إلى فحص عقلك لأنك اخذت تقعين في غرام أليخاندرو مرة أخرى، انني اعرف انه بالغ الجاذبية، ولكن الواقع انه خداع، لقد اسديت اليك خدمة في الواقع، وهذا لم يعجبه، أليس كذلك؟ لم يعجبه ما سمع عن بيتر.»

قالت تانيا بحدة: «ولا أنا.»

قالت شارلين عابسة: «لا اظنك تحاولين نسيانه واستبداله باليخاندرو؟»

أجابت: «إنني لن أنسى بيتر أبداً، فهو دوماً سيكون له

ركن خاص في قلبي، ولكن ليس هناك شيء يمنعني من الوقوع في الحب مرة أخرى.»

«حب ذلك النذل؟»

«انك لا تعرفينه، يا شارلين.»

«انني اعرف ما فعله بك، وأنا لن اصفح عنه أبداً... وكذلك أنت عليك ألا تصفحي عنه، فهو غير جاد، كما تعلمين، وهو سيتغفلك مرة أخرى، ويعبث بك، ألا يمكنك ان تري صفاته تلك؟»

أغمضت تانيا عينيها، كانت تلك ناحية من شخصية أليخاندرو حاولت نبذها من ذهنها مؤخراً، فهي لم تشأ التفكير فيها، فقد بدا مولعاً بها بشكل حقيقي، وهذا كان اكثر من مجرد انجذاب عادي اليها، وكان هذا سبب شعوره بجرح كرامته، فقد شعر بأن كلام شارلين حط من شأنه ولم يكن لديها وقت تتحدث هي فيه اليه، وتقول له انه يعني بالنسبة إليها أكثر كثيراً مما كان بيتر يعني، بالنسبة إليها؟ وأشرقت هذه الحقيقة في ذهنها، لقد كان ذلك صحيحاً، فقد كانت غارقة في حبه، فهو لم يغادر قلبها قط.

«تانيا؟»

«إنني أراه غير ما ترينه، يا شارلين، انني اعرف أنني تألمت وجرحت طوال السنوات الماضية، وقلت انني أكرهه، ولكن... حسناً، لم أعد أكرهه، وأي شيء مما تقولينه لا يمكن أن يغير من ذلك.»

«السؤال الحقيقي، إذن، هو هل هو يحبك؟» ونظرت إلى شقيقتها باهتمام. «اظن اننا نحن الاثنتين نعرف جواب هذا السؤال، انه غير قادر على الحب وعندما قلت إنه خداع فقد

كنت أعني تماماً ما أقول، قد يجعلك تصدقين أنه يحبك، ولكنني واثقة من أنه يفعل ذلك بالنسبة لكل الفتيات اللاتي يخرج معهن... فحذار يا تانيا، أرجوك، لا أريدك ان تتألمي مرة أخرى.»

توقف الحديث بينهما عند هذا الحد، ثم تمشتا حول سانتا كروز، حيث اخذتا تتفرجان على ملكة الكرنفال للمتقاعدين من كبار السن، وبعد ذلك عادتا إلى الشقة وغيرتا ملابسهما ثم اخذتها شارلين إلى مطعم شعبي في اسبيرانزا.

كان يوماً حافلاً بالنسبة إلى تانيا، وعندما ذهبت أخيراً إلى سريرها، حاولت شارلين أن تقنعها بالعودة إلى منزل ماتيلدا، ولكنها كانت بالغة العناد. «لقد جئت إلى هنا لكي أتفرج على الكرنفال... وبكل تفاصيله وأنا لن أدع ذلك يفوتني الآن.»

وهكذا، بعد أن كررت عليها شارلين بأن تكون على حذر، خرجت مبتعدة بسيارتها البيضاء الأنيقة.

شعرت تانيا بالشقة فارغة من دون أليخاندرو، وبدا الليل دون نهاية، وبقيت تنتظر أن يتصل بها هاتفياً، ولكن الهاتف بقي صامتاً، وهكذا استيقظت في الصباح التالي شاعرة بالاكتئاب حتى الجو عكس مزاجها إذ كان المطر ينهمر حاجباً قمم الجبال البعيدة.

بقيت في الشقة طوال النهار، وحدها تعسة راجية ان يتصل بها أليخاندرو، راغبة في أن تصحح ما حدث، أن توضح مشاعرها، ان ترأب الصدع الذي أحدثته شارلين في علاقتهما الهشة.

كان قد ترك لها برنامج احداث الكرنفال والليلة كان

موعد انتخاب ملكة الكرنفال فإذا كان أليخاندرو عضواً في لجنة التحكيم كما قال، فلن تراه إذن هذه الليلة.

أخذت تفكر في ان تخرج على كل حال، ولكن بما ان المطر لم يكن ليتوقف وجدت ان ليس من المعقول ان تخرج وتبلل ملابسها بينما قد لا ترى أليخاندرو وهكذا قررت ان تتفرج على الكرنفال على شاشة التلفزيون، بدلاً من ذلك.

عندما صحا الجو كان الوقت عصراً، ففكرت في أن تذهب لنزهة على الأقدام، فقد شعرت بالضجر من الجلوس بين الجدران، رغم جمال الشقة.

ولكن قبل ان تخرج سترتها من الخزانة، كان الباب يقرع... وكان قرعاً عالياً ملحاحاً أدركت منه أنه أليخاندرو، كان كأنه ما زال في مزاج سيء، ولكنه على الأقل، كان هنا. ان بإمكانها ان تتحدث إليه، تشرح له الأمر، تجعله يفهم أن شارلين كانت تتعمد التسبب بإثارة النكد بينهما.

أخذ قلبها يخفق بألم، فطبعت على شفتيها ابتسامة ترحيب وهي تفتح الباب ولكن رغم ان وجه أليخاندرو كان في غاية التجهم، إلا انها بقيت تبتسم وهي تفسح له الطريق ليدخل وهي تقول: «إنني في غاية السرور لمجيئك.» وكان يرتدي قميصاً أبيض وبنطلوناً اسود وكأنه كان خارج بيته طوال النهار، كان يبدو وسيماً إلى حد مدمّر.

ما أن اغلق الباب، حتى قال: «ان السبب الوحيد الذي جعلتي أحضر هو انني مسؤول عنك.» وتقدم نحو النافذة العريضة والمطلة على منظر شامل للمدينة.

فحملقت فيه وقالت وقد تملكها غضب مفاجيء فقد كانت

تأمل في أن يقدم اعتذاراً، أو على الأقل، يقترح ان يتبادلا الحديث قالت: «ما كان لك ان تشعر بالذنب، فلا مانع لديّ من البقاء وحدي.»

فاستدار إليها ببطء يواجهها بعينين باردتين وقد قطب جبينه: «هل خرجت هذا النهار؟»

«كلا، بسبب رداءة الجو فقط، كنت في الواقع على وشك الخروج للتنزه.»

«سأخرج معك إذن اظن ان علينا ان نتحدث.» قال هذا دون أية إشارة إلى سروره برؤيتها.

فسألته: «نتحدث عن ماذا؟»

«عنا، أنا وأنت، انت وبيتر، عن مشاعرك.»

جابهته بحدة قائلة: «وماذا عن مشاعرك؟»

«ومشاعري أيضاً، إذا شئت.»

قال ذلك وهو يرفع كتفيه دون اكتراث.

تملكت تانيا موجة من الأمل، انه مستعد ان يتحدث عن مشاعره، ربما سيكون بإمكانهما الآن ان يصلا إلى قرار.

غادرا الشقة بصمت، ونزلا في المصعد وما زالا صامتين، ووقف أليخاندرو طويلاً شامخاً منيعاً، بينما كانت دقات قلب تانيا تتسارع وقد تنبهت حواسها، كيف بإمكانه ان يغير مشاعره تبعاً لعدة كلمات ساءته.

وقف بهما المصعد فخرجا إلى الشمس، ولكن تحفظ أليخاندرو لم يتغير، سارا جنباً إلى جنب بخطوات واسعة، حيث اختلطا بالأهالي السعداء الصاخبين، وقد سادهم جميعاً حمى الاحتفال، وربما كانا الوحيدين غير الباسمين بين تلك الجموع، كانت حمى الكرنفال قد تملكت كل شخص الآن، فقد

اقفلت المتاجر والمصارف، فالمدينة بأكملها كانت تحتفل.

ظنت تانيا انهما كانا متجهين نحو المرفأ، ولكنه بدلاً من ذلك، إتجه بها إلى حديقة عامة، حيث كانت هناك واحة رائعة من النباتات بين كل تلك الشقق والأبنية والمكاتب، كانت الأشجار الاستوائية تنمو بوفرة، وكذلك الأزهار بمختلف الوانها ما بين حمراء وقرمزية وصفراء ومزيجة من الوان مختلفة ما حير تانيا وأدهشها، فقد كان هذا شيئاً لم تر مثله قط في بلدها.

سألها وهما يسيران في الممر الضيق بين كل هذا، سألها قائلاً: «لماذا يا تانيا، لماذا؟»

«ماذا تعني؟» والتفتت تنظر إليه فرأت خيبة الأمل بين حاجبيه والعبوس على ملامحه.

«لماذا شجعتني على إعادة علاقتنا القديمة؟»

كان ثمة مسؤولية كبرى يحملها الجواب على هذا السؤال، فقد أدركت ان ثمة الكثير يعتمد على اجابتها عليه، فقالت ببطء وتردد: «لأنني لم استطع السيطرة على مشاعري، لأن هذه رغبتي.»

«هل كنت تفكرين في بيتر؟»

قال هذا وهو ينظر أمامه، ورأت فكه يتوتر ما ينبيء عن توتر داخلي.

«وهل كنت أبدو وكأنني كنت أفكر في رجل آخر؟» كانت تريده ان يؤمن بأن تجاوبها معه كان مخلصاً دون ان تفصح عنه بالكلمات.

«لا أظن ذلك، ولكن من ذا الذي يفهم ما يدور في نفس المرأة؟»

«إنني كما تراني، ولا أدري أي نوع من النساء تعاشر أنت، ولكنني أؤكد لك بأنني لا اخفي من نفسي شيئاً.»

قال فجأة: «لا احب ان اظنك تفعلين ذلك، يا تانيا... ولكن ما قالته شقيقتك...»

فأسكتته قائلة بحدة: «لقد كانت شارلين تتعمد إثارة المشاكل، وهذا كل شيء، فإذا كنت تفضل ان تصدقها، فهذه المحادثة إذن دون معنى.»

واستدارت على عقبيها عائدة في الطريق الذي جاءا منه، لقد خاب أملها فيه، وأغضبها انه مازال سيء الظن بها، لم تحقق هي معه قط بشأن تصرفاته معها رغم ان التفكير في جوانيتا لم يكن يغادر ذهنها.

لكنه لحق بها وهو يقول: «ان هنالك اسئلة كثيرة دون جواب، يا تانيا.»

فقالت: «وهل أي من هذه الأجوبة تهمك حقاً؟ لماذا لا نتقبل فكرة ان أشياء كثيرة حدثت في حياتنا لم يكن أي منا مسروراً بها في حينها؟ لماذا لا نتقبل فكرة ان الماضي مات واندثر؟ لماذا لا ننسى كل شيء ونبدأ... نبدأ من جديد؟» وكانت هنا تكشف عن اعماقها وتجعله يفهم أنه مازال يجذبها.

«اتعنين ذلك حقاً؟»

فأومأت إيجاباً

«وهل أنت مستعدة لنسيان أنني كنت متزوجاً؟»

«نعم.»

«وهل أنت مستعدة لنسيان إينوسنت؟»

فسكتت ثم قالت: «هذا يتوقف على ما إذا كنت ستتابع رؤيتها مرة أخرى.»

«من الطبيعي ان أراها لأخبرها أن كل شيء بيننا قد انتهى.»

فقالت بلهجة الاتهام وقد ضاقت عيناها: «إذن فقد كان بينكما شيء.»

«هذا ما تظنه إينوسنت.»

«ولكن ليس أنت، فقد كنت تعبث معها، أليس كذلك؟» كان هذا نفس ما فعله بها هي منذ تسع سنوات، فهل هي مقدمة على غلطة هائلة في اقتراحها ان يبدآ من جديد؟ هل من الممكن ان تكون شارلين على صواب، وأنه ليس أهلاً للثقة؟

وتنفس أليخاندرو بفروغ صبر: «إنني لا اعبث معها حسب تعبيرك، فهي تعلم ما نوع شعوري نحوها، وكل ما في الأمر انها تأمل أن يتغير.»

«وهي في نفس الوقت مصدر صحبة ممتعة لك؟ إلى أين وصلت بكما العلاقة؟» وما ان تلفظت بهذه الكلمات حتى ندمت عليها، ذلك انها هي التي اقترحت ان ينسيا الماضي، وها هي ذي الآن تلقي عليه اسئلة ليس لها الحق في القائها، ولكنها كانت تريد أن تعلم، فهي حالة حاضرة وليس مثل حالتي بيتر وجوانيتا، انها ما زالت موجودة في حياته الحاضرة، وهي تانيا، لها الحق في معرفة ما يجري بينهما.

فقال: «في الحقيقة، علاقتنا لم تتجاوز الحدود، ولكنني لا أتوقع منك أن تصدقيني، إذ يبدو انك مقتنعة تماماً بأن ثمة علاقة جامحة بيننا.»

«ان إينوسنت تجعل الناظر اليكما يظن ذلك، ولكن بما أنك تخبرني بأن هذا غير صحيح، فأنا اصدقك.»

كانا قد تركا الحديقة العامة الآن وسارا بين البيوت.

قال لها فجأة: «دعينا نعود إلى الشقة.»

وهناك وقفا ينتظران المصعد وعندما جاء وانفتح بابه، إذا بهما يريان إينوسنت تنظر اليهما، كانت عينا المرأة ممتلئتين كراهية وهما تنظران إلى تانيا.

كان أليخاندرو أول من تكلم: «إينوسنت، ماذا تفعلين هنا؟» وكان يتكلم بالانكليزية، مرغماً إياها على مجاراته بذلك.

فقالت له وقد رقّت عيناها وهي تنظر إليه: «وماذا تراني أفعل؟ لقد جئت لأراك، يا حبيبي، فقد عرفت انك ستكون أحد أعضاء لجنة التحكيم هذا المساء، لقد تكهنت بأنني سأجدك هنا، ولكنني لم أتوقع ان اجدك... مشغولاً، ما الذي تفعله تانيا هنا؟» ونطقت باسم تانيا وكأنه كلمة قذرة.

أجاب بصبر: «ان تانيا هي ضيفتي طوال مدة الكرنفال.»

فازداد اتساع عينيها: «هل تانيا تقيم في شقتك؟»

«نعم، هل لك أن تصعدي وتتناولي معنا شاي العصر؟ الوقت متأخر في الواقع لأن...»

فقالت بحدة وحقد: «كلا، لن آتي، ولكنني أريد ان أتحدث إليك.»

فقالت: «لا بأس، وإنما لعدة دقائق.» والتفت إلى تانيا قائلاً بلطف: «هل تمانعين في الصعود وحدك؟ إنني لن أتأخر، أعدك بذلك.» ونظر اليها بمودة خالصة.

ماذا لو أنها قالت كلا؟ ما الذي سيقوله عند ذاك؟ كانت تانيا في منتهى الغضب. ذلك انه في اللحظة التي عادت بها المياه إلى مجاريها بينهما، إذا بهذه المرأة تظهر وتفسد

كل شيء، ولكنها أخفت مشاعرها جيداً وابتسمت له بحرارة وقالت: «انني بانتظارك بكل شوق.»

دخلت إلى المصعد دون ان تلقي نظرة عليها، محاولة أن تبدو كأية امرأة واقعة في الغرام... امرأة واثقة من رجلها، وإن تكن في الحقيقة ليست كذلك على الاطلاق، فهذه المرأة ماهرة وربما تعرف أليخاندرو أحسن مما تعرفه هي بكثير.

وجلست مكتئبة على الأريكة الجلدية البيضاء، وهي تفكر في أنها لن ترى أريكة بيضاء بعد الآن دون ان تتذكر هذه اللحظة، ومازاد في ألمها ان إينوسنت قد جاءت إلى شقته لتراه، مع ان أليخاندرو كان اخبرها أنه لم يسبق له أن دعا أحداً إلى هنا، فكيف عرفت إذن بأن له شقة؟ كان واضحاً أنها لا يمكن ان تصدق شيئاً مما يقول.

ومضى دهر قبل أن يعود، حتى ان تانيا كانت قد أخذت تفكر في حزم أمتعتها والطلب منه ان يأخذها إلى منزل ماتيلدا، فليس ثمة ما يستحق أن تحطم قلبها لأجله. وإذا به يدخل من الباب: «تانيا، عزيزتي، لشد ما أنا آسف إذ جعلت انتظارك يطول، ذلك أنه لم يكن من السهل جعل إينوسنت تتقبل الأمر كما كنت أتصور.»

نهضت تانيا تواجهه، وقد امحى من وجهها أي أثر للحرارة أو البهجة: «أتعني انها لم تقبل أن تنهي أمرها معك؟ لم اظن في الواقع، انها ستقبل، فهي من النوع المتشبث من النساء، ولكن ليس لك ان تقلق، فقد وجدت وقتاً للتفكير اثناء جلوسي الآن، وقد وجدت ان الأمور لن تنجح معنا، فنحن غير متماثلين.»

«غير متماثلين؟» نظر اليها بحيرة لهذا الهجوم المفاجيء.

«ما عدا الانجذاب الذي بيننا، طبعاً، ولكن إلى أين سينتهي بنا هذا؟ إلى لا شيء على الاطلاق، فما ان تشبع رغباتك مني، حتى أواجه النبذ مرة أخرى. كلا، يا أليخاندرو اظن من الأفضل ان اعود إلى منزل ماتيلدا لقضاء بقية إجازتي.»

فقال عابساً وفي عينيه عدم تصديق: «لا اظنك جادة... تانيا لقد فهمت الأمر خطأ، لقد رحلت إينوسنت، لقد انتهى كل شيء بيننا، فقد قبلت الأمر في النهاية.»

ابتلعت تانيا ريقها بصعوبة، أرادت ان تصدقه، ولكنها لم تعرف ما اذا كان بإمكانها ذلك، فعلاقتهما هذه هشة حساسة للغاية، وبدا عليه الانزعاج لسكوتها، فسألها: «ألا تصدقينني؟»

«أحب ذلك، ولكن من الوقت القصير الذي عرفت فيه إينوسنت، لا اظن انها ستتخلى عنك بسهولة.»

«الأمر لم يكن سهلاً، أوافقك على ذلك، ولكن الأمر انتهى الآن، ويمكنك ان تنسيها.»

مضت لحظة طويلة من الصمت، رفعت تانيا بعدها رأسها وابتسمت له ثم تمتمت تقول: «هذا أحسن.»

«يا جميلتي تانيا، إياك ان تشكي أبداً في ما اقوله لك، فأنا لا اكذب على الاطلاق.»

أخذت تفكر في جوانيتا، انه لم يخبرها عنها قط، ولو انها لم تر رسالة والده له لما عرفت بأمرها على الاطلاق، ولكنها صدقته الآن وهو يقول انه أخبر إينوسنت بالحقيقة، وتملكتها السعادة.

ابتدأت حرارة الاحتفال في الساعة التاسعة والنصف،

فأخبرها أليخاندرو بأن بيتريز وكريسوغونو سيحضرون وبالتالي لن تكون وحدها، وكانا قد تناولا وجبة طعام خفيفة من العجة بسرعة، رغم أنهما كانا يعلمان انه مازال امامهما الكثير من الوقت. وعندما وصلا إلى الساحة، كان الوقت قد حان تقريباً لابتدأ العرض.

رأى أليخاندرو أخاه في الصف الثاني فترك تانيا لتشق طريقها اليهما، قائلاً: «سأراك فيما بعد عندما ينتهي كل شيء.»

لقد عادت تانيا تشعر وكأنها على قمة العالم، واخذت تنظر إليه وهو يبتعد، ما أروع منظره، بقامته الفارعة المهيبة البارزة من بين الجموع، وهو لها رغم انهما لم يتبادلا كلمات الحب بعد، ولكنها أصبحت واثقة الآن، فهي تحبه و...»

استدارت إلى الخلف وهي تشعر بيد على كتفها، وإذا بها ترى إينوسنت وقد تألقت عيناها واحمرت وجنتاها: «يبدو انك واثقة تماماً من نفسك، ولكنني أؤكد لك ان كل ما قد يكون أليخاندرو قاله لك هو غير صحيح.»

فرفعت تانيا رأسها، محاولة جهدها ان تبدو بمظهر الإزدراء رغم ان قلبها كان يخفق بألم، ثم قالت: «أحقاً؟ ولماذا يكذب عليّ؟»

«لكي يجعلك سعيدة... إلى أن تعودي إلى انكلترا، وبعد ذلك... سيعود إليّ.»

الفصل التاسع

بدت إينوسنت من الثقة بنفسها ما أوشكت معه تانيا أن تصدقها، ولكن أليخاندرو أكد لها بكل حزم أن كل شيء بينهما قد أنتهى، فالفتاة كانت تكذب بكل تأكيد. فقالت لها ببرودة: «اظنك مخطئة، فأنا و أليخاندرو قد تفاهمنا تماماً، فأنت لم تعودي جزءاً من حياته، وقد اخبرك بهذا بنفسه، لماذا لا تقبلين الأمر الواقع؟»

«لأنني اعلم ان مشاعره نحوك لا تدوم، فقد كانت لديه فتيات أخريات من قبل، ولكنه كان دوماً يعود إليّ، وسيبقى كذلك على الدوام، وهكذا ترين انك إنما تضيعين وقتك.»

كان كلامها يبدو قريباً من الحقيقة... فهذا بالضبط ما كان حدث لها في انكلترا، ولكن من المؤكد ان أليخاندرو لن يعاملها بقذارة للمرة الثانية، ومن المؤكد ان بإمكانها أن تعتقد ان مشاعره نحوها مخلصة، وأن علاقتهما هذه المرة ستكون دائمة.

فقالت لها بحدة: «أنت كاذبة، فأنت لا تحاولين اقناعي بل اقناع نفسك.» واجتمع الناس حولهما ولكنها لم تنتبه إلى سوى هذه المرأة.

هزت إينوسنت كتفيها: «إذا كنت لا تصدقينني، فانتظري وسترين، فهذا ما سيحدث، فعلاقتنا أنا و أليخاندرو هي منذ وقت طويل، وهي متينة أكثر مما تظنين، لقد أمضيت معه في شقته هنا ساعات كثيرة سعيدة، وكذلك في منزله في أوروتافا،

فليس ثمة ما لا أعرفه عنه، ومعلوم أنك يوماً ما، ستكونين... ماذا تقولون في انكلترا، ستكونين مجرد تاريخ مضى.»

كان في لهجة تلك المرأة لهجة ساخرة، وقد لوت شفتيها ما شعرت معه تانيا بالبرودة تغلّف قلبها، كانت تميل إلى تصديق إينوسنت بقوة... فقد كان ما تقوله يتفق مع كل ما تعرفه عن أليخاندرو، ولكنها أبقت رأسها مرفوعاً بكبرياء وهي تقول: «يمكنك ان تقولي ما تريدين، فأنا لا اصدقك، فأنا و أليخاندرو...»

«تانيا، تانيا.» وكان هذا صوت بيتريز عالياً صافياً وصل إليها من حيث كانت تجلس على بعد امتار قليلة منها.

«تعالي حالاً وإلا فاتتك رؤية البداية.» تملكها الإرتياح وهي تنظر إلى عيني بيتريز، فقالت لإينوسنت: «عفواً، يجب أن أذهب.»

فقالت الفتاة: «لا تظني نفسك الفائزة لا لشيء إلا لأنك استطعت استمالة إسرته إلى جانبك، ان أليخاندرو يحبني ولن يمر وقت طويل قبل ان يطلب يدي للزواج.» ثم أدارت لها ظهرها وتركتها مبتعدة.

شعرت تانيا نفسها ترتجف ولكنها لم تعرف ما إذا كان بسبب الغضب أو الارتياح لانتهاء هذه المواجهة، تباً لاينوسنت ولسانها الحاقد، وها هي ذي الآن يعود إليها مرة أخرى عدم الثقة بالنفس.

شقت طريقها إلى المقعد الشاغر الذي كانت بيتريز حجزته لها ثم جلست وهي تتنهد بارتياح، دون أن تعلم أن وجهها كان بشحوب الموتى.

سألتها بيتريز باهتمام: «ما الذي كانت تقوله لك إينوسنت؟»

أجابت عابسة: «كانت تطلب مني الابتعاد عن أليخاندرو، وشكراً لإنقاذك لي.»

تدفقت من بين شفتي المرأة سيل من الكلمات الغاضبة باللغة الاسبانية، لينتهي بقولها: «تباً لها من فتاة سيئة، إياك ان تستمعي اليها، وأليخاندرو كان أحمق لتورطه معها، وأنا أخبره بذلك على الدوام، ولكنه لا يهتم بقولي، ولا أدري ما الذي يجذبه فيها، ولكنها شريرة، فهي متشبثة به لا تدعه يفلت من يدها.»

فأومأ زوجها موافقاً: «بيتريز على صواب، فاينوسنت سيئة للغاية، ولا أدري ما الذي تفعله هنا.»

فقالت تانيا: «لقد جاءت لرؤية أليخاندرو، وكنا قابلناها قبل الآن امام شقته.»

فأومأ الرجل متفهماً: «وطبعاً، لم يعجبها أن تراكما معاً، ان هذا يفسر سبب هجومها هذا، ولكن لا تجعلي هذا يكدرك يا تانيا، فنحن أنا وبيتريز، نعرف تماماً من يفضل منكما، وقد قلنا ذلك بعد خروجكما من عندنا تلك الليلة، أليس كذلك؟» قال ذلك وهو ينظر إلى زوجته: «فأنا لم أر شقيقي سعيداً بهذا الشكل، منذ مدة طويلة.»

عند ذلك ابتدأ الاحتفال ولم يعد ثمة مجال لمتابعة الحديث.

افتتنت تانيا بكل ما رأته، وتملكها الذهول وهي ترى مقدار البذخ في الأزياء التي كانت ترتديها المتسابقات، وقد اخبرتها بيتريز أن هذه الملابس كان يستغرق إعدادها شهوراً لكي تكتمل.

رأت تانيا ذلك بنفسها والفتيات يستعرضن انفسهن على خشبة المسرح، واحياناً عندما كانت المتباريات يستدرن

ليسرن في هذا الطريق أو ذاك، كان على المساعدين من الرجال أن يرفعوا الثوب ويديروه معها، وكانت الفتاة نفسها تكاد تختفي داخل كومة من الريش والحرير بكل حجم ولون.

كما كان لباس الرأس مرتفعاً طويلاً إلى حد كان مستغرباً ثباته في مكانه، كان كل زي مختلفاً عن الآخر، ممثلاً طير عصفور رائع الجمال، والطاووس، والفراشة، والتنين أو الشجرة.

قالت لها بيتريز: «انها تكلف ملايين البيزات، وتتكفل بها مختلف الشركات الكنارية، بينما الفتيات يمضين الساعات الطويلة لإعداد انفسهن لعبء حمل ثقل الأثواب هذه.»

واستطاعت تانيا تصديق ذلك وهي ترى من البذخ والمبالغة في هذه الأثواب ما لم تره قط من قبل، ما جعل الأثواب التي تخيطها ماتيلدا تبدو بالمقارنة بهذه بسيطة للغاية.

كما كانت الفتيات بالغات الجمال، وتصورت تانيا فجأة أليخاندرو ينظر إليهن ويتأملهن من فوق إلى تحت، كيف لا ينجذب إليهن؟ وكن يتمايلن مع انغام الموسيقى بقدر ما تسمح لهن به اثوابهن الثقيلة الوزن، باسمات طوال الوقت.

سرت الغيرة في كيانها، أتراه ستجذبه واحدة منهن؟ وهل ستكون احداهن فريسته التالية؟ فريسة؟ وهل هكذا ترى نفسها؟ لقد زحفت هذه الكلمة إلى ذهنها دون وعي منها، ولكنها أظهرت ضآلة ثقتها به، وكيف سممت إينوسنت عقلها، وكذلك فعلت شارلين... هما الاثنتان، كل واحدة بطريقتها الخاصة، حذرتاها من أليخاندرو، أما كان ينبغي عليها ان تعير ذلك بعض الاهتمام، على الأقل؟

«هل ثمة شيء سيء؟»

فانتبهت تانيا إلى أن بيتريز كانت تنظر إلى وجهها، وما يتعاقب عليه من مشاعر. «ألست مستمتعة بالعرض؟»

«نعم، نعم، انني مستمتعة به طبعاً، انها مجرد فكرة طرأت على بالي ولا علاقة لها بالحفل.»

«أليست إينوست هي التي جلبت الكدر إلى نفسك؟»

فرفعت تانيا كتفيها: «قليلاً.»

هزت بيتريز رأسها غاضبة: «بل اكثر من ذلك، عليك أن تحاولي نسيانها، هل تحبين أليخاندرو؟»

ذهلت تانيا لهذا السؤال المباشر، فنظرت إلى المرأة الأخرى بعينين متسعتين: «وهل يبدو هذا واضحاً؟»

قالت المرأة وهي تبتسم برقة: «نعم، في نظري، لأنني أنا احبه أيضاً بصفته شقيق زوجي طبعاً، فهو رجل رائع وان يكن غبياً احياناً بالنسبة إلى النساء... وأنا لا اعنيك، يا تانيا، فأنت من نوع آخر، وأنت ملائمة له تماماً، فاهتمامك به ليس لأجل ثروته ككثيرات من الفتيات مثل إينوسنت والتي أنا واثقة من ان هذا كل ما تريده.»

فقالت تانيا: «أنا لم افكر قط في المال.» حتى انها لم تكن تعلم ان أليخاندرو رجل ثري، صحيح أن الثراء يبدو عليه الآن، ولكنه قبل كل السنوات التي مضت، لم يكن يملك سيارة غالية أو ثياباً أنيقة، وما هي أهمية المال حين يكون هناك الحب؟ من المؤكد ان ذلك لم يكن يهمها.

سألتها بيتريز: «هل سترين أليخاندرو فيما بعد حين ينتهي التحكيم؟»

«هذا ما قاله.»

إلا اذا سبقتها إينوسنت إليه أولاً، فها هي تلك الفتاة تقف

على مسافة عدة أمتار، تبدي اهتمامها بالفتيات الجميلات واثوابهن، ولكنها تكثر من النظر باتجاه تانيا، واحياناً تلتقي أعينهما، فيبدو الشر في وجه الفتاة الأسمر.

فقالت بيتريز وهي تنظر بعنف إلى حيث كانت إينوسنت تقف: «إذن، لا بد لنا من ان نجعلك تقابلينه قبل إينوسنت.»

لم تكن تانيا قد أدركت أن بيتريز قد رأت إينوسنت، ولكن عندما نظرت الفتاة اليهما ورأت زوجين من الأعين تنظران إليها، رفعت رأسها باعتداد، ونفضت شعرها إلى الوراء وبدت على شفتيها ابتسامة مليئة بالثقة، وبدا وكأنها تقول، انني أعلم بماذا تفكران، ولكنني سأصل إليه أولاً.

أخذت بيتريز تشتم بصوت منخفض وأمسكت تانيا تضغط عليها انتهت حمى الاستعراض وسرت حركة بين الجمهور ولم تعد تانيا ترى إينوسنت، بينما سحبتها بيتريز إلى الأمام، وسواء كان من حسن الحظ أم حسن التدبير، فقد برز أليخاندرو فجأة بجانبهما.

قال لها بابتسامة رقيقة: «هل استمتعت بذلك يا عزيزتي؟»

«نعم، كان ذلك ممتعاً إلى حد كبير، كانت الملابس إبداعاً رائعاً.»

«أليست كذلك حقاً؟ لا أدري كيف استطاعت الفتيات السير بها.»

«كانت الفتيات جميلات، هل قررت من هي الملكة؟»

فقطب حاجبيه قليلاً: «ألم تسمعي اعلان ذلك؟»

هزت تانيا رأسها: «كنت انا وبيتريز نتحدث مع الأسف.»

فأشرق وجهه وهو يقول: «كان عليّ ان أدرك ذلك فبيتريز تحب الكلام، ودوماً في الوقت غير المناسب، لا

بأس سترين المباراة النهائية غداً، لقد قررت الآن من هي الفائزة، ولكنني طبعاً لست الوحيد في لجنة التحكيم.»

عندما تبعوا الجموع، رأت تانيا إينوسينت بنظراتها الحاقدة، كانت عيناها على أليخاندرو فلم تلحظ رؤية تانيا لها، كما ان أليخاندرو لم ير الفتاة ما سرت له تانيا، ولكن بيتريز رأتها وبكل حذق غيرت من اتجاه مجموعتهم إلى الناحية المضادة، وسرعان ما غابت إينوسنت عن الأنظار.

سأل أليخاندرو شقيقه: «هل أنتما عائدان إلى الشقة عندي، يا كريسوغونو؟»

لكنه وزوجته هزا رأسيهما نفياً: «علينا أن نعود إلى البيت، هذا إلى انني واثق من انك تفضل ان تكون وحدك مع تانيا.»

وفجأة اصبحت تانيا مترددة في رغبتها في البقاء وحدها مع أليخاندرو، كان ما يسمى بالثقة هو الذي يزعجها، فقد بدت اينوسنت واثقة جداً من أنهما سيعدوان إلى بعضهما البعض حالما تعود هي، تانيا إلى انكلترا، كما انه لم يقل شيئاً عن رغبته في رؤيتها مرة أخرى بعد انتهاء اجازتها... لا شيء عن علاقة مستمرة، فالأمر يبدو حقاً وكأنه لا يهتم إلا بالحاضر وفي هذا المكان.

سارا في الشوارع معاً وفي كل مكان كان الناس يضحكون ويتحدثون بحماسة فائقة، قال لها وهما يقفان في انتظار المصعد إلى شقته: «يبدو عليك الهدوء البالغ.»

فقالت كاذبة: «اني متعبة.»

«إذن فلن أجعلك تسهرين اكثر من ذلك، هل استمتعت بوقتك الليلة؟»

«نعم.»

«هل اهتمت بك بيتريز وزوجها؟»

«طبعاً.»

«يبدو عليك بعض التوتر.»

فهزت كتفيها: «ليس بي شيء لا تصلحه ليلة نوم هادىء.»

ما عدا انها تشك في قدرتها على النوم، فقد كان عقلها بالغ الانشغال والكدر.

تردد وهما يقفان عند باب الشقة: «كنت أحب أن ادخل معك، ولكنني إذا دخلت فسيصبح مستحيلاً عليّ ان أخرج، وقد وعدت مانولو بأن اكون عنده في الصباح لأخبره بكل شيء عن هذه الليلة.»

لم تجب تانيا، فقد كانت كلمات اينوسنت الواثقة، وملامحها الحاقدة ما تزال حية في نفسها.

نظر إليه أليخاندرو مقطباً حاجبيه: «ثمة شيء في نفسك لا يعجبني، يا تانيا يجب ان تخبريني، لا أريد ثمة حواجز بيننا.»

أرادت ان تخبره بما قالته إينوسنت، أرادت ان تسمعه ينكر ذلك، ولكن ماذا لو لم يفعل؟ ربما ستشعر غداً بتحسن بعد ان تفكر في الأمر وتحلل هذه المتناقضات، حتى انها قد تتمكن من تبرئته لفقدان الأدلة الكافية... ولكن ليس الآن، ليس هذه الليلة ووجه إينوسنت الحاقد مازال امام عينيها.

«صدقني يا أليخاندرو ما هو الا تعب، فقد كان يوماً مرهقاً.»

فقال بأسف: «انه ذنبي لأنني كنت غاضباً منك، فاهملتك وتركتك وحدك، اني اعتذر، الحقيقة هي انني كنت غيوراً من زوجك وحبك له، لم استطع ان افكر فيك دون تصوره معك يغمرك بحبه.»

بأس ستربن المباراة النهائية غداً، لقد قررت الآن من هي الفائزة، ولكنني طبعاً لست الوحيد في لجنة التحكيم.»

عندما تبعوا الجموع، رأت تانيا إينوسينت بنظراتها الحاقدة، كانت عيناها على أليخاندرو فلم تلحظ رؤية تانيا لها، كما ان أليخاندرو لم ير الفتاة ما سرت له تانيا، ولكن بيتريز رأتها وبكل حذق غيرت من اتجاه مجموعتهم إلى الناحية المضادة، وسرعان ما غابت إينوسنت عن الأنظار.

سأل أليخاندرو شقيقه: «هل أنتما عائدان إلى الشقة عندي، يا كريسوغونو؟»

لكنه وزوجته هزا رأسيهما نفياً: «علينا أن نعود إلى البيت، هذا إلى انني واثق من انك تفضل ان تكون وحدك مع تانيا.»

وفجأة اصبحت تانيا مترددة في رغبتها في البقاء وحدها مع أليخاندرو، كان ما يسمى بالثقة هو الذي يزعجها، فقد بدت اينوسنت واثقة جداً من أنهما سيعدوان إلى بعضهما البعض حالما تعود هي، تانيا إلى انكلترا، كما انه لم يقل شيئاً عن رغبته في رؤيتها مرة أخرى بعد انتهاء اجازتها... لا شيء عن علاقة مستمرة، فالأمر يبدو حقاً وكأنه لا يهتم إلا بالحاضر وفي هذا المكان.

سارا في الشوارع معاً وفي كل مكان كان الناس يضحكون ويتحدثون بحماسة فائقة، قال لها وهما يقفان في انتظار المصعد إلى شقته: «يبدو عليك الهدوء البالغ.»

فقالت كاذبة: «اني متعبة.»

«إذن فلن أجعلك تسهرين اكثر من ذلك، هل استمتعت بوقتك الليلة؟»

«نعم.»

«هل اهتمت بك بيتريز وزوجها؟»

«طبعاً.»

«يبدو عليك بعض التوتر.»

فهزت كتفيها: «ليس بي شيء لا تصلحه ليلة نوم هادىء.»

ما عدا انها تشك في قدرتها على النوم، فقد كان عقلها بالغ الانشغال والكدر.

تردد وهما يقفان عند باب الشقة: «كنت أحب أن ادخل معك، ولكنني إذا دخلت فسيصبح مستحيلاً عليّ ان أخرج، وقد وعدت مانولو بأن اكون عنده في الصباح لأخبره بكل شيء عن هذه الليلة.»

لم تجب تانيا، فقد كانت كلمات اينوسنت الواثقة، وملامحها الحاقدة ما تزال حية في نفسها.

نظر إليه أليخاندرو مقطباً حاجبيه: «ثمة شيء في نفسك لا يعجبني، يا تانيا يجب ان تخبريني، لا أريد ثمة حواجز بيننا.»

أرادت ان تخبره بما قالته إينوسنت، أرادت ان تسمعه ينكر ذلك، ولكن ماذا لو لم يفعل؟ ربما ستشعر غداً بتحسن بعد ان تفكر في الأمر وتحلل هذه المتناقضات، حتى انها قد تتمكن من تبرئته لفقدان الأدلة الكافية... ولكن ليس الآن، ليس هذه الليلة ووجه إينوسنت الحاقد مازال امام عينيها.

«صدقني يا أليخاندرو ما هو الا تعب، فقد كان يوماً مرهقاً.»

فقال بأسف: «انه ذنبي لأنني كنت غاضباً منك، فاهملتك وتركتك وحدك، اني اعتذر، الحقيقة هي انني كنت غيوراً من زوجك وحبك له، لم استطع ان افكر فيك دون تصوره معك يغمرك بحبه.»

وهي الآن تشعر بالغيرة من إينوسنت وكل تلك الفتيات اللاتي كان ينظر اليهن هذه الليلة بإمعان، ليس من جوانيتا، فقد كانت جوانيتا ماضيه، ولكنه كان على كل حال، رجلاً قوياً معافى، فكيف لا ينجذب اليهن؟

إنحنى يقول لها برقة وحنان: «تصبحين على خير يا عزيزتي، غداً سنمضي النهار كله معاً، هذا وعد مني لك، إذهبي الآن ونامي باكراً.»

فأومأت وهي تبتسم بضعف: «تصبح على خير يا أليخاندرو.»

وكما كانت تتوقع لم يأتها النوم بسهولة، وعندما استطاعت ان تغفو قليلاً، انتها الكوابيس عن إينوسنت، واستيقظت بعد السابعة مباشرة شاعرة بأنها لم تنم مطلقاً، كانت قد صنعت لنفسها للتو كوب قهوة ثقيلة عندما رن جرس الهاتف، وكان صوت أليخاندرو العميق يأتيها عبر الأسلاك: «تانيا، ان لديّ خبراً سيئاً، هنالك بعض المشاكل بالنسبة لشحن الخضروات، وعليّ ان اذهب الآن لفضها ووضع حد لها.»

شعرت بالارتياح من ناحية، واليأس من ناحية أخرى حيث ان عليها أن تمضي نهاراً آخر وحدها، ولوت أساريرها وهي تقول: «لا بأس، يا أليخاندرو، افعل ما يتطلبه عملك منك.»

«ألم تنامي جيداً يا تانيا؟ مازال صوتك يبدو مرهقاً.»

فقالت: «أراني كذلك فعلاً، فقد كنت في الواقع مرهقة للغاية، فلم اكد انام الليل.»

«وهل ايقظتك يا عزيزتي؟»

«كلا، كلا، لقد كنت اصنع لنفسي القهوة.»

«إذن، أرى ان تأخذيه معك إلى الفراش وتحاولي النوم عدة ساعات أخرى، سيكون عليك ان تسهري هذه الليلة أيضاً في الانتخابات النهائية.»

لم تكن تانيا واثقة من رغبتها في الذهاب مرة أخرى، هل تستحق رؤيتها لتلك الأزياء الغريبة الرائعة عذاب رؤيتها لأليخاندرو مع تلك الفتيات؟ وسألته: «هل ستكون بيتريز هناك أيضاً؟»

«طبعاً، فهو حدث سنوي بالنسبة اليهم، ولا تنسي أن إحدى المشتركات في المباراة النهائية هي ابنة عم بيتريز.»

«أحقاً؟ انها لم تقل ذلك. سأكون مستعدة عندما تحضر.»

عندما طرق الباب فيما بعد ذلك الصباح، قفزت لتفتحه، وعندما رأت اينوسنت لم تصدق عينيها.

قالت لها بحدة: «إذا كنت جئت لرؤية أليخاندرو فهو ليس هنا.»

«نعم، اعلم ذلك، فقد تركته لتوي.» وكان صوت اينوسنت ينطق بالشماتة، وشعرت تانيا بطعنة ألم عميقة في قلبها، إذن فقد كان أليخاندرو يكذب حين قال إن لديه عملاً يمنعه من المجيء، لقد كان مع إينوسينت، الفتاة التي أصرّ على انه انتهى منها، فهذا هو نوع العمل الذي كان يعنيه.

«لقد قال لي ان اخبرك بأنه لن يستطيع القدوم هذا اليوم، وكذلك قال ان بإمكانك ان تخرجي وتستمتعي بأشعة الشمس بدلاً من الجلوس هنا.»

سألتها بصوت أعلى قليلاً من الهمس: «وهل سيأتي إلى هنا للانتخاب النهائي لملكة الكرنفال الليلة؟»

فرفعت إينوسنت كتفيها النحيلتين: «اظن ذلك. انه ينظر إلى

واجبه بصفته عضواً في لجنة التحكيم بشكل جاد، ولكنني اظنه بعد ذلك سيرحل من هناك مباشرة عائداً إلى بيته.»

وهذا يعني أنه لن يكون لديه وقت لها هي! كم من هذا الكلام صحيح، وكم منه لفقته اينوسنت، فهذا ما لم تكن تانيا واثقة منه، كانت واثقة من شيء واحد وهو انه لن يأتي إلى هنا اليوم.

قالت لها رافعة الرأس، محاولة ان لا تظهر اكتئابها: «شكراً لاخبارك لي بذلك.»

«هذا من دواعي سروري.» وابتسمت الفتاة راضية ثم استدارت نحو المصعد.

اغلقت تانيا الباب بهدوء، مقاومة رغبتها في صفقه، تباً لاينوسنت، وتباً لاليخاندرو، انهما يعبثان بها بينهما، حسناً انها ستخرج، ستخرج طوال النهار ولن تذهب إلى الانتخابات النهائية، وإذا بحث عنها فلن يجدها، فإذا لم يعجبه ذلك، فليس امامه الا ان يبلط البحر، كان عليه ان يعتذر بنفسه بدلاً من ان يرسل لها خبراً مع إينوست.

لو انها لم تكن تحب ان ترى العرض الكبير يوم الثلاثاء، وعروض الألعاب النارية بعد ذلك، لاستقلت الحافلة وعادت رأساً إلى منزل ماتيلدا مباشرة، وبعد ذلك إذا كان يظن انه سيأتي اليها غداً ويخفف عنها باعتذاراته، فعليه ان يعاود التفكير.

تصاعد رنين الهاتف، ولكنها لم تجب، فليس ثمة سوى شارلين لتتصل بها، وهي لا تريد ان تتكلم معها، حملت حقيبة يدها وتركت الشقة وهذه المرة خففت عن نفسها بصفق الباب خلفها بعنف.

كان النهار طويلاً والمساء أطول، وفي النهاية ذهبت

للتفرج على الاحتفال النهائي بانتخاب الملكة، ولكنها وقفت بعيداً عن الأنظار ثم انخرطت بين الجموع في اللحظة التي أعلن فيها القرار النهائي.

لم تشأ ان تعود الآن إلى الشقة خوفاً من ان يكون أليخاندرو قد جاء للبحث عنها، ولكن إلى أين تذهب في هذا الوقت من الليل؟ إلى ان سمعت فجأة شخصاً يناديها باسمها: «تانيا، انه انت، أليس كذلك؟» نظرت وإذا بها ترى جوان ينظر اليها باسماً وهو يسألها: «ما الذي تفعلينه هنا وحدك؟ أين أليخاندرو؟»

أجابت هازة كتفيها: «لا أدري.»

فقطب جوان جبينه: «ولكنني كنت اظن انك وابن عمي، صديقان حميمان، ظننت...»

فقاطعته بحدة: «ظنك كان مخطئاً.»

«ولكن شارلين اخبرتني بأنكما استأنفتما علاقتكما القديمة والتي كانت منذ سنوات كثيرة.»

«لا بد ان شارلين فهمت خطأ.»

«لكنك تقيمين في شقة أليخاندرو؟»

«هذا لا يعني شيئاً، كانت هذه لفتة كريمة منه، وهذا كل شيء.»

«في هذه الحال لا اظن لديك مانع في تناول فنجان قهوة معي؟»

«لا مانع مطلقاً.» وابتسمت تانيا بسرور، فهذا كان الجواب لحيرتها.

أمضى جوان الساعة التالية متحدثاً على شارلين، مطرياً فضائلها، ما جعل تانيا دون أدنى شك في أنه وقع

في غرام شقيقتها رأساً على عقب، وعندما أخذها في النهاية إلى الشقة، شعرت بأنها نجت من أليخاندرو.

عند الباب ودعها جوان وذهب، ولم تشعل هي الضوء إلا بعد ان اغلقت الباب خلفها، وسرعان ما تملكتها صدمة بالغة وهي ترى أليخاندرو واقفاً في وسط المكان ينتظرها، وملامحه كالعاصفة وجسمه بأكمله يغلي من الغضب.

«أين كنت؟» دوّت كلماته الثائرة هذه في جو الغرفة. «ألا يهمك انني كدت افقد عقلي قلقاً عليك؟ لقد اتصلت هاتفياً بماتيلدا، واتصلت بشقيقتك، وكنت الآن افكر في الاتصال بالشرطة.»

فسألته غاضبة: «ما الذي تعنيه بقولك (أين كنت)؟ بينما المفروض ان أسألك انا، ماذا تفعل هنا؟ فقد فهمت انني لن أراك هذا النهار.»

«لقد قلت انني مشغول هذا الصباح، لقد اتصلت هاتفياً، ثم جئت ولكنك كنت غير موجودة... كنت رحلت، دون خبر... دون أي شيء حتى اني ظننتك رحلت نهائياً إلى ان وجدت ثيابك. أين كنت؟ وصوت من هذا الذي سمعته عند الباب؟ هل هو شخص التقطته من الطريق؟ تانيا كيف تفعلين بي هذا؟»

رفعت ذقنها كعادتها في الدفاع عن نفسها: «انه لم يكن رجلاً غريباً، في الواقع، فقد كان ابن عمك.»

«مانويل مرة أخرى؟ ظننتك سبق وقلت ان لا شيء بينكما.»

«ليس مانويل بل جوان.»

فسألها مقطباً: «جوان؟»

«نعم، وهي ليست جريمة ان أتناول فنجان قهوة مع شخص آخر، أليس كذلك؟»

سألها بعنف أشبه بانطلاق رصاصة من بندقية: «وهل كنت معه طوال النهار؟»

«آه، طبعاً لا، لقد صادفته منذ ساعة فقط في الساحة.»

«هل كنت هناك؟ ولكن أخي وزوجته قالا انهما لم يرياك؟»

«انني لم اجلس معهما.»

«ولكن لماذا؟»

ردت عليه بمرارة: «المفروض ان تعلم جواب هذا.»

فزاد تقطيبه: «أوضحي كلامك.»

«وماذا اقول؟ كنت فكرت بك حقاً لو انك كنت اعتذرت لي شخصياً.»

«لا افهمك، يا تانيا.»

تنهدت بفروغ صبر ثم تابعت سيرها إلى داخل الغرفة: «انني اتحدث عن اينوسنت، لماذا ترسل معها رسالة لي؟ لماذا لم تخبرني بنفسك انك لن تستطيع القدوم؟»

فضاقت عيناه مستفهماً: «وهل رأيت إينوسنت؟»

أجابت بلهجة لاذعة: «كما رأيتها انت... مرسلاً العذر معها.»

أمسكها بكتفيها وقال وهو ينظر في عينيها: «تانيا، انني لم أر اينوسينت اليوم.»

فخلصت نفسها منه وهي تقول: «لا تكذب عليّ، يا أليخاندرو.»

«ولكنها الحقيقة، انظري إليّ يا تانيا.» وعاد يمسك بها مرة أخرى. «ولماذا اكذب بهذا الشأن؟»

فقالت بحدة: «اخبرني أنت.»

«إنني لا اكذب عليك.»

نظرت إليه بارتياب: «كلا؟ انني لا اصدقك مع الأسف.»

«ولكنك تصدقين اينوسنت؟»

«وما الذي يدعوها إلى الكذب؟ ولماذا هي تقول انك ارسلتها؟ فهي لا بد انها تعلم أنني سرعان ما اكتشف حقيقة قولها.»

«انها تكذب لتفرق بيننا، يا تانيا.»

أخذت تتأمله ببرودة: «اذا لم تكن رأيتها اليوم، ففسر لي كيف عرفت هي انك كنت اتصلت بي هاتفياً؟ لقد كان كلامها معقولاً حين قالت انك لن تستطيع الحضور.»

فهز رأسه: «لا أدري كيف عرفت، ولكنني أؤكد لك بأنني سأبحث في هذا الأمر.» ثم رقّت لهجته. «يا عزيزتي، كيف تظنين بي مثل هذا؟»

قالت: «كانت لهجة إينوسنت صادقة تماماً.»

«لقد كانت إينوسنت في غاية الغضب حين انهيت العلاقة معها، وأنا لم أدرك ذلك في ذلك الوقت، ولكن من الواضح انها ستفعل كل ما تستطيعه لكي تضع حداً لعلاقتنا، فهي تراك المرأة التي فرقت بيني وبينها، بينما حقيقة الأمر هي أنني لم اكن اعتبر علاقتي بإينوسنت أمراً جاداً على الاطلاق.»

نفس الشيء حدث بينهما حين لم يعتبر علاقته بها أمراً جاداً وذلك طوال السنوات الماضية، والسؤال هو، هل كانت بالنسبة إليه مجرد لعبة يلهو بها كما كانت إينوسنت؟ هل اعتاد ان يعامل كل النساء اللاتي عرفهن، بهذا الشكل؟ فهو ينبذ الواحدة منهن حالما تعجبه أخرى جديدة؟ ربما عليها ان تسأله، ولكن قبل ان تتفوه بشيء إذا به يقول: «فلندع الحديث عن إينوسنت، يا تانيا، انك لا تدرين كم تألمت هذا النهار، إياك ان تفعلي هذا بي مرة أخرى.»

فقالت: «اتظنني لم أتألم انا أيضاً؟»

«أنا واثق من ذلك، ولكنني سأصلح الأمور، اعدك بذلك، والآن هل تسمحين لي بالمبيت هنا الليلة؟»

«كلا، يا أليخاندرو؟»

فنظر اليها عابساً: «هل هذا بسبب اينوسنت؟»

فأومأت إيجاباً، ولكن هذا كان صحيحاً جزئياً فقط، فهي كانت تريد ان تعلم ما هي نهاية أية علاقة تقوم بينهما، كانت تريد ان تعلم حقيقة شعوره نحوها، وماذا يخبىء لها المستقبل.

تمتم يقول: «انني آسف لما حدث، يا تانيا، وأنا اكثر أسفاً لأنني لا استطيع ان أبقى وأصلح الأمور بيننا، ولكن عليّ ان اذهب إلى البيت، في الحقيقة، لأجل مانولو.» ثم تابع يقول غاضباً: «أريدك ان تعديني، يا تانيا بأنك ستكونين هنا غداً عندما احضر، لا اريدك ان تهربي بعد الآن.»

أجابت بهدوء اقرب إلى عدم الاهتمام: «اعدك بذلك.»

فتوترت شفتاه: «وإذا عادت إينوسنت مرة أخرى لا تتكلمي معها، اطرديها ودعيني اتصرف معها، تصبحين على خير يا حبيبتي، إنني آسف لما اصابك من انزعاج.»

وعندما خرج شعرت بأن ذهنها في دوامة هائلة، انها تريد برهاناً على أنه يحبها لنفسها وليس لجسدها فقط، برهاناً على أنه جاد في نواياه، وإلى ان تتأكد من ذلك، ستبتعد عنه مهما كان في هذا من صعوبة بالنسبة إليها.

الفصل العاشر

شعرت تانيا بالارتياح وهي ترى الأيام القليلة التي تلت محمومة مليئة بالأحداث ما لم يدع لهما وقتاً لأحاديث عميقة، لقد كان ثمة أشياء كثيرة تحدث، ففي كل يوم شيء مختلف، كان هناك افتتاح العرض الكبير... المغنون... التنافس في عروض الأزياء التنكرية... الموسيقيون... وطبعاً كان هناك الموكب الكبير.

لقد جاء مانولو لأجل هذا وكذلك كل أخوة أليخاندرو وأخواته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وأولاد أخوته وبناتهم اللاتي لم يشتركن في العرض، وكانت تانيا قد علمت ان كرنفال اوروتافا كان يحدث هذا الأسبوع أيضاً، ولكن لأن اكثر أفراد أسرة أليخاندرو كانوا يسكنون قريباً من سانتا كروز، فقد كانت العادة أن يأتوا جميعاً إلى هنا.

استغرق مرور الموكب أربع ساعات، وقد وجد أليخاندرو لها مكاناً مشرفاً امكنها ان ترى منه كل شيء بوضوح، وأخذت تلوّح بيدها بحماسة لبيتريز التي كانت تبدو رائعة الجمال بزيها ذي اللونين الفضي والقرمزي.

حتى إن أليخاندرو أقنع تانيا بأن تصبغ وجهها وتكحل عينيها بشكل مسرحي، كما ألصقت على وجنتيها الترتر اللامع والخرز. لقد قال لها ان كل شخص عليه أن يدخل في روح الكرنفال.

كانت هناك كاميرات التلفزيون عارضة ما يحدث في كل

أنحاء جزر الكناري، وعندما حل الظلام، كانت المصابيح القوسية تلقي أنوارها على الرجال والنساء والأولاد المصطفين على جانبي الشارع، كان هناك المواطنون، والسائحون بكاميراتهم. كان كل شخص حاضراً الاحتفال.

كان هناك اللهفة والحماسة والتألق والمرح والروائح والإزدحام واللهفة المحمومة، لم تكن تانيا قد رأت قط من قبل موكباً مثل هذا، وكان الاقبال على المرطبات صاخباً، وكانت الكوكاكولا شراباً شعبياً تقليدياً كما قال لها أليخاندرو فيما بعد وهو يناولها كأساً بعد مرور الموكب وابتداء حفلة الشارع.

كان لكلمتي طعام سريع معنى جديداً عندما رأت تانيا السرعة التي جهز بها أصحاب منصات العرض اطعمتهم من لحوم المعلبات والهمبورغر، ثم هنالك المنصات التي تبيع الحلوى وعرانيس الذرة المشوية والبالونات، كان الضجيج والإزدحام والهتاف واللهفة، في كل مكان، وهي عشقت هذا كله.

أما عروض الألعاب النارية فكانت شيئاً آخر، هي أيضاً وكان وجه مانولو صورة للعجب، بقي مانولو ساهراً اكثر مما توقعت تانيا، وأخيراً قال أليخاندرو ان الوقت قد حان لكي يأخذ ابنه إلى البيت.

وكذلك تانيا لم تشأ ان ينتهي اليوم، ذلك انها لم يسبق لها قط ان استمتعت في حياتها بحفلة مثلها الآن.

ويوم الأربعاء، كانت هناك طقوس دفن السردين... إذ يؤتى بسمكة سردين ضخمة الحجم مصنوعة من معجون صنع الدمى، ثم تحشى بالمفرقعات وتجر في الشوارع تتبعها نساء نائحات يرتدين السواد، ثم تلقى في البحر وتفجر، وعندما سألت

أليخاندرو عن معنى كل هذا، قال لها انه تقليد قديم يتمنون فيه موسم صيد سمك جيد في السنة القادمة.

وفي اليومين التاليين كان هناك احتفالات متنوعة، وبعد ذلك انتهى كل شيء في سانتا كروز على الأقل.

قال لها أليخاندرو: «حان الوقت الآن لكي تحتفل المدن الأخرى بأعيادها الكرنفال، ومن سوء الحظ ان اوروتافا اقامت كرنفالها هذا الأسبوع، إذ كان سيشكل لك عذراً لكي تقيمي في بيتي... ولكن إذا أردت أن تذهبي إلى أي من الأعياد الأخرى، فلا بأس.» كان يقول هذا وقد لمعت عيناه، وشعرت تانيا بقلبها يخفق بسرعة.

كان الوقت متأخراً وكانا في شقته، وقد جلسا يتحدثان عند مائدة الطعام حيث كانت تانيا قد أعدت وجبة تناولاها معاً، وكانت هذه هي المرة الأولى التي جلسا فيها بمفردهما منذ أفسدت إينوسنت الأمور بينهما.

قالت بعد ضحكة قصيرة: «هذا غير ممكن بالنسبة لظروفي، وأنا ذاهبة غداً إلى منزل ماتيلدا، لاستعادة اتزاني النفسي.» كان ما يزال هناك شيء من التوتر بينهما، فهي مازالت لا تعلم ما هو شعوره الحقيقي نحوها، ولهذا فهي تريد ان تبتعد عنه الآن حيث أن عيد الكرنفال قد انتهى، وكان هذا عذراً جيداً، فإذا كان يهتم بها حقاً، فعليه إذن ان يتصرف.

«وماذا لو قلت إنني لا أريدك ان تذهبي.»

اخذت خفقات قلبها تتسارع، وسكتت برهة قبل ان تجيب في حالة لديه شيء آخر يريد ان يضيفه إلى ما قاله، ولكن عندما بقي صامتاً، قالت: «انني سأعود إلى وطني بعد ايام قليلة، وأريد ان أمضي بعض الوقت مع أختي قبل ذلك.»

فقطب جبينه دهشة: «هل إجازتك أوشكت على النهاية؟ هذا غير ممكن، يا تانيا، يجب ان تمكثي مدة أطول.»

فهزت رأسها: «هذا غير ممكن، فان لدي وظيفتي هناك وبيت عليّ ان اعتني به، يجب أن أعود.»

كانت تأمل في ان يطلب منها التخلي عن وظيفتها، وتبيع البيت وتأتي لتعيش معه هنا في تينيريف، ان يطلب منها الزواج منه.

ولكن كل ما قاله هو: «دعينا إذن نمضي يوماً آخر معاً، على الأقل.»

شعرت تانيا بغصة في حلقها لخيبة الأمل هذه، لقد جاءها الجواب، يوم واحد فقط وينتهي كل شيء، انه لا يحبها وكل مشاعره كانت، كما كانت تكهنت، سطحية لا غير.

فقالت آملة ان لا يفضحها صوتها: «وماذا يفيدنا يوم واحد؟»

«فكرت في أن نذهب إلى النزهة في يختي، فهو نادراً ما استطيع استعماله لأموري الخاصة، وهكذا عندما يصبح لا حاجة للعمل إليه، أحاول ان استفيد منه إلى أقصى حد ممكن، فهل تأتين؟»

تملك تانيا إغراء كبير للقبول، فهذه كانت فرصة أجمل من ان تدعها تفوتها، ولكن أترى هذا صواباً منها عمله؟ وحدثها صوت في داخلها، لقد أمضيت معه أسبوعاً كاملاً، فما أهمية يوم واحد؟ لا شيء طبعاً، ما عدا أنه سيجعل الفراق بينهما اكثر إيلاماً، وأنها ستعرض نفسها لخطر فضح مشاعرها نحوه.

سألها برقة وعيناه السوداوان تتأملانها بإمعان: «هل هذا قرار صعب اتخاذه؟»

«انني موزعة بين الوفاء لأختي، وبين التفكير في يوم نزهة رائع في البحر، انني لم أركب يختاً قط من قبل.»

فقال بإصرار: «إذن، لا خيار امامك، فشارلين ستكون في العمل على كل حال، وأعدك بأن آخذك بعد ذلك مباشرة إلى منزل ماتيلدا.»

أذعنت تانيا على كره منها. «لا بأس، سأحضر.» وتسارعت دقات قلبها وهي تفكر في ذلك، فقد يكون هذا ما هما بحاجة إليه... يوماً لا يقاطعهما فيه شيء، وبعيداً عن الناس، ربما يريد ان يصارحها فيه بشعوره نحوها... ربما هذه هي خطته من وراء هذه الدعوة.

وعندما جاء أليخاندرو ليأخذها في الصباح التالي، كانت هي جاهزة، كانت ترتدي بنطلوناً ابيض من القطن وحذاءً مطاطياً وكنزة مخططة باللونين الأبيض والأزرق.

نظر اليها بإعجاب صامت، وهو يومىء برأسه راضياً، وكان هو يرتدي بنطلون جينز وكنزة كحلية، ولم تتنكر تانيا أنها رأته من قبل يرتدي ملابس عادية بهذا الشكل، وإن كان هذا لا يعني انه اقل جاذبية، فهذا بعيد عنه، وأخذ قلبها يخفق وهي تفكر في ما سيأتي به هذا اليوم، لقد كانت أمضت معظم الأيام الماضية قلقة تفكر، ولكنها قررت أخيراً انه لا يمكن ان يحصل سوى الخير، فهي ستسترخي وتمتع نفسها وتدع الأمور تسير في مجراها الطبيعي.

كان يخته أكبر كثيراً مما تصورت، فتملكتها المهابة لرؤيته وقالت له بحماسة: «لقد احببته، أحببت اسمه وكل شيء فيه.»

فقال برزانة: «يسرني اعجابك هذا.»

«ماذا تريدني ان افعل؟»

«لا شيء، قفي بقربي فقط وابرزي جمالك.» وكانت لهجته عميقة عاطفية، وشعرت تانيا بالمشاعر وقد اخذت تفور في اعماقها.

رفع مرساة السفينة، ثم أدار المحرك، وشيئاً فشيئاً اخذت تخرج من المرفأ متمهلة، واخذت تانيا تنظر إليه بإعجاب للسهولة التي أخذ يقود بها.

وعندما خلفا تينيريف وراءهما، اخذت الجزيرة تبدو اصغر فأصغر حتى لم تعد تبدو اكبر من نقطة في الأفق، فتصاعدت حماستها وتملكها شعور بالثقة في انها ستعرف هذا النهار بالضبط ما هو شعور أليخاندرو نحوها.

قال لها بعد مضي ساعة: «لقد تحدثت إلى إينوسنت.» لم يكونا قد تحدثا حتى الآن سوى عن المركب والجو... عن كل شيء ما عدا نفسيهما.

خفق قلبها لسماعها قوله: «ماذا قلت؟» لم تكن تريد ان تتحدث عن إينوست هذا النهار، لم تكن تريد شيئاً يفسد عليهما هذه المناسبة النادرة.

«لقد اعترفت بأنها تعمدت التفرقة بيننا.»

«أحقاً قالت ذلك؟» ولم تستطع تانيا أن تصدقه تماماً. «وهل اخبرتك كيف عرفت إنني لن أراك في ذلك الصباح؟»

فقال لاوياً شفتيه: «عرفت ذلك من سيسيليا، مديرة منزلي، فقد جاءت إينوست إلى منزلي تسأل المرأة عني فأخبرتها هذه بكل براءة عن أخباري.»

«فهمت، ولماذا تجيء إلى بيتك بينما المفروض ان علاقتكما انتهت؟» فقد بدا لتانيا وكأنه لم يحسن إفهام إينوسنت جيداً.

«انها لم تذعن بسهولة، لسوء الحظ.»

فقالت بحدة: «هذا ما يبدو، ثم انك كنت قلت لي انها لم تدخل شقتك قط، بينما هي قالت انها اعتادت دخولها، ان واحداً منكما يكذب.»

«يا حبيبتي تانيا، أؤكد لك انها لم تفعل، لم تدخل الشقة على الاطلاق، كما انها اخذت العنوان من سيسيليا، لقد كانت هذه المرأة حمقاء للغاية، وقد حدثتها عن خطأ ما فعلت، ولكي يرتاح ذهنك، فقد حدثت إينوسنت بكل صراحة، هي أيضاً لاختلاقها كل تلك الأكاذيب، ولا اظنها ستعود لإزعاجنا مرة أخرى.»

فابتسمت تانيا بوهن، ربما هذا لن يحصل كما يقول ولكن الضرر قد وقع وانتهى الأمر، فما زال هناك خيط نحيل من الشك لم يتبدّد.

أوقفا اليخت حوالي الساعة الواحدة، ثم أخرج أليخاندرو طعاماً فاخراً من اللحومات فتناولا الغداء. وبعد ذلك استلقت على سطح المركب في أشعة الشمس الدافئة، كان الجو بارداً في الصباح، ولكنه اصبح دافئاً الآن، واغمضت عينيها.

همس يقول: «تانيا لم اعد استطيع مقاومة تأثيرك عليّ اكثر من ذلك.»

حبست تانيا انفاسها، ها قد حانت اللحظة التي طالما انتظرتها انه ما بين ثانية وأخرى الآن، سيهمس بكلمات الحب، ولكنه عندما قال بصوت ينطق بالرغبة: «تانيا حبيبتي، لا يمكن أن أدعك ترحلين قبل ان ألمس وجهك وعنقك الجميل هذا...» عند ذلك أدركت ان لا فائدة مما

توقعت وأن عليها ان توقفه عند حده، وشملتها خيبة أمل بالغة بعثت الحزن والكآبة في قلبها وكيانها... كل هذا مزيجاً بغضب بالغ، إذا كان هذا كل مراده منها، فليذهب إلى الجحيم، فهي ليست لعبة بين يديه، وليس هذا هو السبب الذي جعلها تقبل القدوم معه اليوم، كانت كلمات الحب الحقيقي هي التي تريدها.

جلست وهي تقول وقد توتر جسمها: «كلا، يا أليخاندرو.»

«كلا؟» وبدا صوته عالياً في هذا السكون الذي يحدق بهما، حيث كل شيء كان هادئاً ما عدا ارتطام الأمواج بجانب المركب.

«كلا.»

أخذ يشتم بعنف ثم وقف بدوره وأخذ ينظر إليها، وقد بانت الخشونة في ملامحه: «ما هذا يا تانيا، لقد طال انتظاري، انتظرت منك المبادرة... التشجيع، لم اكن أريد استعجالك والضغط عليك، وقد ظننت ان هذه هي اللحظة المناسبة، ولكن يبدو أني كنت مخطئاً، ومن الواضح انني أضيع وقتي.» ونفخ بغضب ثم تركها وتحول نحو القمرة.

أغمضت تانيا عينيها وقد انهمرت دموعها على خديها، هذا هو الأمر إذن، لقد انتهى كل شيء ولم يعد ثمة أمل، علاقة لمجرد المتعة ولا شيء غير ذلك، وهو كل ما كان يريده منها، انه لا يشعر بشيء نحوها، لا مشاعر حقيقية لديه نحوها مثل التي لديها نحوه.

كان هذا النهار غلطة منها، وكان عليها أن تعود إلى منزل ماتيلدا كما سبق، وهي الآن قد أدركت ان ليس هناك أمل،

ارتجفت وأخذت تدعك ذراعيها وهي تفكر في الذهاب إلى القمرة، ولكن لأن أليخاندرو كان هناك، امتنعت عن ذلك.

لم تنهض من مكانها إلا بعد أن عاد ثم اتجه إلى المحرك يديره، نظرت إليه ولكن وجهه كان جامداً وعينيه مسمرتين امامه، فاستدارت على عقبيها وتوجهت إلى الداخل.

عندما عادت إلى سطح المركب كان رأسها مرفوعاً عالياً، ساورتها الرغبة، في البداية، في البقاء في الداخل وحدها، ولكن هذا تهرب جبان منها، فإذا كان يشعر بجرح في كرامته لأنها لم تشأ المضي فيما يريد، فهذا شأنه، وليس شأنها، فلماذا لا تستمتع ببقية الرحلة؟

ولكن كلمة «تستمتع» لم تكن الكلمة الصائبة، فقد كان الجو بينهما ثقيلاً متوتراً للغاية، فقالت له بحدة عندما لم تعد تستطيع تحمل هذا الصمت: «لا أدري لماذا تتصرف بهذا الشكل، فهل أنا المرأة الأولى التي تقول لك (كلا)؟»

فنظر اليها ببرودة: «ليس هذا هو السبب، يا تانيا، وأنت تعرفين هذا بكل تأكيد. أحقاً انك لا تعلمين السبب الحقيقي.»

انها تدرك أنه لا يحبها، ولكن إذا لم يكن رفضها له هو ما أغضبه، فهي لا تعرف إذن السبب في ذلك، ولكنها لم تشأ الاعتراف بجهلها، فرفعت كتفيها بعدم اكتراث: «إذن، فأنت ستفسد بقية النهار لهذا السبب؟»

تقبضت يداه على عجلة القيادة بعنف: «انك تجعلين هذا أمراً بسيطاً لا يعني شيئاً.»

فقالت: «لا يمكن للمرء أن يجعل الأمور تجري حسب مشيئته.»

«هذا صحيح تماماً.» بدا وكأن كلماتها قد زادت من غضبه، وأسرع بهما المركب ما بدا معه وكأنه يعلو فوق الأمواج.»

ربما من الأفضل ان تبتعد عن طريقه. وعادت إلى القمرة الرئيسية وجلست على احد المقاعد المخملية الزرقاء، شعرت بالارتياح وهي تشعر به وقد خفف من سرعة المركب، وكانت العودة إلى تينيريف مريحة بشكل لا بأس به، للجسم على الأقل، ان لم يكن للعقل.

وصلا إلى المرفأ ووضع مرساة المركب، نزلت تانيا وقد أثقل الهم قلبها، فهذه هي النهاية، كما يبدو، لعلاقتهما، فمشاعره نحوها لم تكن قط عميقة كمشاعرها نحوه، وقد انتهى الآن كل شيء.

تمنت لو انها لم تستمع إلى اقناع شارلين لها بالقدوم إلى تينيريف، فأثناء التسع سنوات التي تلت حبها لاليخاندرو وفقدانها له، كانت قد نجحت في إقصائه من ذهنها، ولكن ليس كلياً، فقد كان من المستحيل ان تنسى شخصاً احبته بكل هذا العمق، ولكنها كانت قد روضت نفسها على العيش بدونه... والآن كل آلام قلبها تلك قد عادت، وستمر عليها شهور وشهور في التفكير فيه والتمني لو ان الأمور سارت بنوع مختلف.

وفجأة تذكرت انها نسيت حقيبتها على سطح اليخت حيث كانت واقفة عندما كان يلقي المرساة، وفي نفس اللحظة التي استدارت فيها، إذا بها ترى أليخاندرو يقذف بنفسه إلى الأمام محاولاً ان ينقذ نفسه، وإذا به يسقط على السطح محدثاً دوياً عالياً، لم تركض قط في حياتها بمثل هذه

السرعة، واخذ قلبها يخفق خوفاً ويأساً وهي تصعد إلى السطح لتراه ساكناً لا يتحرك.

صرخت بصوت مرتجف: «أليخاندرو، أليخاندرو.» وابتدأ الرعب يتملكها، ماذا لو كان قد مات؟ وضعت اصابعها على جانب عنقه تتحسس نبضه، عليها أن لا تحاول تحريكه، عليها أن تطلب النجدة، وعادت تقفز من المركب وإذا بها ترى مسؤول المرفأ، فركضت إليه: «أرجوك النجدة لقد سقط صديقي وأغمي عليه، انه بحاجة إلى سيارة اسعاف.»

«سيارة اسعاف؟ نعم، سأطلبها حالاً.»

كانت الدقائق القليلة التالية حافلة بالعذاب، فقد كان أليخاندرو ما يزال فاقد الوعي عندما وصلت سيارة الاسعاف. وسمحوا لها بأن تركب معه إلى مستشفى خاص، كان واضحاً انه شج رأسه حين سقوطه، وانتظرت ريثما أجري له تصوير بالأشعة وثم فحصه، ومع ان التصوير اثبت ان لا خطورة في اصابته، لكنهم لن يكونوا واثقين منه بالمئة إلا بعد ان يستعيد وعيه، اما متى يتم ذلك، فلم يتمكن احد من إفادتها.

لم تشعر تانيا من قبل بمثل ما شعرت به الآن من حزن وألم، وسمح لها اخيراً بأن ترى أليخاندرو عندما وضع في سرير المستشفى، وأوشكت على البكاء وهي ترى مبلغ شحوبه وسكون جسمه... وكان هذا كله ذنبها، فقد كانت أدركت عندما عادت إلى اليخت، انه لا بد تعثر بعلاقة حقيبتها فعلقت قدمه بها، وهكذا تسبب نسيانها بهذا الخطر لحياته الآن، كيف يمكنها ان تعيش مع وخز ضميرها، اذا هو مات؟

ابلغ كريسوغونو شقيق أليخاندرو بالأمر فجاء في الوقت الذي كانت فيه تانيا على وشك المغادرة، فقالت باكية: «آه، يا كريسوغونو، أرجوك، لا تدعه يموت.»

فقال لها بابتسامة أدركت انها مغتصبة: «ان جسم أخي قوي الاحتمال، وانا واثق من انه سيجتاز هذه المحنة.»

فهمست بقلب كسير: «ارجو ذلك.»

«كيف حدث الأمر؟»

شعرت بوجهها يحمر وهي تخبره عن الحقيبة، ولكنه أصر عليها بأن لا تلوم نفسها، بقوله: «كان على أليخاندرو ان ينظر امامه حين يسير.» لكنها وهو يقول ذلك، كانت ترى القلق يسود ملامحه.

هتفت فجأة: «مانولو، لقد اخبرني أليخاندرو أن مربيته كانت ذهبت في إجازة لمدة اسبوع، وانه سيذهب من المدرسة مباشرة إلى منزل اصدقاء له، وهم سيحضرونه إلى البيت الساعة السادسة، لا بد ان يكون هناك احد ليخبره عن أبيه ويمكث معه، آه، يا كريسوغونو، ماذا نفعل؟ هل أذهب؟ مانولو يحبني وهو يعرف أننا كنا سنخرج للنزهة هذا النهار معاً... ثم ماذا يمكنني ان اخبر طفلاً في الثامنة؟»

«اظن هذه فكرة حسنة، فانا أحب ان أمضي هنا فترة مع أليخاندرو، إذ قد يستعيد وعيه، ولكنني سأخبر بيتريز عندما أعود إلى البيت ولا شك انها ستأتي لرؤيتك.»

عثر لها على مفتاح البيت في جيب بنطلون أليخاندرو، واستقلت تانيا سيارة أجرة إلى اوروتافا بعد أن دلت السائق أولاً إلى حيث الشقة في سانتا كروز لكي تحضر ملابسها، بينما قال كريسوغونو انه سيحضر سيارة

أليخاندرو فيما بعد، شعرت بالغرابة وهي تدخل المنزل وحدها، حتى انها كادت تشعر بالذنب، وعندما جالت في الغرف، أحست وكأن أليخاندرو معها هناك.

وجدت المطبخ، وكان عبارة عن غرفة فسيحة تبدو كانها قد أعيد تجهيزها حديثاً على طراز عصري، فصنعت لنفسها فنجان شاي، ولكنها قبل أن تأخذ منه رشفة، سمعت صوت مانولو يصيح بابتهاج: «بابا بابا، هل انت هنا؟»

جمد الصبي في مكانه وهو يرى تانيا بدلاً من أبيه، ولكنه عاد فقال وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة: «مرحباً يا تانيا.»

أجابته بهدوء: «مرحباً يا مانولو.»

«هل أبي هنا؟» واخذ ينظر حوله متوقعاً: «آه، أنا آسف، نسيت انك لا تفهمين الاسبانية، أين بابا، ان لديّ اشياء كثيرة أريد ان أخبره بها.»

انحنت مانولو امامه وأمسكت يديه الصغيرتين بين يديها، وهي تتساءل كيف يمكنها ان تخبره عن أبيه، ثم قالت له برقة بالغة: «مانولو، ان أباك ليس هنا مع الأسف، انه... انه في المستشفى.»

اتسعت عينا مانولو محاولاً ان يفهم جيداً ما تقول، ثم شحب وجهه: «بابا في المستشفى؟» وابتدأت الدموع تترقرق في عينيه. «ولكنني أريد بابا، يا تانيا، أريده هنا، يجب ان يأتي إلى البيت أنا أريده.»

احتضنته بين ذراعيها: «هذا غير ممكن، يا حبيبي، انه مريض.»

«ماذا به؟ ان أبي لا يمرض أبداً.»

«لقد وقع، يا مانولو، وقع على الأرض وجرح رأسه، كما تقع أنت احياناً.»

«ولكنني لا اذهب إلى المستشفى.»

«لأن اصاباتك دوماً غير سيئة.»

«وهل اصابة بابا سيئة جداً؟»

«انه نائم حالياً.»

«أريد أن اذهب إليه.»

وكانت دموعه تسيل الآن مدراراً، فأخرجت تانيا منديلاً اخذت تمسح به وجهه، وهي تقول برقة: «ان أباك لن يعرف انك هناك، ربما يمكنك الذهاب غداً، وسيكون هو قد تحسن كثيراً، عند ذاك.»

«هل ستبقين معي هنا، يا تانيا؟» قال ذلك وهو يرفع اليها وجهه الصغير الملطخ بالدموع.

«طبعاً، يا حبيبي، طبعاً سأبقى معك.»

«طوال الليل؟»

«نعم يا مانولو.»

«هل ستنامين معي؟»

لم تكن تانيا واثقة من ان والده سيعجبه ذلك، فقد كان ربى ابنه بشكل جعله أكبر من سنه.

فقالت: «سأنام في الغرفة المجاورة وسنترك الباب بيننا مفتوحاً.»

«والنور مضاء؟»

«المصباح الصغير فقط.»

«كيف وقع بابا؟ ماذا كان يعمل؟»

«لقد تعثر على سطح اليخت، كان قد عاد لتوه، لقد جرح

رأسه.» كان مانولو صبياً عاقلاً فلم تجد مانعاً من أن تخبره بالحقيقة.

«لقد جرحت رأسي مرة، فوضع لي بابا عليه ضماداً، هل رأسه مضمد هو أيضاً؟»

فهزت تانيا رأسها نفياً: «كلا، لا يوجد ضماد على رأسه.»

بدا وكأن هذا الخبر قد طمأن مانولو، لقد كان ظن، كما يبدو ان الأمر ليس سيئاً للغاية ما دام الرأس غير مضمد، ثم قال: «انا جائع، يا تانيا.»

«اخبرني إذن ماذا تريد أن تأكل، فنصنعه معاً.»

وفيما بعد، عندما ذهب مانولو إلى سريره، اتصلت تانيا هاتفياً بشارلين واخبرتها بالسبب الذي منعها من العودة.

فقالت اختها باستياء: «ولكن ليس من شأنك رعاية ابنه، ان لديه أقرباء، فلماذا لا يذهب إليهم؟»

«لأنني أنا أريد ذلك، فهو في المستشفى بسببي، وهذا أقل ما يجب عليه القيام به لأجله.»

«أراك قد جننت.»

«انك لا تشعرين معي.»

«لا تنسي انك مسافرة إلى الوطن يوم الجمعة.»

«لن أنسى، كيف حال جوان؟ لقد رأيته منذ أيام.»

«نعم، لقد اخبرني بذلك، انه بخير، وسأخبره عن ابن عمه، وربما سيرتب مسألة احضار شخص آخر للعناية بمانولو.»

شعرت تانيا وكأنها تريد ان تصرخ، وبعد كلمات قلائل تبادلتها مع أختها، وضعت السماعة، كان عليها ان تعرف ان شارلين لا يمكن ان تفهم.

وإذا ببيتريز تحضر قلقة متلهفة على سلفها وابنه، فقالت وهي تعانق تانيا. «مسكين أليخاندرو.»

«هل ذهبت إليه في المستشفى؟»

«لم اذهب بعد، فقد اخبرني زوجي بكل ما حدث.»

«ألم يستعد أليخاندرو وعيه بعد؟»

«كلا.»

استمرت المرأتان في الحديث والقلق، وسألت بيتريز تانيا عما اذا كانت ستستمر في العناية بمانولو، قائلة: «ان لكل منا أسرة، ويمكنه طبعاً ان يأتي إلى من يريد منا، ولكنه سيبقى قلقاً خوفاً من يأتي والده إلى البيت فلا يجده. وسيكون أسعد حالاً في بيته، ومن سوء الحظ ان مربيته غير موجودة.»

فقالت تانيا: «سأبقى هنا معه ما دامت هناك حاجة إليّ.» انها ستبقى حتى ولو اضطرت لتمديد إجازتها، فهذا كان الرجل الذي تحب، والعناية بابنه هو أقل ما ينبغي عليها تجاهه، خصوصاً وان ما حدث له كان نتيجة غلطة منها.

لم تبارحها هذه الفكرة والتي أرقتها طوال الليل، وعندما سمعت مانولو يناديها، كانت بجانبه على الفور.

كان يحلم، يتقلب في الفراش وينادي والده، فوضعت تانيا يدها على جبينه متمتمة بحنان بالغ تشجعه وتهدئه وتحاول التخفيف عنه، إلى أن سكن أخيراً وانتظمت انفاسه.

أمضت تانيا بقية الليل في غرفته، بعد ان لم تجد فائدة من العودة إلى غرفتها ما دامت لن تستطيع النوم، وكانت الكرسي الجالسة عليها كبيرة ومريحة، وتصورت مانولو

مكور الجسم عليها مع أبيه وهذا يقرأ له قصة قبل النوم، كانت دوماً تأسف لعدم انجابهما، هي وبيتر، اطفال ولو كان لها طفل لرغبت في ان يكون مثل مانولو، مؤدباً وحسن السلوك، تستمتع بأخذه معها إلى أي مكان تذهب إليه.

ولم تنتبه إلى نفسها إلا وضوء النهار يعم المكان ويد مانولو تشدها من ذراعها «انهضي يا تانيا، انهضي، أريد ان أذهب لأرى بابا.»

مضت ثانية أو نحوها قبل ان تدرك تانيا أين هي وماذا حدث، عند ذلك عانقت مانولو بشدة، هذا الصبي الغالي هو ابن الرجل الذي تحب وهو قلق عليه، مثلها هي، فهو شعور يجمعهما معاً في هذه اللحظة.

«أظن والدك يريد منك ان تذهب إلى المدرسة، وعندما تعود سآخذك إليه. هذا وعد مني.»

اخذت الدموع تنهمر على وجنتيه: «لا أريد ان اذهب إلى المدرسة.»

«آه، يا مانولو، انني اعلم انك لا تريد، ولكن علينا ذلك، أرجوك ان تكون رجلاً شجاعاً لأجل والدك.»

دفن وجهه في صدرها فتركته يبكي، وهي تمر بيدها على شعره الأسود الكث كشعر أبيه، وبعد دقيقة أو اكثر، كان قد تمالك نفسه، محاولاً جهده ان يبدو شجاعاً وهو يقول: «اذا كنت ترين ان هذا ما يريدني أبي ان افعل، فسأذهب إذن.»

احتضنته تانيا: «انك ولد شجاع، يا مانولو.»

«وهل ستأخذينني إلى أبي عندما أعود؟»

«نعم، طبعاً، هذا وعد مني.»

«وقت الغداء؟»

فهزت رأسها: «آه، كلا، يحب ان تتغدى وتنام القيلولة أولاً، وسآخذك بعد ذلك.» لقد كان كريسوستوم قد قال لها ان مديرة منزل أليخاندرو ستكون هناك بجانب الصبي. «الآن اظن ان عليك ان تغسل وجهك وترتدي ثيابك اثناء إعدادي لفطورك.»

وجدت ان من عادة مانولو ان يذهب إلى المدرسة مع صديق له يسكن قريباً منهم، وهكذا بعد ان اخذته إلى هناك، وأخبر مانولو والدة صديقه بما حدث لأن المرأة لم تكن تتحدث الانكليزية، استقلت سيارة أجرة وذهبت إلى المستشفى.

أخذت ترجو طوال الطريق أن يكون أليخاندرو قد عاد إلى وعيه، وأسرعت بالسير في ممرات المستشفى دون ان تهتم بالسؤال عما اذا كان هذا مسموحاً، ولم يوقفها أحد على كل حال، وعندما رأت السرير الخالي، تملكها شحوب هائل، ربما هي دخلت غرفة أخرى... لا يمكن ان يكون حدث هذا... لا... لابد ان الأمر خطأ بالغ... آه، كلا.. وخرجت هذه الكلمات من فمها وهي تنوح باكية.

الفصل الحادي عشر

عادت تانيا إلى وعيها لتجد نفسها جالسة على السرير في نفس غرفة أليخاندرو وقد أحاطت بها الممرضات، شهقت قائلة: «أليخاندرو، ماذا حدث له؟» فأخذن يتحدثن اليها بالكلام والإشارات، ولكنها لم تفهم ما كن يردنها ان تفهم، فأخذت تردد: «تكلمن بالانكليزية، الانكيزية، أرجوكن.» ولكن لم تكن بينهن من تفهم لغتها حتى ابتدأ اليأس يتملكها إلى ان مر طبيب، رأى ماهن فيه من فوضى واضطراب، فدخل يسألهن عما حدث، وتملك تانيا الإرتياح إذ وجدته يتكلم الانكليزية فقالت له بلهفة: «أين أليخاندرو فازكي؟ لقد كان الليلة الماضية في هذا السرير.»

وبعد حديث قصير بينه وبين الممرضات، اخبرها أن أليخاندرو قد نقل قبل فترة هذا الصبح إلى مستشفى في سانتا كروز.

تملكها الارتياح على الفور بينما تابع هو يقول: «لقد رتب شقيقه الأمر، ألم يخبرك بذلك؟»

فهزت تانيا رأسها: «كنت خائفة أن يكون أليخاندرو...» وخنقتها غصة في حلقها فلم تستطع اكمال كلامها.

فقال الطبيب بلطف: «سأعطيك عنوان المستشفى، هل هذا الرجل زوجك؟» قال ذلك بعد ان رأى خاتم الزواج في اصبعها.

«كلا، انه... صديق لقد كنت معه لحظة وقوع الحادث.»

«فهمت، هذا هو إذن سر اهتمامك، هل لديك سيارة؟»

«كلا.»

«سأكلف إذن شخصاً بطلب تاكسي لك، تعالي معي.»

وفي المستشفى في سانت كروز، أخذت تانيا إلى غرفة أليخاندرو حيث تملكها حزن بالغ وهي تراه مازال في غيبوبته، وكان ثمة أنابيب واسلاك تسجل عدد انفاسه، لم يكن يبدو شاحباً أو مريضاً أو ما أشبه، بل كان يبدو وكأنه مستغرق في نوم طبيعي، وعندما تركوا تانيا وحدها معه، جلست بجانبه تحدثه: «آه، يا أليخاندرو، متى تعود إلى وعيك؟ انني احبك كثيراً ولا استطيع ان اتصور مكروهاً يحدث لك، كل ذلك بسبب غبائي في نسيان حقيبتي، ولو لم نتشاجر لما حدث لك هذا. لشد ما احبك... آه، يا حبيبي، تكلم... افتح عينيك، أرجوك.» ولكن لم يكن ثمة أي تجاوب... حتى ولا خفقة جفن.

استمرت في الحديث إليه، في إخباره عن أعمق مشاعرها نحوه وهي تحدق في وجهه، متفحصة ملامحه الرائعة. «أحبك يا أليخاندرو، أحبك بكل جوارحي...» وانهمرت دموعها على وجهه، فأخذت تمسحها بأناملها برفق بالغ.

وإذا بحركة خلفها جعلتها تلتفت، لترى بيتريز تقف دامعة العينين، وتساءلت تانيا كم من الوقت مضى على المرأة واقفة هناك، ولكنها لم تشعر بأي حرج.

قالت لها بيتريز: «أراك قد وجدته، لقد اتصلت بك هاتفياً لأخبرك بأنهم نقلوه إلى هنا، ولكن لم يكن هناك جواب، ولم اكن أدري انك ستخرجين باكراً بهذا الشكل.»

«لقد اخذت مانولو إلى منزل صديقه ثم تابعت طريقي إلى

المستشفى مباشرة، أواه... كم تملكني الرعب وظننت الأسوأ عندما رأيت سريره خالياً منه.»

قالت بيتريز وهي تضع يدها على يد تانيا: «آسفة لقلقك ذاك، فقد فكرنا في أن من الأفضل ان يكون قريباً من بيته، ان أليخاندرو سيشفى، وأنا واثقة من ذلك، فهو قوي الجسم وسيصبح بأتم خير، كيف حال مانولو؟»

قالت تانيا باسمة: «أراد الليلة الماضية أن يرى والده، فوعدته بإحضاره ليراه عندما يعود من المدرسة.»

«ماذا قلت له عن أبيه؟»

«اخبرته عن الحادث، ولكنني لم أقل له إلا انه كان نائماً الليلة الماضية، لم أخبره بأنه لم يستيقظ بعد.»

أومأت بيتريز قائلة: «انه شغوف بأليخاندرو، وأنا معجبة للغاية بالطريقة التي تربى بها.»

فوافقتها تانيا على كلامها، قائلة: «نعم، ان طريقة تربيته هي مفخرة لأليخاندرو.»

«نعم، هذا صحيح تماماً.» ونظرت إلى سلفها بمحبة وهي تستمر بقولها: «انني لم اعرف رجلاً مثله يقوم بكل هذا لأجل طفل ليس من دمه.»

نظرت تانيا اليها بحدة: «ماذا تعنين بهذا القول...»

وقطع عليها سؤالها دخول ممرضة مسرعة وخلفها الطبيب، فقالت بيتريز: «الأفضل ان نخرج، كما ان عليّ أنا ان اذهب، فقد جئت لأرى ما اذا كنت عثرت على أليخاندرو، ولأرى طبعاً كيف اصبح، وسأعود فيما بعد، هل ستبقين هنا؟»

«نعم، سأبقى طوال النهار إذا هم سمحوا لي بذلك.»

ولكن هذا لم يكن ممكناً، كما اخبروها فيما بعد، وما

كان لها ان تأتي الآن، وان بإمكانها ان تأتي بعد الظهر، ثم صباح غد.

وفي التاكسي، كانت أفكار تانيا بالغة التشوش والإضطراب، ماذا كانت بيتريز تعني بقولها ان مانولو ليس ابن أليخاندرو؟ وإذا لم يكن ابن أليخاندرو، فابن من هو إذن؟ ربما ابنه بالحضانة، فهل هذا ما كانت بيتريز تعنيه؟ ربما كانت جوانيتا عاقراً لا تنجب، ولكن لماذا لم يخبرها أليخاندرو بذلك؟ ولكن من ناحية أخرى ما الذي يدعوه لكي يخبرها؟ فهو يعتبر مانولو ابنه كما يبدو، فلم يجد سبباً ليخبرها بأنه ليس من دمه.

وفي منزل أليخاندرو، تعرفت تانيا إلى مديرة منزله والتي لم يكن لديها فكرة عما حدث لمخدومها وانه في المستشفى، لقد استغربت، في البداية دخول تانيا إلى البيت، ولكن عندما افهمتها هذه ما حدث، وذلك بالإشارات وكلمات كان تعرفها، حيث ان المرأة لم تكن تتكلم الانكليزية، تقبلت وجودها في البيت، مبدية كدراً بالغاً لما حدث.

كان كريسو غونو قد احضر سيارة أخيه في غيابها، فقررت تانيا ان تستعملها في رواحها ومجيئها إلى المستشفى فقد كانت أجرة التاكسي تبهظ كاهلها. كانت تتمنى ان تتغير حالته، أن يعود وعيه إليه، فكانت تتحدث إليه وتتحدث، ساكبة في ذلك قلبها وروحها... ولكن كل ذلك كان عبثاً.

أتى لزيارته أخوه كريسوغونو وباقي اخوته واخواته، وكلهم واجم حزين، وكانت تانيا واثقة من انهم كانوا يلومونها لما حدث له، فقد كانت اخبرت كريسوغونو بأنه كان تعثر بحقيبتها، وشعرت بأنه لا بد قد أخبر بذلك باقي

www.elromancia.com

افراد الأسرة، ولم تغير مودتهم الظاهرة نحوها شعورها بالذنب.

عندما عاد مانولو من المدرسة، كان أول ما قاله هو أنه يريد ان يزور والده، وتحقيقاً لوعدها، اخذته معها وهي ترجو ان يكون أليخاندرو قد عاد إلى وعيه، ولكن هذا لم يحدث، ووقف مانولو ينظر باهتمام كبير إلى الأجهزة والأنابيب، ولكنه لم يقل شيئاً، ويبدو أنه بدا له من المسلم به أن كل هذا يحدث للمريض الذي يدخل المستشفى.

همس لتانيا قائلاً: «لا يبدو على بابا أنه مريض جداً.»

فقالت: «هذا صحيح، ولكن إصابته في الداخل، وهذا هو السبب في نومه طوال الوقت.»

«ألا يشعر بالألم اثناء نومه؟»

«كلا، فهو لا يشعر بشيء يا مانولو، ولكن بإمكانك ان تتحدث إليه فقد يسمعك.»

سألها وقد اتسعت عيناه: «هل ذلك شبيه بما يحدث في الحلم؟»

فأومأت إيجاباً.

فعاد يقول: «لقد حلمت بأبي الليلة الماضية.»

«أعلم ذلك، فقد سمعتك.»

«لقد صرخت وكنت خائفاً جداً، كنت ظننت ان أبي سيموت.»

ضمته تانيا اليها قائلة: «كلا، يا مانولو، إن والدك سيشفى، قل له الآن ان يشفى، قل له انك تريده ان يعود إلى البيت.»

أمضيا في المستشفى ساعة، ولاحظت في نهايتها ان

الملل ابتدأ يظهر على مانولو ثم جاءت بيتريز وزوجها مرة أخرى مع ولديهما فبدا سعيداً بالحديث مع من هم في سنّه، فركض خارجاً من الغرفة معهما، قالت تانيا لكريسو غونو: «كم من الوقت تتوقع ان يبقى هكذا؟»

فهز كريسوغونو رأسه بحزن: «لا أدري ولا الأطباء يعلمون، علينا ان نلوذ بالصبر.»

لكن الصبر كان أثقل شيء على نفس تانيا، لقد رقدت طوال الليل، ولكن هذا كان نتيجة حاجة جسمها إلى النوم فقط، وعند الصباح أسرعت إلى المستشفى وبعد الظهر عادت مرة أخرى مع مانولو، وأخذت تانيا تفكر بقلق فيما إذا كان لنوم أبيه المستمر تأثير على ذهنية الصبي، كان لا ينفك عن السؤال، لماذا لا يستيقظ أبي؟ فكانت تانيا تجيبه: «هذا بسبب مرضه، ولكنه يستطيع ان يسمعنا.»

فقال: «يمكنني ان اغني له، ان بابا دوماً يحب غنائي.»

قالت على الفور: «هذه فكرة رائعة، وأنا أيضاً أحب ان اسمع غناءك.»

وهكذا، أخذ مانولو يغني بصوت مرتفع صافٍ دون خجل، ولم تفهم تانيا معنى كلمات الاغنية لأنها كانت بلغته، ولكن لهجتها كانت مرحة للغاية، وبينما كانت تراقب ملامح أليخاندرو، خيل اليها انها ترى اجفانه تخفق، وكذلك حركة ضئيلة في اصابعه، ويبدو ان مانولو لاحظ ذلك، لأنه سكت عن الغناء لحظة، ثم عاد يغني بحماسة اكبر، وهذه المرة أبدى أليخاندرو علامات مؤكدة على سماعه صوت ابنه.

لم يفتح عينيه نهائياً إلا بعد جهد كبير، وكأنما كانت اجفانه ملصقة بالغراء. «بابا، بابا» وألقى مانولو بنفسه

www.elromancia.com

على أبيه قبل ان تتمكن تانيا من منعه، بينما امتدت ذراعا أليخاندرو تطوقانه.

إغرورقت عينا تانيا بالدموع، وتساءلت عما اذا ينبغي عليها الخروج من الغرفة فان أليخاندرو لن يقبل بوجودها هنا بعد تلك المشاجرة التي كانت حدثت بينهما، ولا شك انها آخر شخص يرغب بالتحدث اليه.

لكن عيني أليخاندرو كانتا قد وقعتا عليها، لقد قطب جبينه في البداية وكأنه يحاول ان يتذكر ما جرى، ثم ما لبث ان ترك ابنه ومد يده إلى تانيا قائلاً بضعف: «تعالي إلى هنا.»

لكن ممرضة دخلت في هذه اللحظة تجري له بعض الفحوصات المعتادة، وعندما رأته واعياً اطلقت صرخة ابتهاج: «هذا حسن، هذا حسن، سأحضر الطبيب.»

عند ذلك بقيت تانيا بعيدة عنه لاحتمال حضور الطبيب، ولكنها دهشت وهي ترى اليخاندرو يقول لها بصوت أقوى: «تعالي إلى هنا يا تانيا.»

جاءت لتقف قرب مانولو وهي تبتسم بضعف، وهكذا احاطهما هو بذراعه عدة لحظات بشكل مؤثر، ما جعلها تظن انه ربما لم يتذكر بعد ما كان بينهما، وعندما دخل الطبيب مع الممرضة، طلبت هذه منهما الخروج من الغرفة، ليجرى له المزيد من الفحوصات والاختبارات إلى ان أعلن الطبيب في النهاية ان أليخاندرو قد تعافى. «ولكننا سنبقيه في المستشفى عدة ايام أخرى تحت الملاحظة.» كما قال الطبيب لها.

بعد ذلك جاء شقيقه وزوجته بيتريز وولديهما بينما غادرت تانيا المستشفى شاعرة بأنها تضيق الغرفة عليهم، بينما وعدتها بيتريز بإعادة مانولو إلى البيت بعد ذلك معهم.

كان الغد هو موعد عودتها إلى انكلترا، وفي ذلك المساء اتصلت شارلين بها هاتفياً، وعلى الفور قالت لها تانيا: «انني لن اسافر قبل ان يخرج أليخاندرو في المستشفى، ان مانولو بحاجة إليّ، وقد سبق لي ان الغيت الحجز.»

«انك مجنونة، ماذا لو فقدت وظيفتك؟»

«كلا، لن افقدها، فقد اتصلت بجون دريك هاتفياً وشرحت له الأمر، فكان متفهماً تماماً.»

أخذت شارلين تتمتم متذمرة، ولكن تانيا لم تغير رأيها، وفي سريرها تلك الليلة، اخذت تتساءل عما إذا كانت أخطأت في تصرفها، لم تكن سنحت لها فرصة تخبر فيها أليخاندرو انها كانت ترعى ابنه ولكنها لم تشك في ان بيتريز لا بد اخبرته بذلك، هل يقدر لها هذا، ام انه سيغضب قائلاً انها تدسّ انفها في ما لا يعنيها؟ ولأنها لم تكن واثقة من ترحيبه بزيارتها فقد أوشكت على عدم الذهاب في صباح اليوم التالي إلى أن طلب منها مانولو ان تخبر أباه أنه سيزوره بعد المدرسة، عند ذلك أدركت ان عليها ان تذهب، لأجل ابنه. كان مانولو قد تعلق بها في الأيام الأخيرة، فقد ربطت بينهما علاقة تعاطف سيكون من الصعب فصمها، وتمنت ان لا يحزن الصبي لأجلها عندما تعود إلى انكلترا، لكنها هي ستحزن دون شك، فتركها أليخاندرو سيكون ليس صعباً فقط بل مدمراً، وسيكون من الصعب جداً عليها ان تتابع حياتها وكأنه لا وجود له، لقد كانت هذه فترة أخرى من حياتها مليئة بالبهجة والإثارة اثناء حدوثها، ولكن مصيرها هو الفشل في النهاية.

عندما وصلت إلى المستشفى، كان أليخاندرو جالساً

على كرسي قرب نافذة عريضة مفتوحة، مرتدياً بيجاما ذات لون أزرق قاتم، وعندما سمع وقع خطواتها التفت، فحبست انفاسها، متسائلة عن نوع الاستقبال الذي ستجده منه، كان بحاجة إلى حلاقة لحيته، فبعد ثلاثة ايام من نموها ألقت ظلاً معتماً على ذقنه، وكانت في الواقع تلائمه، ولو كانت له لحية لبدا غاية في الوسامة، وان كان هذا لا يعني انه ليس وسيماً الآن، فقد جذبتها سمرته منذ البداية، منذ اليوم الذي كانت رأته فيه في حفلة زواج صديقتها، عند ذلك خفق له قلبها، وها هو ذا الآن يخفق بنفس الطريقة.

«تانيا.» هتف باسمها مرحباً ولكن بابتسامة هادئة.

«مرحباً في أليخاندرو، كيف حالك؟» وتقدمت نحوه ولكنها لم تقترب منه كثيراً.

فقال متنمراً: «انني أتلهف إلى الخروج من هنا، ولا أدري لماذا لا يسمحون لي بالخروج الآن، فصحتي جيدة تماماً.»

«انهم يريدون ان يتأكدوا مما إذا كان هناك تأثيرات متأخرة، انهم لم يغفلوا شيئاً، لقد كان سقوطك هو ذنبي انا، فلو لم انس حقيبتي على الأرض لما تعثرت انت بها، انني آسفة.»

«ما هذا؟ إياك ان تعتذري، لقد كان عليّ أنا أن أرى موضع قدميّ، وقد كنت بالغ الغضب منك، ولكنني فكرت كثيراً منذ ان استعدت وعيي، لقد كنت مخطئاً إذ غضبت لمجرد انك قلت كلا، هل لك ان تصفحي عني؟»

أجفلت تانيا لاعتذاره هذا، ولكنها كانت مسرورة: «لقد كنت صفحت عنك فعلاً، وقد فكرت كثيراً، أنا أيضاً، يا أليخاندرو.»

قال: «مالا استطيع ان افهمه، يا تانيا، هو اننا منذ

اسبوعين قد تقاربنا تماماً من بعضنا البعض، ولكنك الآن تبتعدين عني، لماذا؟»

تنفست تانيا بعمق ثم قالت وهي تتجنب النظر إليه: «كانت تلك غلطة مني.»

فقال عابساً: «غلطة؟ ولكننا كنا متعاطفين تماماً وكنت انت مسرورة تماماً.»

قالت بابتسامة أسف: «نعم، كنت مسرورة، ولكن هذا لن يتكرر.»

نظرت اليها متأملاً: «أبداً؟»

فتنهدت تانيا: «ربما أغير رأيي اذا كانت الظروف ملائمة.»

«وما هي تلك الظروف؟» نهض عن كرسيه بشيء من المشقة ثم جاء ليقف بجانبها.

أغمضت عينيها وهمست تقول: «حب متبادل، ان الحب من جانب واحد هو أسوأ من انعدام الحب على الاطلاق.»

ودهشت عندما قال: «أوافقك على هذا، فحب الشخص لمن لا يحبه هو عذاب بالغ.»

نظرت تانيا اليه ذاهلة، إذن فهو يعلم، آه، انه يعلم، أترى بيتريز اخبرته بحبها الفاشل له؟ أم انه تكهن بذلك؟ اتراها فضحت سرها؟ عليها ان تغير الموضوع الآن بسرعة قبل ان يصبح محرجاً لها، وإذ أرادت ان تبتعد عنه، تظاهرت، بشم ورود كانت على المنضدة بجانب سريره، أزهار إلى رجل! لم تعرف من ذا الذي ارسلها، ولكن بإمكانها ان تتكهن بأنها إينوسنت، وتشنجت أصابعها.

وكأنما تعب هو من الحديث عن شؤونهما، فقال بخشونة: «أريد ان اشكرك لرعايتك مانولو، لقد كانت

الأمور مشوشة قليلاً في ذهني، ولكن أليس هذا اليوم موعد رحيلك إلى الوطن؟»

فقالت: «لقد ألغيته، انني سأذهب عندما تتماثل انت للصحة، لقد طلب مني مانولو ان اخبرك بأنه سيأتي لزيارتك بعد عودته من المدرسة، كان يتحدث اليك كل يوم، يغني، يدعو لك بالشفاء، انه شغوف بك، لماذا لم تخبرني بأنه ليس ابنك؟»

نظر إليها أليخاندرو بحدة، وكأنما كانت معرفتها بالأمر مفاجأة، اثقل مما يحتمل فقال وهو يعود إلى الجلوس: «من اخبرك بهذا؟»

«كانت زلة لسان من بيتريز، وكانت تمدحك لهذا، انه مفخرة لك حقاً، يا أليخاندرو، هل حضنته؟»

سألته ذلك وهي تجلس على حافة السرير، ثم تتابع قائلة: «اظن ان جوانيتا لم تستطع الإنجاب.»

فأومأ وهو يتنهد: «هذا صحيح، وهي قصة غريبة.»

«إذا كنت لا ترغب في الحديث...» ونهضت لتخرج.

ولكنه منعها من ذلك بإشارة من يده: «أريدك ان تعلمي... هذا اذا كنت تريدين حقاً ان تسمعي القصة.»

فهمست تقول: «نعم، أريد ذلك.» فقد كانت تريد ان تعرف كل ما يتعلق بهذا الرجل.

«ابتدأ كل شيء منذ ان كتبت إلى جوانيتا اخبرها فيها بأنني وقعت في غرامك.»

أتراه حقاً كتب إلى جوانيتا بأنه يحبها؟ لم تستطع تانيا ان تصدّق ذلك.

«لقد كان حزنها واكتئابها بالغين لأنها كانت دوماً تظن اننا ستتزوج يوماً ما، آه، لقد كنا تحدثنا عن ذلك عندما كنا

صغيرين، وانا اعترف بذلك، ولكنني عندما كبرت، تغيرت مشاعري، وكنت اظنني أوضحت لها ذلك تماماً، ولكن يبدو ان هذا لم يكن صحيحاً، لأن نتيجة ما كتبته لها كان ان حاولت الانتحار عند ذهابي، وكان إنقاذها بمثابة معجزة.»

«وهكذا تزوجتها لهذا السبب؟»

فأومأ بالايجاب.

أخذت تانيا تفكر في انه لم يضيّع وقته حقاً، فقد اغتنم أول مشاجرة حدثت بينهما، ليذهب ويتزوج حبيبة صباه.

«وبعد الزواج، عرفنا ان محاولتها الانتحار خلفت في جسمها إعاقة تمنعها من الحمل، وإذ كانت متلهفة إلى ان يكون لها طفل، فقد أخذت ترجوني ان نربي واحداً، فلم أمانع إذ شعرت بأنني مسؤول عن اعاقتها تلك.»

«وعندما ماتت، اخذت انت تربي مانولو وكأنه ابنك حقاً؟»

«هذا صحيح، وقد ازداد حبنا، انا ومانولو لبعضنا البعض، مع مرور السنوات.»

«هل يناديك بابا على الدوام؟»

«نعم.»

«هل يعلم بالحقيقة؟»

«كلا، ولكنني أتوقع ان اخبره بها يوماً ما.»

«لا بد ان موت جوانيتا كان حدثاً مفجعاً بالنسبة إليك؟»

«كانت جوانيتا صديقة عزيزة عليّ جداً.»

«اما زلت تدعي انك لم تكن تحبها؟»

فرفع حاجبيه: «انها الحقيقة، يا تانيا.»

نظرت إليه بارتباك: «وهل فعلت ذلك... تزوجت من امرأة لا تحبها لمجرد شعورك بالمسؤولية نحوها؟»

«وأكثر من ذلك، فقد منحتها كتفاً ترتاح عليه، وصديقاً عند الحاجة، ورفيقاً في الحياة.»

تمنت تانيا لو تستطيع ان تصدقه. «ولكنها ظلت تحبك؟»

فتنهد قائلاً: «اظن ذلك.»

«وأنت الآن تربي مانولو بذلك الشكل المثالي؟ هل يعلم الجميع ان مانولو ليس ابنكما؟»

أجابها: «لا احد يعرف سوى بيتريز لأنها كانت صديقتها الحميمة، فقد سافرنا إلى بلد بعيد حيث احضرنا مانولو وعدنا به بصفته طفلنا، وقد كنت طلبت من بيتريز ان لا تخبر احداً.»

فقالت تانيا على الفور: «عليك ان لا تلومها، فقد كانت مكتئبة فتحدثت دون تفكير، وقد تكون ظنت انك لا بد اخبرتني بالأمر، انك شخص رائع، يا أليخاندرو، وأنت في الحقيقة تحيرني.»

«لقد فعلت ما أريده، فأنا احب مانولو كما لو انه ولدي، وفي الواقع أنا أعتبره إبني.»

«وهو صبي ممتاز بكل تاكيد.»

«هل انسجمتما معاً؟»

فأومأت ايجاباً: «يبدو أنه قد اعتاد عليّ، وأرجو ان لا تظنني كنت وقحة للغاية بإقامتي في منزلك، واظن ان كريسوغونو رأى ذلك أنسب.»

«انني مسرور لما فعلت، فأنا أحب ان أتصورك في بيتي، هل أعجبك النوم فيه.»

قالت وقد أخذ قلبها يخفق: «نعم.»

نظر اليها متأملاً وقد ضاقت عيناه: «هل فكرت بي قليلاً.»

«اكثر من القليل، كنت قلقة عليك إلى حد مخيف.»

لم يكن هذا هو الجواب الذي يريده، وبدا ذلك في عينيه.

«هل كنت قلقة لأنك ظننت ان الذنب في الحادث الذي وقع لي هو ذنبك، أم ان هناك سبب آخر؟»

أغمضت تانيا عينيها، أترى بيتريز قد اخبرته بما كانت سمعته منها؟ هل تعلن حبها له ولو كلفها ذلك ازدراء لها؟

كان هو قد نهض دون أن تنتبه ووقف امامها: «تانيا، أريد ان اعلم ما هو شعورك الحقيقي نحوي.»

فقالت بصوت أبح: «ما زال شعوري نحوك هو نفسه منذ اللحظة التي عرفتك فيها.»

سمعته يجذب نفساً سريعاً ثم يقول: «إذن، فهو لم يكن قط اكثر من مجرد انجذاب جسدي، كما تقولين على الدوام، وانت الآن تكبحين هذا الانجذاب لأن ضميرك يخبرك بأن هذا خطأ.»

فرفعت رأسها باستنكار سريع: «كلا.»

فقطب جبينه: «كلا؟ ما هو شعورك إذن؟»

فصرخت: «تباً لك يا أليخاندرو، لماذا تعرضني لكل هذه المعاناة؟ ما الفائدة مادمنا نحن الاثنان نعرف ما هو شعورك نحوي؟»

قال بهدوء: «عندما يحب رجل امرأة بقدر ما أحبك أنا، فهو يريد ان يعرف مكانته من قلبها.»

نظرت إليه فاغرة الفم ذهولاً، انها لم تسمعه جيداً... لا يمكن ذلك، فاليخاندرو لم يحبها، انه لم يرغب منها باكثر من مجرد علاقة عابرة، كان هذا كل ما أراده منها. «تبدو الدهشة عليك.»

«لا تعبث بمشاعري، يا أليخاندرو.»

www.elromancia.com

«لا يمكنني هذا أبداً، يا عزيزتي، ترين انني مثلك، لم تتغير مشاعري قط، لقد كنت ارجو يا حبيبتي، ان تحبيني انت أيضاً، يوماً ما، وقد احزنني ان أرى ان هذا لن يحدث أبداً.»

شعرت تانيا ببهجة عارمة تشمل كيانها بأجمعه، أليخاندرو يحبها! لقد حدث المستحيل... فلو كان ما قاله صحيحاً، وهو انه كان يحبها طوال تلك السنوات، فلماذا إذن لم يقل ذلك قط؟ لماذا جعلها تعتقد ان مشاعره لم تتجاوز التجاذب العادي البسيط؟

قالت له بصوت منخفض رقيق لم يكد يسمعه: «لم أكن اعلم انك تحبني.»

«تانيا، تانيا، كيف يمكن هذا أن يكون؟ ألم تعرفي ذلك من تصرفاتي؟ من حاجتي اليك؟ من كل كلمة قلتها لك، انني أحبك؟»

فقالت تعاتبه: «لم تفصح عن هذا بالكلمات قط.»

«وهل كان عليّ ذلك لكي تعلمي، يا فتاتي الحلوة؟ هل تريدين ان تقولي انك لم تعرفي ذلك على الاطلاق؟» فأومأت إيجاباً.

«ولكن، كما سبق وقلت منذ فترة، ان الحب من جانب واحد هو أسوأ من عدم الحب على الاطلاق.»

بإمكانها ان تخبره الآن، بإمكانها الآن ان تفتح له قلبها دون خوف من ان تحقر نفسها امامه، فنظرت إليه بعينين متألقتين وكل كيانها يغني: «أليخاندرو، انه ليس حباً من جانب واحد.»

فجأة جمد في مكانه، ونظر اليها بعجب في البداية ثم بعدم تصديق.

«أنا أيضاً أحبك، يا أليخاندرو.»

فقطب حاجبيه: «أترى هذا قرار مفاجيء؟»

«آه، كلا بالطبع، لقد أحببتك على الدوام، منذ أول لحظة التقينا فيها.»

فقال ببطء: «أريد ان اصدقك. أريد ان اصدقك بكل لهفة، ولكن كيف يكون هذا وأنت قد أدرت لي ظهرك منذ تسع سنوات، يوم تواريت من حياتي وكأنك اختفيت من على سطح الأرض؟ كلا يا تانيا، لا يمكنني ان اصدقك.»

نهض فجأة وسار نحو النافذة ينظر منها إلى الحديقة. تملك تانيا ارتباك مفاجيء، كيف لا يصدقها؟ وماذا تفعل لكي تبرهن له على ذلك؟ لقد قبلت كلمته، فلماذا لا يقبل هو كلمتها؟ فسارت نحوه ولمست كتفه، فشعرت بالدهشة للتوتر الذي أحسته: «أليخاندرو، انها الحقيقة، أنا أحبك، أرجوك، يجب ان تصدقني.»

التفت إليها بعينين جامدتين، وكأنه وضع قناعاً على مشاعره. «انني آسف، فأنا لا استطيع ان اصدقك، انك تظنين خطأ ان الجاذبية الجسدية هي حب، وهذا كل شيء، وهذا هو كل ما كان.»

«كلا، يا أليخاندرو، كلا، فأنا أحبك، أحبك.»

«اظن ان عليك ان تذهبي.» كان صوته ميتاً لا حياة فيه، ولم تصدق انه يفعل بها هذا.

«ولكن يا أليخاندرو...» وتلاشى صوتها حين دخلت ممرضة إلى الغرفة يتبعها الطبيب في جولته اليومية على المرضى، وذلك في هذه اللحظة غير المناسبة، وهكذا ألقت عليه نظرة توسل أخيرة، ولكنه لم يلق عليها نظرة أخرى.

وقفت في الخارج عدة دقائق طويلة، محاولة ان تقرر ما إذا كان الأفضل ان تنتظر أم تترك المستشفى نهائياً، ما الفائدة من الإصرار على اعلان حبها له بينما هو قد سبق واتخذ قراره؟ اخذت تهز رأسها، ان تصرفاته غير واقعية، فقد كانت تظن انه حين يكتشف ان حبهما متبادل، سيمتلىء سروراً، ولكن لماذا بالضبط، لم يصدقها؟

لأنها كانت هجرته، كما قاله، كان الأمر مهزلة منذ البداية، فقد كان هو الذي ترك انكلترا، إنه خرج عن عقله... نعم، فقد أضر به ذلك الحادث في رأسه أكثر مما يظنه الآخرون، انها ستذهب، إذ لا فائدة من متابعة نقاشهما إزاء عناده هذا، فهي ستمنحه وقتاً يفكر فيه آملة أن يصدق في النهاية أنها قالت له الحقيقة، يا للغرابة، لقد اعترفا هما الاثنين، بحبهما، ومع ذلك مازالت بعيدة نائية عنه كما كانت على الدوام.

الفصل الثاني عشر

عندما عاد مانولو من المدرسة كان متلهفاً إلى رؤية والده، ولكن تانيا أصرّت عليه ان يأكل أولاً، فهذا كما عرفت من مديرة منزل أليخاندرو، كان نظامه المعتاد، ولكنها كانت تجاوزت عن هذا أثناء وجود والده في المستشفى، فكانت تعطيه قطعة فاكهة تجعله يحتمل الجوع إلى ان يتناول الطعام بعد عودته إلى البيت.

لكنها اليوم أرادت ان تؤجل لحظة عودتها إلى المستشفى... ليس لأنه سيكون لديها وقت للحديث معه... فمانولو كان يحتكر أباه لنفسه على الدوام، وعادة كان يحضر بعض أفراد الأسرة لزيارته أيضاً، وعموماً كانت تجلس مع أليخاندرو وحدهما عند الصباح فقط.

لكن خطتها لم تنجح في الحقيقة، لأن مانولو التهم شطيرته وعصير البرتقال، ثم اعلن انه جاهز وذلك خلال ثلاث دقائق، وكانا في المستشفى في الوقت المعتاد. وشعرت تانيا بالارتياح وهي ترى بيتريز هناك مرحبة بها بحرارة دون ان تلاحظ، كما يبدو، التوتر الذي كان بينها وبين أليخاندرو.

عندما انتهى وقت الزيارة في السابعة، كانت تانيا مازالت لم تتحدث إليه على انفراد، وعندما تركها هو تذهب بابتسامة باهتة، لم تعرف تانيا ما اذا كان سيستقبلها مرة أخرى بالترحاب.

www.elromancia.com

وفي الخارج أخذت بيتريز تتكلم معها بهدوء: «خيّل إليّ وكأن أليخاندرو مغلوب على أمره، اتعلمين السبب؟»

فقالت تانيا كاذبة: «لم ألاحظ ذلك.»

«أرجو ألا يكون يتألم بصمت، أرجو ألا يكون هناك ما يعاني منه ولا يريد ان يخبرنا عنه.»

أجابت تانيا: «لا اظن ذلك.»

«أرجوك أن تسأليه عن ذلك عندما ترينه غداً، انني أعلم بأنه لا يخفي عنك شيئاً.»

فقالت تانيا عابسة: «انه لا يخبرني بكل شيء يا بيتريز.»

«عليك إذن ان تلحي عليه بالسؤال، فإذا لم تنجحي فسأتحدث إلى الطبيب.»

أمضت تانيا ليلة جافاها فيها النوم تقريباً، كان من المستحيل ان تصدق انها بعد ان تأكدت من حب أليخاندرو لها، وجدته لا يصدق انها تحبه، لا بد ان هناك طريقة تجعله يرى الحقيقة، ولكن كيف ما دامت الكلمات وحدها لم تكن كافية؟

عندما استيقظت في الصباح التالي، لم تكن وصلت إلى حل، وعندما أخذت مانولو إلى منزل صديقه، لم تكن قد قررت بعد ما إذا كان عليها ان تذهب إلى المستشفى أم لا، فعادت إلى البيت، وعندما جاءت سيسيليا كانت هي ماتزال تقلب الأمر في ذهنها، وبدا السرور على المرأة وهي تراها مازالت هناك، فوضعت في يدها بعناية طرداً ملفوفاً باحكام وهي تقول: «أليخاندرو، أعطيه له.»

ومن هنا جاء قرارها بالذهاب، دخلت تانيا إلى غرفة أليخاندرو وقد تملكها مزيج من الخوف والتوتر، كان يبدو

شاحباً... لم يكن صحيحاً، مثله أمس، رغم ان وجهه كان حليقاً كما كان مرتدياً بيجاما نظيفة.

حياها بالأسبانية: «صباح الخير، يا تانيا.» وكانت تحية مقتضبة دون اهتمام تقريباً.

أجابت بهدوء: «صباح الخير.»

وابتلعت ريقها شاعرة بغصة في حلقها، لقد كانت تحب هذا الرجل، تحبه إلى درجة كانت معاملته لها بهذا الجفاء تكاد تقتلها، كيف بإمكانه ان يفعل هذا بينما سبق واعترف بأنه يحبها؟

«مديرة منزلك أرسلت اليك هذا.» وناولته الطرد والذي كان واضحاً أنه كتاب.

«شكراً.» ووضعه على عتبة النافذة لكي يفتحه فيما بعد، وعندما لم يقل شيئاً آخر، استدارت تانيا لتغادر الغرفة وكانت قد وصلت إلى عتبة الباب عندما تكلم قائلاً: «يقول الطبيب ان بإمكاني الخروج من المستشفى غداً.»

شعرت على الفور وكأن ثقلاً استقر في قلبها، فهو عندما يصبح في بيته لن يعود بحاجة إليها، وسيكون في ذلك النهاية لأنها ستذهب إلى انكلترا ولن ترى أليخاندرو بعد ذلك أبداً، واغرورقت عيناها بالدموع، فحاولت ان تغالبها وهي تقول: «هذا خبر حسن.» ما هذا؟ أهذا الصوت الضعيف المرتجف هو صوتها حقاً؟

«لا يبدو عليك الابتهاج لهذا الخبر، ظننت انك ستسرين لسماعه، إذ يمكنك ان تذهبي إلى بلدك الآن دون الحاجة إلى المزيد من الإدعاء.»

فسألته ذاهلة: «ادعاء؟ ان حبي لك ليس ادعاءً، يا

أليخاندرو، ولا هو جسدي فقط، ولا أدري كيف تظن ذلك.»

«اظن انك ربما لا تعلمين بأنك مدّعية، اظنك مخدوعة بمشاعرك، اظنك تظنين الرغبة هي مشاعر الحب الحقيقي.»

فحملقت تانيا فيه ثائرة: «تباً لك، يا أليخاندرو.» لا بد انه خرج عن عقله، لا بد ان الحادث قد ترك أثراً على دماغه، ولكن إذا كان يريد ان يتلاعب بمشاعرها فهي لن تتوسل إليه وتتضرع، انها ستحزم أمتعتها وترحل في اللحظة التي يخرج بها من المستشفى، واذا كان يحبها حقاً، فسيلحق بها، أما إذا لم يفعل... ولم تجرؤ على التفكير في ذلك.

استدارت على عقبيها دون ان تقول شيئاً آخر، راجية بأن يناديها لتعود وهي تجتاز الممر، ولكن رجاءها لم يتحقق.

لم تذهب إلى المنزل مباشرة، وإنما ذهبت إلى المرفأ حيث وقفت تنظر إلى السفن مقبلة غادية، وعندما عادت أخيراً إلى المنزل وجدت ان سيسيليا قد ذهبت، فصعدت إلى غرفتها لتحزم حقيبتها، انها ستبيت هنا ليلة أخرى، وفي اللحظة التي يضع فيها قدمه في المنزل غداً، سترحل هي، فإذا كان لا يصدقها فهو لا يستحق حبها إذن.

جلست في الفناء خارجاً، تعيسة شاعرة بالوحشة والهجران، وهي تستمع إلى شدو الطيور، متأملة في أشجار النخيل الساحقة.

كانت عادة تحب السكون والصفاء، ولكنها هذا النهار كانت من الإضطراب بحيث لم تكن تشعر بسوى التعاسة.

كم كان ستسعد هنا مع أليخاندرو وأولادها منه ومعهم مانولو... وها هي ذي الآن تدرك ان كل ذلك لم يكن سوى أفكار وتخيلات، لم يكن مقدّراً لها ولاليخاندرو أن يعيشا معاً.

كان نهاراً طويلاً، وعندما عاد مانولو لخبرته بأنها موعوكة الصحة ولا تستطيع أخذه إلى المستشفى.

فقال محتجاً: «ولكنني أريد ان أرى بابا.»

فقالت له: «ان والدك سيأتي غداً إلى البيت.»

«أحقاً؟»

فأومأت برأسها، وعند ذلك ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه الصبي: «أنا سعيد جداً، لقد اشتقت إلى أبي.»

رأت ان حب هذا الصبي للرجل الذي أنشأه كابنه، كان حبه لا شك فيه، وكذلك حب أليخاندرو لمانولو، ان في ناحية منه مزايا حسنة رغم انها تجد صعوبة في العثور على تلك المزايا، احياناً.

أخذت تتساءل عما عسى ان تفكر إينوسنت في كل هذا، وما إذا كانت تريد الزواج من أليخاندرو متقبلة مانولو أيضاً، وما هو رأي مانولو في إينوسنت، كان هذا ممكناً تماماً، فهو مع أنه اعترف بأنه كان يحبها، قد تزوج جوانيتا، فلماذا لا يفعل ذلك مرة أخرى؟ آه، شد ما تعذبها هذه الأفكار.

لم يكن غريباً أن تقضي تانيا ليلة هائلة، كانت اثناءها تتقلب باكية وقد تملكها القلق والتعاسة واليأس، بينما تحاول ان تقنع نفسها بأن لا تكون غبية، ثم تنهض وتأخذ في السير في أنحاء الغرفة، ثم تصنع لنفسها شراباً ساخناً تعود بعده إلى الفراش، ولكنها تبقى دون نوم، وهي تتمتم، تباً لاليخاندرو تباً له من رجل، انه لا يستحق الحب، وهو لا يستحق كل هذا العذاب لأجله.

تغلب عليها النوم حال بزوغ الفجر، وأيقظها مانولو وهو يقفز على سريرها: «استيقظي يا تانيا، استيقظي، في أي ساعة سيأتي بابا؟ ليس عليّ ان أذهب إلى المدرسة هذا النهار، أليس

كذلك؟» كان من السعادة والابتهاج بحيث لم يطاوع تانيا قلبها ان تقول له بل عليه ان يذهب إلى المدرسة، فقالت له: «طبعاً ليس عليك ان تذهب يا حبيبي.» على كل حال ربما من الأفضل ان يكون مانولو موجوداً، فهي ستتمكن من الهرب عندما يكون الاثنان مشغولين بتبادل التحية والعناق، وحتماً لن يترك مانولو أباه وحده، وكذلك سيكون أليخاندرو مسروراً برؤية ابنه.

انتظرا طوال النهار، جاءت سيسيليا وذهبت، وابتدأ القلق يستولي على مانولو: «أريد بابا، لماذا لم يأت، يا تانيا؟ أتراه أصيب بالمرض مرة أخرى؟»

كانت تانيا قلقة هي أيضاً، ولكنها حاولت ان لا تظهر ذلك: «انه طبعاً لم يمرض مرة أخرى، واظنه ينتظر الطبيب ليمنحه أذناً بالخروج، والأطباء دوماً مشغولون جداً، فلديهم كثير من المرضى عليهم ان يفحصوهم.»

أخذ مانولو ينشج باكياً وهو يقول: «أريد ان اذهب إليه.»

فأخذته تانيا بين ذراعيها: «انه سيكون هنا الآن في أية لحظة، أؤكد لك هذا.» وأخذت تلاطفه وكأنه طفلها، متمتمة له بكلمات حلوة تخفف عنه، وإذ استلقيا متعانقين في زاوية من الأريكة، استسلم الاثنان للنوم.

«بابا، بابا.»

ايقظت صيحة مانولو تانيا، وهو يركض ليلقي بنفسه بين ذراعي أليخاندرو كم كانت تتمنى لو ان بإمكانها ان ترحب بأليخاندرو بمثل هذه اللهفة والشوق هي أيضاً، وبكل هذه الحرارة، والحب... حتى انها شعرت تقريباً بالغيرة من مانولو، وها هوذا وقت رحيلها قد حان، فيالها من لوعة لفراقه لن تشعر بمثلها قط في حياتها.

انسلت خارجة من الغرفة بهدوء، دون ان يراها أي منهما وهي تخرج، وفي الطابق الأعلى حملت حقيبتها، وألقت نظرة أخيرة حولها، لقد اعتادت على هذا المنزل وأحبته، وكانت تتمنى ان تعيش في هذا المنزل بسعادة، فتعتني به مع أليخاندرو، ما اكثر ما كانت تفكر في ذلك، بانية قصوراً من الآمال لم يلبث ان هدمها هو إلى الحضيض كورقة شجر في مهب العاصفة، محطماً قلبها دون رحمة.

عندما استدارت اخيراً لتخرج، كان هو واقفاً عند عتبة الباب، فسألها بخشونة: «ماذا تفعلين؟»

فردت عليه بحدة: «وماذا تراني أفعل؟ انني راحلة، لم يعد لي مكان هنا بعد الآن.» ولم تدرك مبلغ اليأس الذي كان يغلف كلماتها.

«لا أريد ان تذهبي؟»

نظرت تانيا إلى وجه أليخاندرو بدهشة، كان جاداً للغاية، فلا أثر من ابتسامة، لا كلمات مثل، انا اخطأت يا تانيا، فأنا اعلم انك تحبينني، وأنا أريد ان نبقى معاً على الدوام... لم يقل شيئاً كهذا، ولكنه مع ذلك كان جاداً في كلامه.

قالت له بصوت غير مسموع: «لماذا؟»

«لأنني... لأنني... بحاجة إليك.»

«هل انت مستعد أن تبقيني عندك رغم انك تظنني لا أحبك؟»

فبرز مانولو من وراء أبيه وهو يقول: «نحن الاثنان نريدك ان تبقي معنا.» وفجأة أدركت تانيا السبب في طلب أليخاندرو منها هذا، كان ذلك لأجل ابنه، فمانولو لا يريدها ان تذهب، ولكن كان كثيراً عليها أن تحتمل البقاء مع أليخاندرو تحت سقف واحد، لا يمكنها ذلك على الاطلاق.

فهزت رأسها: «أنا آسفة، يا مانولو، ولكن عليّ ان أعود إلى وطني انكلترا. ان لديّ هناك وظيفة وبيتاً...» كانت تقول له نفس ما قالته سابقاً لأبيه.

فقال الطفل باكياً: «ولكنني احبك، يا تانيا، وكذلك بابا يحبك، أليس كذلك يا بابا؟»

فوضع أليخاندرو يده على كتف مانولو: «المسألة هي ان تانيا لا تحبنا، فلا يمكننا إرغامها على البقاء.»

فصرخ مانولو: «بل تانيا تحبني، انا اعرف انها تحبني، لقد اخبرتني بذلك بنفسها. وهي تحبك أنت أيضاً، يا بابا، أنا واثق من ذلك، أليس كذلك، يا تانيا؟» ونظر اليها الصبي متوسلاً.

فأومأت تانيا برأسها ببطء: نعم، يا مانولو انا احب أباك.»

فقال أليخاندرو لابنه: «مانولو، أرى ان تخرج من الغرفة.»

«هل ستطلب منها البقاء معنا؟» فأومأ أليخاندرو برأسه.

ابتسم مانولو: «سأخرج إذن، ولكن لا تتأخر، أرجوك، فقد انتظرتك يا بابا طوال النهار.»

وعندما خرج دخل أليخاندرو إلى الغرفة واغلق الباب خلفه، ثم نظر اليها متفحصاً وجهها.

«هل كذبت على ابني، يا تانيا؟»

«كلا، بالطبع.» قالت ذلك دون ان تتحول عيناها عن عينيه، لقد حدثها قلبها بأن هذا وقت الاختبار النهائي، واخذ قلبها يخفق بقوة.

«انك أخبرت مانولو بأنك تحبينني.»

«وكذلك اخبرتك بأنني أحبك.»

«هل هذه هي الحقيقة؟»

«الخيار لك في ان تصدق أو لا تصدق.» انها لن تتوسل اليه ان يتقبل كلمتها.

بدا التردد في عينيه: «أريد ان اصدقك، يا تانيا؟»

كان قد قال لها هذا قبل الآن، وتابع يقول: «ولكنني أوذيت مرة من قبل، كنت ظننت، منذ تسع سنوات، انك تحبينني، ثم... وإذا بكل شيء ينتهي، هجرتني.. خرجت من حياتي ثم اختفيت دون ان تتركي أثراً.»

فقالت غاضبة: «لقد سبق وتحدثنا في هذا الأمر، ولست أنا التي هجرتك، حسناً، لقد تشاجرنا، وخرجت أنا من غرفتك، ولكنني عدت للبحث عنك... فماذا وجدت؟ وجدت انك عدت إلى تينيريف، وهكذا كان الأمر... كانت النهاية، لا كلمة بعد ذلك منك، فكيف تقول انني أنا التي هجرتك؟»

قطب أليخاندرو جبينه بعنف وهو يسألها: «انت عدت للبحث عني؟»

«نعم، هذا صحيح.»

«وإلى من تكلمت؟ ألم يعطيك أحد خبراً مني؟»

«مطلقاً، انني لا اعرف من تكلمت معه، لقد سألت كل شخص في الفندق، كما اظن، ولكن لم يعطني احد رسالة، كل ما قيل لي هو انك عدت إلى تينيريف.»

ورأت ملامحه متغير، فقالت: «هل تريد ان تقول انك تركت خبراً على ورقة؟»

«ليس خبراً مكتوباً كلا، بل كان خبراً شفهياً، لم يكن لديّ وقت لكتابة رسائل، فقد كان أبي يموت وكان عليّ ان أسرع عائداً إلى

الوطن وبسرعة ولكنني حاولت الاتصال بك فيما بعد، آه، لا أدري متى بالضبط، ربما بعد سفري بأسبوعين، أو ربما أكثر... فقد توفي أبي قبل ان أصل إلى هنا... وبعد ذلك أغرقتنا المشاكل التي نشأت عن موته، فهو لم يترك وصية، أو ما أشبه، ولكنني كنت اظنك تلقيت رسالتي وتفهمت الأمر وانك ستنتظرينني.»

فقالت هازة رأسها: «لم أتلق أي رسالة، وعندما علمت برحيلك، دمرني هذا، وعندما عرض على أختي وظيفة في ستيفيل، ذهبت معها وذلك بعد ان لم أجد فائدة في البقاء في برمنغهام، فقد كان فيها ذكريات كثيرة لم اكن استطيع تحملها.»

فهز رأسه وقد امتلأت عيناه بالألم. «لقد حاولت العثور عليك، فاتصلت هاتفياً بكل شخص تذكرته، حتى إنني عدت إلى انكلترا، ولكنك كنت قد اختفيت دون ان تتركي أثراً، فافترضت انك لم تكوني تريدينني ان أعثر عليك.»

ارتجفت تانيا، وسألته بهدوء: «وهكذا عدت فتزوجت جوانيتا؟»

فأومأ إيجاباً.

فتنهدت، وتشابكت نظراتهما، وجمدت تانيا في مكانها وقد أخذ قلبها يخفق، لقد دارت بهما الحياة دورة كاملة أعادتهما إلى بعضهما البعض، والأكثر من ذلك انها عرفت انه يحبها، ما جعل سعادتها تكتمل.

سألها: «كم كان مقدار حبك لبيتر؟» وكان مقطباً جبينه، ويبدو أنه كان يفكر في ذلك الرجل الذي كان زوجها.

نظرت إليه وعيناها تنطقان اخلاصاً: «ليس بمقدار حبي لك، كنا سعيدين معاً بشكل كافٍ، ولكن لم يكن بيننا نفس المشاعر الرائعة التي اشعر بها نحوك.»

فقال بصوت أثقلته المشاعر: «انني مسرور، لأن ما اشعر به نحوك هو أيضاً شيء خاص جداً، عندما استيقظت في المستشفى ورأيتك واقفة هناك، ظننتني حالماً، فبعد ان رفضتني على اليخت، ظننت حقاً ان كل شيء بيننا قد انتهى، لماذا فعلت ذلك؟»

«لماذا رفضتك؟» وابتسمت لاوية شفتيها. «لأنني ظننت ان كل ما كان يهمك مني هو جسدي، ولم أعد استطيع احتمال هذا اكثر من ذلك، انك لن تعرف أبداً مقدار قسوة هذه الفكرة.»

«يبدو وكأننا نحن الاثنين ارتكبنا نفس الغلطة.»

فأومأت تانيا بحزن: «لماذا لم تذكر لي قط انك حاولت ان تتصل بي؟»

فقال عابساً: «صدقيني، فأنا حاولت ذلك عدة مرات، ولكن عندما تكون الأمور هادئة بيننا، كنت اخاف ان أنا ذكرت الماضي، ان أهدم كل شيء، ولو كنت اعلم ما أعلمه الآن...»

فأكملت له جملته، بقولها: «لكنا وفرنا على نفسينا الكثير من وجع القلب.»

فأومأ أليخاندرو قائلاً: «هذا صحيح تماماً.»

«وهل صدقت الآن أنني احبك.»

«آه، يا تانيا، عليّ ان أجري فحصاً لعقلي لعدم تصديقي لك، آه يا حبيبتي اعدك بأن لا أشك أبداً في أي شيء تقولينه لي بعد الآن.»

«أليخاندرو، هل يمكنني ان اقول لك انك رائع؟»

فابتسم قائلاً: «انك أنت أيضاً امرأة غير عادية.»

فقالت: «انني لا اعني ذلك، وانما اعني الطريقة التي ربيت بها مانولو وكأنه ابنك، ليس هناك رجال كثيرون يقومون بعمل كهذا، لقد كنت أسأت الحكم عليك، إذ كنت اظنك

أناني، وانك تنشىء معي علاقة بينما حبيبتك الحقيقية هي جوانيتا، كنت اظنني لديك مثل اينوسنت، لمجرد التسلية، لم اكن اظن ان بإمكانك ان تحب امرأة واحدة.»

«تانيا، لم يكن في قلبي احد غيرك قط، فأنت أول من أحببت، وستكونين الأخيرة، اننا سننسى كل السنوات التي فرقت بيننا، انني احبك، مانولو يحبك، وأنت تحبيننا، ماذا يتمنى الرجل اكثر من ذلك ما عدا طبعاً، ان يكون لنا أولاد.»

اومأت تقول: «وأنا أحب هذا أيضاً.»

«هل ستتزوجينني يا تانيا؟»

«نعم يا أليخاندرو.»

«وهل ستكونين سعيدة بالحياة هنا؟»

«ساكون في منتهى الهناء والسعادة.»

«سنتزوج في الثامنة والعشرين من مارس وهو تاريخ مولدي، وهذا يعني أن امامك ثلاثة أسابيع لتجهيز نفسك، هل هذا يكفي؟»

«يكفي ويزيد، انني جاهزة للزواج منك غداً إذا شئت.»

«وأحرم اقربائي من قضاء أسابيع في البهجة والاستعداد؟ لا اظننا نجرؤ على هذا.» وسكت لحظة طويلة، ثم قال: «لابد ان صبر مانولو قرب من ان يفرغ الآن، فلنذهب إليه ونخبره بأنه سيكون لديه ماما جديدة.»

تمت